الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية

"الحُكم" في القرآن الكريم
مقاربة منهجية في التفسير الموضوعي

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية – تخصص التفسير وعلوم القرآن

- إعداد الطالب:
مرين محمد

- إشراف:
أ.د:موسوني محمد

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د.عبد الصمد بلحاجي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. محمد موسوني	استاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقرّرا
د.محمد الحاج عيسى	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
أ.د مختار حمحامي	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 01	عضوا مناقشا
د.محمد ورنيقي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأغواط	عضوا مناقشا
د. عبد الغفار بن نعميّة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران 01	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1443ه 1444ه/ 2022-2023

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أُهدي ثمرة هذا العمل
إلى والدَيّ الكريمين
وأساتذتي الأفاضل وأصدقائي الأعزاء.

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّنا محمد وعلى آله وصحبه الميامين وعلى التابعين بإحسان إلى يوم الدّين، الحمد لله الذي أنزل الله عزّ وجلّ القرآن الكريم على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلم هداية ورحمة للعالمين، بلسان عربي مبين، وتكفّل بحفظه وبيانه، فتهادت إليه القلوب والأفئدة، وحظي بالعناية حفظا وتلاوة، ونقلا ورعاية، وذكرا ومدارسة، وتفسيرا ومذاكرة، جيلا بعد جيل، فما زاده توالي العصور إلا رسوخا لإعجازه، وكشفا لأسراره، وثباتا لأخباره، وهديا لأحكامه وحجة على الخلق، فبقي كما بدأ موردا للهُدى ومنهلا للمعرفة، لم يطاوله التبديل، ولم يُخالطه التحريف. **يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾ [سورة الحجر، الآية** 9].

فنشأت تلك العلاقة العقائدية بين الأمّة و القرآن، جعلته محور فكرها وتفكيرها، فضبطت خطّه ورسمه، وحفظه ونسخه، وتوحّدت الجهود حوله، وأجمعت على مصحفه لتسليمها بوثاقة نقله، وقد عايشت حاله لحظة بلحظة، بما نقلته عن النبي الأمين، صلّى الله عليه وسلّم، وتواترت نقله فحفظته الصدور والمصاحف، وحرصت على حرفه كما نزل، فعزمت همم العلماء لخدمته، وقامت العلوم على دراسته، في بيانه وإظهار أوجه إعجازه، والنهل من أحكامه، وضبط قراءاته وترتيله للتعبّد بتلاوته، وتفسير معانيه لإتباع هديه والتزام حُكمه، وعلوم التفسير من أكثر العلوم التصاقا بكتاب الله، وأكثرها ثراء معرفيا لاتّصالها بعلوم شتى، فحازت على الشرف من شرفه، والكرامة من كرامته، عندما جعلت كلام الله موضوعا لها، من كشف حُكمه، والوصول إلى غاياته ومقاصده، فهبّ إليه العلماء، يجهدون أنفسهم، ويكلّون عقولهم، لبلوغ مراميه، ومقاصده ومعانيه، فيأتون بالحجج من وحي أو أثر أو لسان، أو من تدبّر وتفكّر في بيان آياته، أو نظر وتأمّل في نظم خطابه، فيستنبطون ممّا وسعت قدرتُهم وطاقتُهم البشرية الوصول إليه، ولكن بقيت همم العلماء، وتطلّعات المفسّرين، جيلا بعد جيل تتشرّف إلى كمال تفسيره، والوصول إلى تمام بيانه، لتُجدّد كرمه وعطاءه، وحاجة كل عصر للنهل من إعجازه، فهو المعجز الذي تتجدّد عجائبه، وتنكشف مع كل عصر أسرار إعجازه، ويحتاج الخلق في كل حين إلى مقاصد أحكامه وأنوار هداياته، لذلك وضع المجتهدون علوما في خدمته وسعوا إلى تفسيره، لبلوغ معانيه وأحكامه.

وتفسير القرآن الكريم من أوّل ما احتاجت إليه العقول، لحفظ معاني القرآن ودلالات الألفاظ والآيات، ومراد الخطاب واستنباط الأحكام والدلالات، والعظات والهدايات، فتوسّعت في استطراد معانيه، حتى قاربت مسائل علمية متداخلة، فاختلط التفسير بالفقه وأصوله، والحديث وقواعده، وعلوم القرآن والقراءات، وعلوم اللغة والبلاغة، واستجلاب القصص والروايات، فخرجت التفاسير في مجلدات، حرصا من المفسّرين على الإحاطة بمعانيه، والجهد في بلوغ

مراميه، وتناول قضايا آياته بالتحليل والشرح والتعليل، واستنباط أحكامه والتوسّع في قصصه، وتحليل لفظه وكلامه، كما نهج التفسير في تأليفه نهجا ترتيبيا لسُوَر القرآن وآياته، حتى العصر الحديث، حيث قارب كثير من الباحثين إشكاليات مناهج التفسير، ومن بينها إشكاليات تداخل موضوعات التفسير، وتفرّق آيات الموضوع الواحد في سُوَر وآيات متفرّقات، فبدأت أصوات الباحثين تدعو إلى تفسير قرآني يستند إلى الموضوع في القرآن، بدل الالتزام بالترتيب المصحفي، واصطلح على هذا النوع من التفسير بالتفسير الموضوعي.

فالتفسير الموضوعي جاء استجابة لدواع معاصرة، بعد تاريخ من التراكم المعرفي التفسيري، بطريقة إجمالية ترتيبية حسب بنية ونظم النص القرآني، كما ثبت في المصحف الشريف، على ترتيبه المتعارف، كما جُمع أوّل مرّة، وتوارثت الأجيال رسمه مصحفا واحدا، فإن حاجة المسلم إلى معرفة الأحكام والتعرّف على المعاني القرآنية في موضوع حُكم محدّد، مستفيدا من جهود علمية سابقة في التفسير، وفي مناهج البحث، جعلته بحاجة إلى منهج تفسيري يعتمد على موضوع أحكام الآيات، وليس على ترتيبها التنزيلي، أو ترتيبها المصحفي، وكما نزع العلماء منذ القديم إلى تبويب العلوم لتسهيلها المعرفي، ودراستها العلمية، كأبواب الفقه وأصوله، أو أبواب الحديث وعلومه، فقد أصبح التفسير كذلك بحاجة إلى تبويب موضوعي، تماشيا مع المناهج العلمية في البحث والتأليف.

والخطاب القرآني بوصفه حُكما، يشمل أحكامه في مختلف المواضيع، يحتاج إلى منهج موضوعي في التفسير، و مجال البحث في التفسير الموضوعي في تفسير الأحكام، تنظيرا وتطبيقا، ليس من خلال تتبع لفظة الحُكم في القرآن، ولكن من خلال مقاربة منهجية للوصول إلى منهج تفسير الأحكام في القرآن الكريم، بوصف دلالة الحُكم على المعنى ودلالة المعنى على الحُكم، والتفسير الموضوعي ما زال مفتوحا للبحث والاجتهاد، ولعلّ التعريف بمفهومه وبأهميّته، ومناقشة منهجه ومنهجياته، والاستفادة من تراث التفسير بمدارسه وأشكاله، ممّا يُطوّر آليات البحث فيه، وبناء أصوله ومقاصده، ووضع آلياته وقواعده للوصول إلى الكشف عن الحُكم القرآني، أُقدّم هذه الدراسة، معتمدًا على ما نُشر سابقا، ممّا استطعتُ الوصول إليه، والاطلاع عليه، من مصادر ومراجع، في علوم القرآن والتفسير، وغيرها، بما يخدم التحليل المنهجي، قصد الوصول إلى نتائج تُساهم في تحديد أصول المنهج العلمي المفيد للتفسير في العصر الحديث على أساس مجموعة من الفرضيات والمنطلقات البحثية، التي تكوّن مجموعة من التساؤلات التي يعمل البحث على مناقشة وتحليل إجاباتها المحتملة، كيف يُساهم التفسير الموضوعي في الوصول إلى معاني الأحكام في القرآن الكريم؟ والتي تختزل **إشكاليته** في الأسئلة الموالية:

- ما هي خصوصيّة الخطاب القرآني بوصفه حُكما؟
- ماذا يُضيف التفسير الموضوعي للتفاسير السابقة في فهم الأحكام ؟

ـ ما هي أصول وقواعد منهج التفسير الموضوعي في ذلك؟

ـ كيف يُقارب التفسير الموضوعي الحديث إشكاليات العصر ومواجهة حاجياته واستنباط أحكام نوازله؟

والبحث في منهج التفسير الموضوعي، من جهة الوصول إلى حُكم القرآن في المسائل والقضايا، دفعتني إليه **أسباب عديدة منها**:

1- ثراء الموضوع وصلته بالبحث في كتاب الله وتدبّره.
2- المساهمة في مقاربة منهجية لبناء منهج تفسيري حديث.
3- أهميّة التفسير الموضوعي في فتح مجالات البحث ودقّته العلميّة.
4- تحرير التفسير من الإشكاليات العلميّة التي شابت مؤلّفاته التراثية.
5- فتح أبواب البحث والدراسة لمقاربة الحُكم القرآني في مواضيع معاصرة وفق منهج علمي.
6- الكمّ المعرفيّ المرتبط بمصطلح الحُكم الذي يلامس مجوعة من المستويات.
7- أهميّة التفسير الموضوعي ومنهجه في إثراء دلالات الأحكام

وأحكام القرآن في التفسير القرآني تناولته مصادر ومراجع و ممّا اعتمدته في هذا البحث:

_ الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، أبو إسحاق.

_ البرهان في علوم القرآن، للزركشي، بدر الدين محمد.

_ مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، محمد عبد العظيم.

_ منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، سامر عبد الرحمن رشواني.

_ مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم.

_ المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد.

_ المقدّمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع.

سأتناول الموضوع **بمنهج وصفيّ تحليليّ**، بمقاربة نقدية، وهذا ما يناسب دراسة تتناول قضايا منهجية متعلقة بالتفسير في مراحله المختلفة، ومدارسه المتنوّعة، وهذا للوصول إلى بناء تصوّر عام لمنهج استنباط الحُكم في القرآن الكريم في التفسير الموضوعي، وغايته الدّلالات المكتنزة في الخطاب القرآني والكلام الرباني، بما يفتح أمام الباحث في كتاب الله آفاقا واسعة في اكتساب الآليات المعرفية والعلمية والمنهجية لاستنطاق دلالات خطابه، في عمق معانيه وتأويلاته، وجلاء مقاصده واستدرار أعماق معانيه.

وسأتناول البحث في **مدخل وثلاثة فصول وخاتمة**، حيث أتناول في المدخل أهميّة المقاربة المنهجيّة من حيث مفهوم المنهج و دور المقاربة المنهجيّة في التفسير وأهميّتها، وأتناول في **الفصل الأول**: مفهوم القرآن الكريم، وخصائصه المناسبة للدراسة، كونه موضوعا علميا

ومعرفيا للمفسّر والمتلقي، والعلاقة بين الإعجاز القرآني في نظمه والبيان الدلالي لخطابه، لوضع الإطار العلمي من حيث الموضوع، بوصف القرآن الكريم كلام مُعجز، عجز الخلق عن تحدّيه، وبوصفه ميسّر البيان لمتلقّيه، ممكن الفهم جاء بلسان قومه ولغة خطابهم، لهدايتهم الصراط المستقيم، ومنه الوصول إلى فهم أحكامه، وأتناول كذلك مفهوم التفسير ومشروعيته وأهميّته ونشأته، و الفرق بين التفسير والتأويل، ومفهوم التفسير الموضوعي، ومشروعيته وأهميّته ونشأته، ومناقشة أوجه الفرق والتداخل بين التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي، ثمّ أتناول مفهوم الحُكم في التفسير، وهو حال الخطاب القرآني الحاكم، والعلاقة بين التفسير وكشف حُكم الخطاب، وبين استنباط المعنى واستنباط الحُكم.

وأتناول في **الفصل الثّاني** تحليل و مناقشة اتجاهات التفسير القديمة والحديثة في تفسير الأحكام، بين الوقوف عند المناهج التراثية من جهة ومناقشة أهم اتجاهاتها وإشكالاتها، ومن جهة أخرى أهم الاتجاهات الحديثة في التفسير، ومناقشة إشكالاتها، وهذا من وجه مناهجها في مقاربة أحكام القرآن وفهمها وتفسيرها، ومنهج البحث فيها بما يناسب موضوع البحث، والاستفادة من التراكم العلمي والمعرفي في التفاسير، قديمها وحديثها، من خلال النماذج التفسيرية في مناهجها واتجاهاتها، أمّا **الفصل الثّالث**: فأتناول بالتحليل منهج التفسير الموضوعي في الكشف عن معاني الأحكام وتفسير خطابها القرآني، من خلال السياقات التي تواكب عمليّة التفسير، وهي وسائطه العلميّة في التفسير والاجتهاد، وأصوله وقواعده التي يستعملها المفسّر ويستدل بها في عمليّته التفسيريّة، بوصف التفسير عمليّة علميّة واجتهاديّة، مستعينا بأمثلة ونماذج تفسيريّة في الأحكام التي وردت في القرآن الكريم، وأُنهي بحثي **بخاتمة** تختزل نتائج البحث العامّة، وتُجيب على فرضيات البحث الأساسية و إشكالاته المختلفة، و تكون قد قاربت أهم غايات البحث و مقاصده التي تدور في الجملة حول نظم للمنهج العلمي في التفسير الموضوعي.

وفي الأخير أقدّم باقة من عبارات الامتنان، و إسداء جزيل الشكر إلى الذين تفضلوا عليّ بالدعم والتقويم لإنجاز البحث، وأخصّ منهم أستاذي الفاضل المشرف، الذي تشرّفت بتوجيهه و متابعته، **الأستاذ الدّكتور: محمد موسوني**، كما أشكر جميع **أساتذتي الأفاضل** الذين جهدوا في تشجيعي و بذل النصح لي، و دفعي للصبر والإرادة لمواصلة إنجازه و التمتع بالبحث فيه، والشّكر موصول إلى **أعضاء لجنة المناقشة** الذين أتشرّف باهتمامهم وعنايتهم، وأتشوّف إلى ملاحظاتهم وتوجيهاتهم العلمية، وتعميقا لمضمون الموضوع و آفاقه، متعهدا بالعمل على الالتزام بما يقدمونه لي من توجيهات، وعلى الله التوكل والتوفيق.

مرين محمد.

جامعة تلمسان 1444ه/ 2023 م

المقاربة المنهجيّة للتفسير وأهميّتها

مدخل

ـ المقاربة المنهجيّة للتفسير وأهميّتها

1. المقاربة المنهجيّة للتفسير:

كان المنهج ومازال أحد قضايا البحث التي تمنحه قيمته العلميّة ونتائجه البحثيّة، وكون «قضيّة المناهج والمنهجيّة من القضايا الهامّة والحيويّة في تقدّم كلّ العلوم، سواء

ما يُعرف منها باسم العلوم الإنسانيّة أو العلوم الطبيعيّة»[1] فقد ظهر علم مستقل للتأصيل والتنظير للمناهج ودراستها، ونقدها وهو علم المناهج، وازدادت هذه الأهميّة مع الوقت بسبب تنوّع العلوم وتطوّرها، وحرص الأوساط العلميّة والأكاديميّة على خدمة وحماية وترقيّة البحث العلمي من خلاله، فتناوله العلماء والفلاسفة والمفكرون والباحثون بالدراسة والتنظير في محاولة لوضع الأصول والقواعد العامّة والآليات العلميّة للوصول إلى الحقائق المعرفيّة، أو الكشف عنها.

تواطأ الباحثون على منهجيات البحث وقواعده بما يحفظ الأمانة العلميّة، ويسهّل الوصول إلى المعلومات والمعارف، وُينظم عمليّة البحث والتأليف بما يخدم مختلف العلوم وتطوّرها، عمل على الاجتهاد في وضع مناهج مساعدة والتأصيل لها، حيث أصبحت المقاربات المنهجيّة وضبطها أحد وسائل تقويم البحث وتطويره، فكلّما عملت العلوم على ضبط منهجها في البحث والتأليف نجحت في الوصول إلى نتائجها، فلا يُمكن لأي علم أو بحث أن يُحقق أهدافه وأغراضه العلميّة دون الالتزام بمنهج علمي في البحث، وطريقة فنيّة في تنظيم عمليّته البحثيّة بعيدا عن الارتجال والعبثيّة، بما يُناسب روح العلم وجوهر البحث، ولذلك تكتسب المقاربة المنهجيّة في البحث أهميّة خاصّة، للوصول إلى نتائجه العلميّة.

أ: تعريف المنهج لغة:

المنهج في اللغة يحمل معنى الطريق والوضوح «النهج: الطريق الواضح، كالمنهج والمنهاج. وأنهج: وضح وأوضح. . ونَهَج كمَنَع: وضح وأوضح، و_ الطريق: سلكه»[2] وعليه كانت الدلالة اللغوية للمنهج تعني الطريق «نهج: طريق نهجٌ: بيّن واضح، وهو النهج... ومنهج الطريق: وضَحُه، والمنهاج كالمنهج... وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجا واضحا»[3] فيتعانق المعنيان على تمايزهما الظاهري، في جوهرهما الدلالي «نهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأوّل النّهج، الطريق. ونهج لي

[1]- العيسوي.- عبد الفتّاح محمد. عبد الرحمن محمد العيسوي. مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث. دار الراتب الجامعيّة، عمّان، الأردن، دط، 1997، ص10.

[2]- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد. القاموس المحيط. تحقيق: محمد نعيم العرقوس وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص208.

[3]- ابن منظور، أبو الفضل محمد. لسان العرب. دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2003، ج8، ص714.

الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق أيضا، والجمع المناهج»[4] فهو الطريق الموصل الذي انتهجه الإنسان لبلوغ غايته والوصول إلى مقصده.

والمعنى اللغوي يجمع بين الطريق والوضوح أو البيان، والمنهج كالمنهاج فهو الطريق الواضح[5]، بما يوحي إلى أنّه يؤدّي إلى مكان مقصود، بغضّ النظر إن كان هذا المقصود مقصودا صحيحا، فهو طريق مقصود لسالكيه بما استوجب تعدّده، لاختلاف عقائد ومسالك المنتهجين الذين يختارون طرقهم ومسالكهم فينتهجونها بحسب ما يؤمنون به ويقصدونه.

يقول تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) ﴾[6].

وعلى هذا المعنى اللغوي استند المعنى الاصطلاحي، ولكن اختص بمفهوم اصطلاحي محدّد في المجال العلمي.

ب: تعريف المنهج اصطلاحا:

اشتهر المنهج كونه الطريقة العلميّة في البحث والتأليف فهو «الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة»[7] بما تتوفر عليه هذه الطريقة من نظام وموضوعيّة وترتيب وآليات دراسية للإجابة عن إشكاليات يطرحها البحث للوصول إلى نتائج علميّة، «إنّ المنهج بمعناه العام هو منطق كلي يحكم العمل العلمي ويوجّهه منذ أن يكون فكرة، حتى يصير بناء قائما اعتمادا على أصول وقواعد تشكل في مجملها نسقا متكاملا هو المسمّى بأصول البحث العلمي»[8] لذلك فإنّ «المنهج هو الطريقة أو الأسلوب الذي ينتهجه العالم في بحثه أو دراسة مشكلته والوصول إلى حلول لها أو بعض النتائج»[9]،

---

[4]- ابن فارس. أحمد. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1979، ج5، ص61.

[5]- ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تحقيق: حسين نصّار، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ط1، 2000، ج6، ص251.

[6]- سورة المائدة، الآية 48.

[7]- بدوي، عبد الرحمن. مناهج البحث العلمي. وكالة المطبوعات، الكويت، الكويت، ط1، 1977، ص 6.

[8]- الأنصاري، فريد. أبجديات البحث في العلوم الشرعيّة. منشورات الفرقان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1417، 1997، ص 23.

[9]- العسيري، عبد الفتاح محمد. عبد الرحمن محمد العسيري. مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث. مرجع سابق، ص 13.

فهو دراسة علميّة وفق قواعد وآليات للإجابة عن إشكاليات قصد الوصول إلى نتائج علميّة، وعليه فهو ليس مجرّد عمليّة شكليّة وسطحيّة تقود البحث العلمي، وإنما « خطة منظمة لعدّة عمليّات ذهنيّة أو حسيّة بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها»[10] لتمييزه عن العمل الانطباعي أو النزعة الذاتية.

مصطلح الأصول هو أحد تجليّات العمل المنهجي عند علماء المسلمين، وذلك للتأصيل للعمل العلمي وحمايته من الأخطاء، «ولكن الاصطلاح الذي كان يستعمل مرادفا للمعنى الحديث للمنهج هو مصطلح الأصول، فالأصول مصطلح استخدم في علوم متعددة كالفقه والتفسير للدلالة على القواعد الكليّة التي تستند إليها هذه العلوم»[11] ومازالت هذه الأصول هي مرجعيّة علميّة لبناء مناهج البحث في العلوم الدينيّة « وقد أقام علماء الإسلام هذه المناهج على أسس وقواعد ثابتة لا تدع مجالا للنزعات والميول الذاتيّة، وكان دافعهم إلى وضع تلك الضوابط المنهجيّة والصارمة هو حرصهم على الموضوعيّة العلميّة... يقينهم أن المناهج التي وضعوها إنّما هي موجّهة بالأساس لخدمة نصوص الوحي من جهة الفهم السليم لها»[12] ومن هذه الأصول المنهجيّة والقواعد الاستنباطية يمكن تحديد منهج التفسير الذي يمكن استنباط تعريفه بأنّه:

هو طريقة علميّة وفق الأصول والقواعد الكليّة للكشف عن المعاني والدلالات بما يُفهم من مراد الخطاب القرآني.

فالمنهج كونه « الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال»[13] بما تعارف عليه الباحثون، فيستعين الباحث بمنهجه في مقاربة بحثه العلمي، الذي تبلور مع البحث العلمي الحديث، الذي اجتهد في وضع مناهج علمية معاصرة، تعارف عليها الباحثون في طريقة البحث، والتأليف، وقواعد العقل والتفكير، ولقد استفاد البحث الحديث من إسهامات العلماء المسلمين فيما أصّلوه من مناهج العلوم ومنهجيّات البحث والتأليف، فاشتركت مناهج العلوم في الأصول والقواعد العامّة من جهة واستقلّ كل علم بمناهجه، أو وضع أصولا وقواعد وآليات ومصطلحات تُناسبه، ولذلك فإنّ العلوم الدينيّة لها

---

[10]- المرجع نفسه، ص 81.

[11]- رشواني، سامر عبد الرحمن. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. دار الملتقى، حلب، سورية، ط1، 2009، ص 33.

[12]- هرماس، عبد الرزاق. القرآن الكريم... ومناهج تحليل الخطاب. جامعة القاضي عياض، بني ملال، المغرب، دط، دس، ص 185.

[13]- أبو البقاء، أيوب بن موسى. الكليّات. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص913.

أصولها وقواعدها ومناهج التأليف فيها التي تشترك مع البحث العلمي عموما في أغراضه وأهدافه التي لا تخرج عن السعي للوصول إلى حقائق العلم، كما تستفيد من منهجيات وطرق التأليف بما يخدم البحث العلمي، ولكنها تتميّز بأصولها وقواعدها وآلياتها، التي يُمكن للبحث العلمي أن يثري منها مناهجه وقواعده في دراساته، لأن تلك الأصول من العقلانيّة والعلميّة الإسلاميّة ما يجعلها اليوم في العصر الحديث، تمنح للباحث المعاصر خيارات منهجيّة في إعادة اكتشاف الحقائق العلميّة والمعرفيّة، بما فيها التعامل مع النصوص ومستويات معاني ودلالات الخطاب، وساهمت مدارس تفسير القرآن الكريم من خلال مناهجها، ومن خلال مشاريعها التفسيريّة للتأصيل لمنهج التفسير الإسلامي.

وإسهامات الدراسات اللغويّة والبلاغيّة كأصول النحو وعلم البلاغة وغيرها لا تقلّ أهميّة عن الدراسات الدينيّة مثل أصول الفقه وأصول التفسير، وما بينهما من تداخل وتفاعل، التي وضعت تلك الأصول والقواعد في منهج فهم الدلالة واستنباط المعاني والأحكام، فتركت لنا ذلك التراث المنهجي الذي نستطيع اليوم بإثرائه بما يخدم البحث العلمي من منهجيات التأليف والتنظيم، وقواعد التهميش والفهرسة، إلى جانب الاجتهاد في الاستفادة من كل المدارس التفسيريّة في مناهج التفكير الإسلامي، لإثراء مقاربة منهجيّة تصلح أن تخدم عمليّة التفسير وإنتاج المعاني والدلالات، التي هي ما زالت قضيّة تشغل الفكر الإنساني، في التعامل مع النصوص ولسانيات اللغة والخطاب.

وهذه الأصول التي تكوّن المنهج التفسيري هي خلاصة مناهج التفسير المتوارثة، وأصول الفقه الإسلامي، التي مثّلت أصول الاستنباط للحُكم والدلالة من الأدلّة الشرعيّة، والتي تجمع بين أدلة الشّرع، وأدلّة العقل، وأدلّة اللغة، دون تعارض بينها، لأنّ الذي أنزل الوحي هو الذي سخّر العقل وجعله مناط التكليف وهو الذي جعل اللسان آية للغة، و«المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل، والسّماع لا بد منه في ظاهر التفسير، ليتّقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتّبع الفهم والاستنباط»[14]، وبعد كل هذا التراث التفسيري والأصولي، والدراسات القرآنيّة والمنهجيّة، ومع نضوج وتبلور منهجيّة التفسير الموضوعي، التي أصبحت ضروريّة في مجال التأليف في التفسير، فإنّ التأصيل لمنهج علمي من داخل المنهج الإسلامي في التفكير والاستنباط سيكون مفيدا لعمليّة التفسير.

فالتفسير الحديث الذي استفاد من تطور علم المناهج الحديث، ومنهجية البحث والتأليف الحديثة، من حيث الترتيب والإحالات، والتهميش، ووضع الفهارس، وغيرها

[14]- الزركشي، بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، 1984، ج2، ص 155.

من تقنيات التأليف الحديث، فإنّه ظلّ على طريقة التفسير القديمة والمتوارثة، وهو التفسير الترتيبي والتحليلي، وإنّ الاستفادة من مختلف الاتجاهات التفسيريّة السابقة، لا يناقض التجديد على مستوى المنهج والمضمون التفسيري، مثل الاهتمام بالمضامين العامّة للسور ومقاصدها بشكل أكبر، وكذلك تأثير تطور العلوم وتعقيدات الحياة ومظاهر الحضارة الحديثة على مضمون التفسير واتجاهاته الحديثة، لتظل الدراسات الإسلاميّة تتميّز بذلك المقصد الرباني من خدمة مصالح العباد في الدارين « بيد أن العلوم الشرعيّة، رغم أنّها إنسانيّة في مقاصدها فهي ربانيّة في منطلقاتها وهذا سرّ تميّزها، وسبب نجاتها من كثير ممّا تتخبّط فيه العلوم الإنسانيّة من عوائق منهجيّة»[15] بسبب انضباطها بأصول وقواعد في الاجتهاد الإسلامي، نظّمت عموما العلوم الإسلاميّة، والعلوم الدينيّة منها خصوصا، في جميع ميادينها من خلال الأصول التي وضعها العلماء لكل علم، وهي في الحقيقة مناهج بحث علمي.

فالمقاربة المنهجيّة في تفسير القرآن الكريم عموما، والتفسير الموضوعي خصوصا، يمنح للعمليّة التفسيريّة آليات معرفيّة وعقليّة وتقنيّة للبحث والدراسة قصد تقديم تصوّر لنسق ونظم علمي للوصول إلى مراد الخطاب القرآني، الذي جوهره الحكم المراد من الخطاب، كما الحكم جوهره الخطاب الذي يحمله، « وماذا نقول في هذا النسق المتصل لتعاليم تؤديها هذه الفكرة، حين لا يتأسّس هذا النسق على إرادة وتفكير منظم»[16] فالاهتمام بأصول وقواعد ومنهجيّة البحث والتأليف في التفسير هي جزء من عمليّة تلقي الخطاب القرآني التي تستوجب حالة من الحضور النفسي والعقلي والعلمي والمعرفي، وصرامة علميّة، من وجه أن الخطاب هو كلام الله المعجز الذي تتصدّع له الجبال خشية، فيتطلب الأمر قلوبا وعقولا حاضرة، وإلى عمليّة تدبّر وتفكر وافرة، وإلى قابلية التسليم لمضمون حُكمه، بما يليق به من خشوع و تقوى.

يقول تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21) ﴾[17]

فتفسيره عمليّة بذل للجهد العلمي في الوصول إلى حقائقه، وبلوغ مراميه، والوصول إلى مقاصده، فهو خطاب لا تحكمه النوازع والهوى، ومن وجه آخر فإنّ تفسيره هو شهادة وأمانة « لقد كان علماء الإسلام، وهم يضعون مناهجهم موقنين بأنّ تفسير

[15]- الأنصاري، فريد. أبجديات البحث في العلوم الشرعيّة. مرجع سابق، ص 49.

[16]- بن نبي، مالك. الظاهرة القرآنيّة. دار الفكر، دمشق، سوريا، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط4، 2000، ص182.

[17]- سورة الحشر، الآية 21.

نصوص الوحي قرآنا وسُنّة هو شهادة عن الله، وأنّ هذه الشهادة تستلزم من الاحتياط أضعاف ما يستلزمه أي شيء آخر»[18] ولذلك فإنّ التفسير يبقى عمليّة اجتهادية، يبذل المفسّر فيها جهده لبلوغ المعنى، والجهد يبدأ بعلميّة الطريق المنهجي في التعامل مع القرآن الكريم، وإنّ أهميّة المقاربة المنهجيّة للتفسير لها أبعادها العلميّة والمعرفيّة المتنوّعة، والتي لا تتوقف عند عملية التفسير ولكن تتجاوزها للتأثير على منظومة الفكر الإسلامي عموما.

2: أهميّة المقاربة المنهجيّة للتفسير.

إنّ القرآن الكريم هو محور العقيدة والحياة الإسلاميّة ودليل أحكامها الأعلى، التي تنبني عليه عقائد وعبادات ومعاملات وسلوك وأخلاق المسلم في كل عصر، فتتجدّد العلاقة مع القرآن الكريم مع كل جيل، فينشأ ذلك الحرص على فهم وتفسير القرآن الكريم، قصد بلوغ معانيه ومراد خطابه، للوقوف عند حدوده، وبالنظر إلى أهميّة تفسير القرآن الكريم في حياة وعقل وفكر المسلم وأثره على الأحكام التي تحكم عقائده وسلوكه لابد من تأصيل منهجي علمي، لتلافي أخطاء التفسير، التي تُبنى عليها أخطاء في استنباط أحكامه، وتكمن هذه الأهميّة في:

1- تحديد مفهوم التفسير بوصفه علما، من حيث تحديد مصطلحه وموضوعه ومنهجه العلمي، لإزالة ما علق بالتفاسير من شوائب واختلاط التفسير بما ليس منه، فأثقل التأليف في التفسير مثل الاستطرادات الفكريّة والتحليليّة التي توسّعت لعلوم ومناحي عديدة دون حدّ فاصل بما هو من التفسير وفيه، وما هو ليس منه.

2- ضبط منهج أصولي للتفسير، مثل باقي العلوم الشرعيّة، للموازنة بين التوقف عند الأثر، وبين الجنوح بالتفسير للهوى الذاتي، وبين مفهوم الشروح وجوهر التفسير الذي يُمسك بالمعاني والدلالات، ويبني عليها للأحكام آفاقا ومستويات تستجيب للإشكاليات المعاصرة والحاجيات المتجدّدة.

3- منهج علمي شامل يستفيد من التراكمات العلميّة للتفاسير الإسلاميّة للقرآن الكريم، واحتواء اتجاهاتها بما يُفيد التفسير الإسلامي الشامل للكون والحياة، الذي تشمل رحمته العالمين، وتتّسع أنواره للإنسانيّة جمعاء.

4- الاستفادة من منهجيات العلوم الحديثة من حيث فنيّات وتقنيات البحث العلمي ليستجيب التفسير لمتطلبات معاصرة في البحث والمعرفة، من حيث تنظيمها وتفصيلها وسرعة الوصول إليها...

[18]- هرماس، عبد الرزاق. القرآن الكريم... ومناهج تحليل الخطاب. مرجع سابق، ص18.

5- جعل التفسير بوصفه عمليّة اجتهادية ضمن عمليّة تجديد مستمرّة دون الخروج عن المنهج الإسلامي الأصولي الحاكم للعمليّة التفسيريّة للقرآن الكريم، لكي لا يُحمّل الخطاب الإسلامي عموما، والقرآني خصوصا قصور أو أخطاء العمليّة التفسيريّة البشريّة.

6- تحصين العمليّة التفسيريّة للقرآن الكريم عن مناهج التفسير للنصوص التي تخضع لنظريات وتصوّرات فلسفيّة وفكريّة وأدبيّة مختلفة عن مقاصد وأصول التفسير الإسلامي للقرآن الكريم، خصوصا مع تجدّد إعادة محاولات تفسير القرآن الكريم وفق مناهج تفسيريّة تخضع لنظريّات وإيديولوجيّات بعنوان مناهج علميّة.

7- تفعيل الأصول والمناهج في علوم القرآن الكريم لخدمة التفسير، والعمل على البحث فيها لترقيّة أدائها العلمي، وفاعليّة الاستنباط من القرآن الكريم الذي لا تتوقف عجائبه ولا تنضب رحمته في تحقيق مصالح العباد في الدارين، ويستمر إعجازه بتعاقب الأزمان وحالات العصور.

وكل هذا لخدمة الحياة والفكر الإسلامي الذي سيظل بحاجة إلى القرآن الكريم، والتدبّر والتفكر فيه وتفسيره، لبلوغ مراميه المتجدّدة ومعانيه المناسبة، مع كل عصر، حيث « ظل القرآن الكريم منذ زمن نزوله موضوعا للدراسة... فقد تلقاه المسلمون منذ الصدر الأول من السلف الصالح واشتغلوا بتدبّره وتفقه أحكامه، واتسعت محاولات فهم هذا الكتاب، كما تضاعفت جهود المفسّرين»[19] وذلك بالتعامل مع التراث الإسلامي دون قداسة ودون تفريط، « فإذا استطعنا نحن الوصول إلى مرحلة القناعة أنّ هذا التراث ليس مقدّسا، وإنّما هو فهم بشري قابل للخطأ والصواب، وإنّه يُستعان به أو هو وسيلة للوصول إلى المنبع الأصلي»[20] وهذا للوصول إلى عمليّة تجديد متواصلة لفهم مقتضيات الخطاب في كل عصر.

وتعدّد مدارس واتجاهات التفسير لا تمنع من إعادة التأصيل المنهجي للتفسير المعاصر، يستفيد من التراث التفسيري، قديمه وحديثه، ويُعيد تجديد منهج التفسير والتواصل مع القرآن « وكل مدرسة من هذه المدارس لها خير وعليها... ولا يجوز أن نجحد فضل صاحب الفضل، ولكنّنا نريد للعصر الحديث والصحوة الإسلاميّة لكي تكون ناشبة بأعماق الإسلام ومنطلقة من أعماقه الصحيحة، أن تقدّم له جيلا واعيا،

[19]- النشمي، عجيل جاسم . طرق استنباط الأحكام من القرآن الكريم. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، الكويت، ط2، 1997، ص 28.

[20]- الغزالي، محمد. كيف نتعامل مع القرآن. شركة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط7، 2005، ص 167.

موصولا بالقرآن، مدركا لأبعاده ومقاصده أولا، وأن تنظر إلى هذا الجهد البشري على أنّه خطؤه وصوابه متقاربان وجائزان»[21] ولكن تظل المعاني القرآنيّة مقصد التفسير في كل عصر وفي كل جيل « كل جيل خُلق لزمان غير زمان سلفه وخلفه، وعطاء القرآن غير محظور ولا مقطوع، وتظل قيمه ومثله العليا مطمح الإنسانيّة على تفاوت الأجيال ومرّ الزمان، تعرج إليها على مراقي تطوّرها وطموحها»[22] لتظل في تواصل مع القرآن الكريم إدا أرادت سعادتها، وتفادي شقاوتها، ويظل القرآن الكريم مع مرّ العصور في إعجازه وكشف أسراره خير دليل على أنّه كلام الله الخالد، وآية صدق نبوّة خاتم النبّيين، صلّى الله عليه وسلّم، وصدق رسالة الإسلام إلى العالمين.

والقرآن بوصفه دليل الأحكام الأول ومرجعها الأسمى كان فهم واستنباط هذه الأحكام أحد أهم أغراض التفسير ومراميه، ومقاصد فهم خطابه والاجتهاد في تدبّر معانيه، ووضع أصول تفسيره ولذلك « قد أولى علماء المسلمين من أمد بعيد للاستنباط أهميّة، فتكلموا على شروطه وضوابطه، ومن يحق له أن يستنبط، ومن لا يحق له ذلك، كما دوّنوا بعناية فائقة مناهج الاستنباط وطرقه، ومبتناها على القرآن ذاته، ومقاصده، وسنّة النبي صلّى الله عليه وسلّم، ولغة العرب ومن خلال ذلك دوّنوا قواعد الاستنباط التي ينبغي أن يتعامل بها المسلمون مع كتاب الله كي يستنبطوا الأحكام لشئون حياتهم المختلفة»[23] ممّا جعل أي تفسير أو استنباط ينحرف عن المنهج العلمي في أصول التفسير يظهر انحرافه وشذوذه، كما أن أي منهج تفسيري يفتقد إلى الدقّة العلميّة سيفشل في تمرير آلياته في تفسير القرآن الكريم، وذلك لأسباب مختلفة:

1 - إعجاز القرآن الكريم ذاته لا يسعف تفسيره بأي شكل، فبيانه وبلاغة لغته وتفسير بعضه بعضا، ونظم خطابه، وإعجازه العلمي، كلها عوامل في ذات الخطاب القرآني تمنحه مناعة لتفسيره، تكشف عن مواطن الخلل والخطأ في التفسير من القرآن ذاته «والتعلق بألفاظ القرآن نفسها على هذه الصورة إنّما قصد به تقويّة السياج الذي يصون أحكام الوحي، وتوجيهات السماء، فلا تتعرّض رسالة الإسلام للفوضى التي سقطت فيها الديانات السابقة، بعدما تزحزحت عن أصولها وتاهت عن منابعها

---

[21]- المرجع نفسه ، ص 41.

[22]- عائشة عبد الرحمن. القرآن وقضايا الإنسان. دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1999، ص317.

[23]- النشمي، عجيل جاسم. طرق استنباط الأحكام من القرآن الكريم. مرجع سابق، ص11.

الأولى»[24] فإعجاز القرآن في بيانه ونظمه يمنح سياجا من الأمان لعمليّة الفهم والتفسير تحفظ نظمه من جهة، وبيانه التفسيري من جهة أخرى.

2 - أصول التفسير من الحجيّة ما يجعل عمليّة التقييم والتقويم للعمليّة التفسيريّة من داخل المنهج التفسيري دون أن يطال ذلك متن الخطاب القرآني، المنزّه عن أي اختلاف أو خطأ « فهو على هذا، الكتاب الديني الوحيد الذي يتمتّع بامتياز الصحة التي لا جدال فيها، لأنّه لم يثر النقد أيّة مشكلة حوله، سواء أكان ذلك شكلا أم موضوعا»[25] ممّا أوجب الالتفات إلى العمليّة التفسيريّة لتكون في مستوى هذا الخطاب المعجز، وفي مستوى الالتزام بتلك الأصول التفسيريّة في منهج التفسير للوصول إلى فهمه بالوجه المناسب.

3_ حاكميّة القرآن الكريم جعلته في تفاعل حياتي مع الإنسان « والقرآن نفسه كتاب لا يستطاع عزله عن الحياة أبدا، وهل نزل إلا ليخطئ أو يُصوّب من أفكارها؟ وإلا ليمحو أو يثبت من أحوالها؟»[26]ولذلك فإنّ الاجتهاد العلمي والمعرفي الرزين والناضج الذي يبحث في العمليّة التفسيريّة بأوجهها، ويتعمّق في أحكامها وحكمها، وينظر في أصولها ومقاصدها، ويتأمّل ويتدبّر في مفرداتها وجُملها، ومناسباتها وسياقاتها، ويجمع بين أمثالها ونظائرها، ويطّلع على ما قيل فيها، لأن تفسير القرآن الكريم ليس عمليّة ترف فكري، أو عمليّة تخييليّة يحكمها الانطباع والهوى الشخصي، ولكنّها عمليّة علميّة واجتهاديّة حقيقيّة لها علاقة بمقصد الوجود البشري، ومقصد بعثه وعاقبة أمره، التي هي سبيله في هدي القرآن الكريم.

4_ الحاجة إلى المقاربة المنهجية لخدمة التفسير ومقصوده، وتحريره من الزوائد في عمليّة التجديد والإحياء المستمرّة، التي وصلت إلى العصر الحديث عند إحياء التواصل مع خطاب القرآن « والمقصود في كتب التفسير، ما يتعلق بتفسير ألفاظ الكتاب العزيز، وذكر أسباب النزول، وبيان ما يؤخذ من المسائل الشرعية، وماعدا ذلك فهو فضلة لا تدعو إليها حاجة»[27] وخصوصا في العصر الحديث، حيث أصبح تنظيم وانتقال المعارف ووسائل انتشارها في تطوّر وتسارع مستمر، تواكبه حركة المعرفة الدينيّة الإسلاميّة المتجدّدة.

---

[24]- الغزالي، محمد. نظرات في القرآن. شركة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط6، 2005، ص 26.

[25]- بن نبي، مالك. الظاهرة القرآنيّة. مرجع سابق، ص106.

[26]- الغزالي، محمد. نظرات في القرآن. مرجع سابق، ص 4.

[27]- الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007، ص811.

5_ التطوّر العلمي والحضاري، وانتشار الحقائق العلميّة والوسائل الرقميّة، كشفت أوجها جديدة للإعجاز القرآني، لابد من مسايرة التفسير لواقع الحياة والعصر، ومسايرة إعجاز القرآن وحاكميّته وعالميّته، فالقرآن هو خطاب الله تعالى للإنسانيّة جمعاء في كل حين وعصر، ففتح هذا التطوّر العلمي آفاقا جديدة لخدمة القرآن الكريم من حيث انتشاره وترجمته وتفسيره وبيان حُكمه الشامل.

إنّ تجدّد التفاسير ومناهجها في البحث والتأليف هو الوسيط العلمي والمعرفي بين الإنسان وخطاب القرآن لفهمه وتلقيه وتدبّره والتفكر فيه، للتعمّق في أحكامه وحكمه ومقاصده ومعانيه، ليعيش القرآن ويعيشه في حياته، فالتفسير يصبح عمليّة تراكم معرفي للقرآن الكريم، لا يستطيع أن يتوقف عند جيل أو ينضب عند عصر، فهو معجزة خالدة تتجدّد من حيث أوجه إعجازها وعمق فهم مقاصدها وتقويم الجهود البشريّة السابقة في الإحاطة بمدلول الخطاب فيها بما يناسب عصورهم وأجيالهم، والمقاربة المنهجيّة هي مدخل البحث في التفسير للوصول إلى ذلك.

الفصل الأوّل

القرآن الكريم والتفسير والحُكم

- المبحث الأوّل: القرآن بين الإعجاز والبيان.
- المبحث الثاني: مفهوم التفسير ومشروعيته ونشأته.
- المبحث الثالث: التفسير الموضوعي وآفاقه.
- المبحث الرابع: مفهوم الحُكم بين اللفظ والموضوع.

الفصل الأول: القرآن الكريم والتفسير والحُكم.

المبحث الأوّل: القرآن بين الإعجاز والبيان:.

1-1: مفهوم القرآن الكريم:

إنّ دراسة التفسير تتطلب معرفة موضوعه، الذي يتعلّق بالقرآن الكريم، بوصفه النصّ المفسَّر، فهو يرتبط به ويستند عليه، ولذلك فإن تحديد مفهوم القرآن جزء من منهجيّة المقاربة في دراسة مناهج التفسير والتأصيل لها، للإحاطة بالموضوع والتدرج المنهجي في البحث فيه، ومفهوم القرآن الذي يشمل أهمّ خصائصه، يمنح للتفسير محدّدات ومعالم ومؤشّرات عند دراسة ومقاربة مناهجه، بما يرتبط بموضوعنا ويُفيده، ويبسط للفصول والمباحث بعده دلالتها، إنّ مصطلح القرآن يشمل مفهومه اللغوي والاصطلاحي:

أ: تعريف القرآن لغة.

- اسم مشتق من القران أو القَرائن، لأن آياته وسوره قرائن على حقائقه، ومعناه في الأصل جمع وضمّ «وقرأ الشيء جمعه وضمّه»[28] ومنه القرآن فهو مجموع آياته وسُوَره «القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية... وإذا هُمز هذا الباب كان والأوّل سواء... ومنه القرآن سُمّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك»[29]فهو جزء من هذا الاختصاص الدلالي **في** الانضمام والجمع «وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضمَمت بعضَه إلى بعض[...] لأنه جمع القصص والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسوَر، بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغُفران والكُفران »[30] ، وهذا اشتقاقه الأول أو الأصلي، ضمن الاختصاص اللغوي لحروفه في حقلها الدلالي، و مرجعه اللغوي المعجمي.

- هو مصدر مشتق من قرأ قراءة «وقرأت الكتابة قراءة وقرآنا ومنه سُمّي القرآن»[31] فهو مصدر للفعل قرأ و« القرآن مصدر قرأ كالرُجحان والشُّكران، يُقال: قرأ قراءة قرآنا، وأصل القراءة: ضمّ الحروف بعضها إلى بعض، وكذا الكلمات في

---

[28]- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد. القاموس المحيط. مرجع سابق، ص49.

[29]- ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. مرجع سابق. ج5، ص78.

[30]- ابن منظور، أبو الفضل محمد. لسان العرب. مرجع سابق، ج7، ص284، 283.

[31]- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. مرجع سابق، ج1، ص364.

الترتيل، والقرآن كالقراءة من جهة المعنى ومن جهة كونه مصدرا لقرأ»[32] فهو مصدر يحمل معنى المفعول« فالقرآن بمعنى المقروء، ثم غلب اسما على كلام الله تعالى المحفوظ بين دفتي المصحف»[33] فارتبط بمفهوم القراءة في أوّل آية نزلت من القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) ﴾[34].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً(2)﴾[35]

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)﴾[36].

- هو اسم عَلم لمعيّن مخصوص، فإذا اعتبرناه مصدرا مشتقا كما ذُكر، فهو «نُقل من هذا المعنى المصدري وجُعل اسما للكلام المعجز المنزَّل على النبي صلّى الله عليه وسلّم من باب إطلاق المصدر على مفعوله»[37] فهو عَلم لهذا القرآن، يدلّ عليه ويُعرف به، وعَلَم له.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (9)﴾[38].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204)﴾[39]

إنّ اسم القرآن ارتبط بمسمّاه على كل وجه، وبكل صفة، بصفته الاسميّة أو المصدريّة أو العَلميّة، يدلّ على كلام الله تعالى المخصوص، لفظا وكتابة، على نظمه

---

[32]- الخطيب، أحمد سعد. مفاتيح التفسير. دار التدمرية، الرياض، السعودية، ط1، 2010، ج2، ص859.

[33]- الطيّار، مساعد بن سليمان بن ناصر. المحرّر في علوم القرآن. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدّة، السعودية، ط2، 2008، ص22.

[34]- سورة العلق، الآيات 1-5.

[35]- سورة الجن، الآيتان 1-2.

[36]- سورة القيامة، الآيتان 17، 18.

[37]- الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. تحقيق: زمرلي، فوّاز أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ج1، ص16.

[38]- سورة الإسراء، الآية 09.

[39]- سورة الأعراف، الآية 204.

المعروف، يُحيل اسمه إلى صورته الذهنيّة والعينيّة المعروفة بين الناس، والدالة على معيّن.

وبذلك فإنّ لفظ القرآن: مصدر أو اسم أو عَلم يُحيل إلى مدلوله الشائع، فكلما ذَكر القرآن أحاله اللفظ إلى مدلول كلام الله بسبب تلازم اللفظ مع مدلوله الراسخ وشيوعه في اللسان.

ب: تعريف القرآن اصطلاحا:

مصطلح القرآن بأوجه معانيه اللغويّة تمنحه دلالة لغويّة، لا تُغني عن دلالته الاصطلاحية، التي تدلّ على مخصوص معيّن، وهو كلام الله تعالى المقصود، «والقرآن في اللغة العربية بمعنى القراءة [...] ثمّ غلب في العُرف العام على المجموع المعيّن من كلام الله المقروء على ألسنة العباد»[40]وقد تنوّعت تعريفاته بين الاقتصار والتوسّع الذي يشمل بعض خصائصه، ومنها التعريفات المشتهرة عند الأصوليين والفقهاء والمفسّرين:

- « الكلام المعجز المنزّل على النبي صلّى الله عليه وسلّم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته»[41]

- « هو كلام الله تعالى المنزّل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم باللسان العربي، المنقول إلينا بالتواتر، للإعجاز بأقصر سورة منه المكتوب في المصاحف، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بالفاتحة، المختوم بسورة الناس»[42]

- « هو كلام الله المنزّل من السماء على سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم خاتم الأنبياء، المتعبّد بتلاوته المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر»[43]

- « الكلام المعجز المنزّل على النبي صلّى الله عليه وسلّم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته»[44]

---

[40]- الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي. دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1986، ج1، ص420.

[41]- الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص21.

[42]- الزحيلي، وهبة. مرجع سابق، ج1، ص420.

[43]- منصور،عبد القادر. موسوعة القرآن الكريم. دار القلم العربي، حلب، سورية، ط1، 2002، ص 26.

[44]- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مرجع سابق، ج1، ص21.

التعريفات السابقة تدور في فلك واحد، وتنبني على خصائص القرآن المُميّزة له عن غيره من الكلام، فالتعريف الجامع بينها « جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي صلّى الله عليه وسلّم، والكتابة في المصاحف، والنقل بالتواتر، والتعبّد بالتلاوة، وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم»[45] فخرج بذلك كل كلام لا يصدق عليه التعريف، تفاديا للخلط بين القرآن وغيره، « فهو يُخرج كلام غير الله، وغير العربي من الكتب السماوية وغيرها، وما ليس بمُنزَل من اللسان العربي، وما ليس بمتواتر كالقراءات الشاذّة والأحاديث القدسية، وما لم ينزل للإعجاز كسائر الكتب السماوية والسنة»[46] فعمل التعريف على تحديد مفهوم القرآن الكريم وتعيينه، وتمييزه عن غيره، ومن خلال عناصره تتبيّن الخصائص المتضمَّنة في التعريف لتمنح دلالات مفيدة في التعيين الاصطلاحي للقرآن الكريم.

فمفهوم القرآن الكريم بهذا التعريف اشتمل على مجموعة من العناصر:

1- هو كلام الله.

2- المعجز.

3- المنزّل على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

4- المكتوب في المصاحف.

5- المنقول بالتواتر.

6- المتعبّد بتلاوته.

وهي خصائص مهمّة في ضبط المفهوم ولكن يُمكن إضافة خاصيّة أخرى تتعلّق بمقصد التفسير، ومراد القرآن، ليكون تعريف القرآن أكثر شموليّة للخصائص، وأكثر تعلّقا بمباحث التفسير وعلومه، خصوصا أنّ الأدلّة من القرآن الكريم ذاته، في سياق الكلام عنه تُحيلنا إلى هذه الخاصيّة، وهي أن القرآن الكريم جاء للتدبّر والتفكر فيه من العباد للاهتداء إلى الطريق المستقيم، لأنّ التلاوة « مع كونها عبادة، ليست غاية في ذاتها، وإنّما هي وسيلة ليُفهم كلام الله تعالى، حتى تتحقق ثمرة التلاوة، وهي الاهتداء إلى الدّين القويم»[47] وهو مقصد كل الخصائص المذكورة، فما كان القرآن كلام الله المعجز والمنزل والمتواتر المحفوظ والمتعبّد بتلاوته إلا لبلوغ البشر في تلقيه وفهمه

[45]- المرجع نفسه، ج1، ص 21.

[46]- الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي. مرجع سابق، ج1، ص421.

[47]- الحَمَد، غانم قدّوري. محاضرات في علوم القرآن. دار عمّان، عمّان، الأردن، ط1، 2002، ص166.

والاهتداء بتفسيره في التماس طريق الله في عبادته والاحتكام إليه والحياة في ظلاله والاقتباس من أنواره ورحماته.

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (196)﴾[48].

ويقول تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ (3)﴾[49].

ويقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (29)﴾[50].

فالهداية هي جزء من حقيقته **يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)﴾**[51].

والتأمّل في هذه الآيات ومثلها التي تتكلّم عن حقيقة القرآن، يقودنا إلى تلك العناصر والخصائص القرآنيّة في التعريفات السابقة، ولكن يقودنا كذلك إلى ما تمّت الإشارة إليه من خاصيّة البيان لإبلاغ البشر وهديهم إلى الصراط المستقيم، ليستبين للخلق منهج الحق وسبل الرشاد[52] وهو مقصد القرآن الكريم، وهو العنصر الغائب في التعريفات، لذلك فإنّني أقترح التعريف الموالي:

إنّ القرآن الكريم هو كلام الله المُبارك المُعجز المُبين، المنزل على سيّدنا محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، المكتوب في المصاحف، والمتواتر إلينا، المتعبّد بتلاوته، دليل هداية العباد للصراط المستقيم.

و إظهار جانب البيان ومقصد الهداية في مفهوم القرآن أنسب لموضوع التفسير، ومجمل خصائص التعريف التي هي جوهر مفهومه، تُشكّل وثاقة نقل النص القرآني من الله الحاكم والحكيم إلى عباده بواسطة رسوله الكريم، نقلا أحاطته العناية الإلهية،

---

[48]ـسورة الشعراء، الآيتان، 192- 196.

[49]ـ سورة يوسف، الآيتان: 1-3.

[50]ـ سورة ص، الآية: 29.

[51]ـ سورة البقرة، الآية 02.

[52]ـ يُنظر: الشعراوي، محمد متولي. خواطري حول القرآن الكريم. أخبار اليوم، القاهرة، مصر، دط، 1991، ص 17.

بما توفّرت له من أسباب الأمان والتواتر الخطّي والشفهي، بما يليق بدين أراد له الله عزّ وجلّ أن يكون خاتم الأديان، ورسالته للخليقة «مصحوبا بوعد الحفظ والبيان فتلقّاه صلّى الله عليه وسلّم بكل قلبه وجوارحه حرصا وعرفانا وامتنانا... إلى تلقّي الأمّة المحمديّة القرآن الكريم عن النبي صلّى الله عليه وسلّم بصورة يتحقّق فيها معنى التلقّي.. وهو استماع ما يُلقى على ما ذكرناه، وتتسع لما هو بمعناه، أي بالفعل»[53] وهكذا ترسّخ القرآن بوصفه خطاب الله المحفوظ إلى خلقه جميعا.

بلّغ النبي صلّى الله عليه وسلّم الأمانة كما أدّى الرسالة « وأنّه لم يمت صلّى الله عليه وسلّم حتى حفظ جميع القرآن جماعة من أصحابه، وحفظ الباقون منهم سائره متفرّقا، وعرفوا مواقعه ومواضعه»[54] حتى اجتمعوا على كتابته ومصحفه الجامع الذي بين أيدينا، كما اجتمعت على كنه مدلوله، ومعرفه دلالة مفهومه، وعليه تُصبح خصائص مفهوم القرآن الكريم في التعريف المقترح والمُناسب للتفسير بإظهار خاصيّة دلالة القرآن إلى كل خير و هداية، بفهم مدلول خطابه ولا يكون ذلك إلا بمعرفة طريق تفسيره:

1- هو كلام الله.

2- المعجز والمبين.

3- المنزّل على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

4- المكتوب في المصاحف.

5- المنقول بالتواتر.

6- المتعبّد بتلاوته.

7- دليل هداية العباد للصراط المستقيم.

وهذه الخصائص تُحيلنا إلى فهم أهميّة التعامل وفهم القرآن الكريم، ومعاني بذل الجهد، واستنفاذ الطاقة في الوصول إلى مقاصده ومُراد خطابه، قصد بلوغ دلالات أحكامه، لبلوغ السعادة في الدارين، وتحقيق مصالح العباد في حياتهم ومعادهم، وإرضاء ربّهم في قبول هديه ورحمته وشفائه عند الاهتداء بنوره، فكيف لا يُبادر العبد

---

[53]- جبل، محمد حسن. وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله إلى أمّته. دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2001، ص14

[54]- الباقلاني، أبوبكر. الانتصار للقرآن. تحقيق: القُضاة، محمد عصام، دار الفتح، عمّان، الأردن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج1، ص64.

لفهم كلام ربّه، ومع إعجاز هذا الكلام فهو مبين لفهم أوجه هذا الإعجاز وفهم مراد خطابه، كما نقله لنا وبيّنه وحكم به نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، فنقل إلينا بالتواتر حفظا وكتابة، فنتعبّد بتلاوته كما نتعبّد بفهمه والتزام حُكمه، لأنّه دليلنا للصراط المستقيم الذي ارتضاه لنا ربّنا الذي به نستعين، ولا يأتي ذلك إلا بالتدبّر والتفكر في آياته وسُوَره، وفهم خطابه ومقاصده وهديه أحكامه، ووسيلة ذلك فهم مقاله من خلال التفسير.

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) ﴾[55]

1-2: خصائص نظم القرآن الكريم:

نظم القرآن الكريم هو جزء من ماهيّة القرآن الكريم، لأنّه حقيقته التي تحمل كنهه، كونه كلام الله، الذي لا شكّ ولا ريب في أنّه محفوظ، بآياته وسوَره، وصل إلينا باجتماع الأمّة حوله، والإجماع على تواتره من جيل إلى جيل، وانعقد الإجماع على أنّ نظم آياته في سوَرها كما هو مرسوم في مصاحفنا على غير ترتيب نزوله لأنه توقيفي بأمر من النبي صلّى الله عليه وسلّم، كما تعارف عليه الصحابة في زمنه، فحفظته الصدور، وارتسم في المصاحف، ولذلك فإنّ«الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك»[56] ونظم آياته جزء من أوجه إعجازه، وبلاغة بيانه، وعلى تنوع مواضيعها فهي من حيث ترابطها وتناسقها البلاغي والدلالي والصوتي في نظم وبُنية جمعت بين الإعجاز والبيان، وبين الانتظام والإحكام، فتناسقت في غاية الكمال والجمال، وتناسبت أساليبها ومضامينها.

وترتيب السُوَر في نظمه دلّ التحقيق على أنها توقيفية[57]، والخلاف فيها لفظيا[58]، ومجمل الكلام عن الخلاف حول سورتين في رواية هي رواية يزيد الرقاشي[59] عن ابن

---

[55]- سورة النحل، الآيتان: 89-90.

[56]- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص394، وينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد، مرجع سابق، ج1، ص256.

[57]- ينظر: المحرّر في علوم القرآن. الطيّار، مساعد بن سليمان بن ناصر، مرجع سابق، ص 197-202.

عباس[60]: قال: قلت لعثمان بن عفّان[61]: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطّوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه في السوَر ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا من يكتب له فيقول: ضعوا هذا في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا... وكانت الأنفال من أوّل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن فكانت شبيهة بقصّتها، فظننت أنّها منها، وقُبض صلّى الله عليه وسلّم ولم يُبيّن أنّها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعناها في السبع الطوال»[62] وفي هذه الرواية نفسها ما يدل أن ترتيب القرآن كان توقيفيا، وكل ما أثير حول اجتهاديّة الترتيب كان محصورا.

وهذه الرواية بغضّ النظر عن صحّتها، فهي نفسها تدل أنّ الترتيب كان توقيفيا، في سؤال ابن عباس عن المثاني والمئين دلالة أنهم كانوا يعرفون منهجيّة للترتيب، وفي قول عثمان دلالة عن متابعة الرسول لكتابة الوحي وأنّ الأنفال وبراءة كانت الاستثناء وليس الأصل، في قوله قُبض رسول الله صلّى الله عليه وسلم ولم يُبيّن أنّها منها، فلماذا يُصبح عدم الترتيب هو الأصل، مع وجود آثار ومصوّغات أقرب « لأنّه قد يجوز أن

وينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن، الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، تحقيق: شعباني، محمد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الرياض، السعودية، 1990، ص66،

[58]- ينظر : البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد، مرجع سابق، ج1، ص257.

[59]- يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمر البصري القاصّ، زاهد ضعيف، مات قبل 120ه. ينظر: تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد إبراهيم شقرة، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، 2005، ص670.

[60]- ابن عبّاس: عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب، ابن عمّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ومن صحابته الكرام، ولد سنة 3 ق ه الموافق 619 م عُرف بترجمان القرآن، لدعاء النبي له، توفي سنة 68ه الموافق 687م، من آثاره تفسير للقرآن الكريم. ينظر: الأعلام، الزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002، ج4، ص 95، ويُنظر طبقات المفسّرين، الأدنروي، أحمد بن محمد، تحقيق: الخزي، سليمان بن صالح، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1997، ص 3.

[61]- عثمان بن عفان: صحابي جليل، الخليفة الراشد الثالث، ولد بمكة سنة 47 ق ه الموافق 577م، ذو النورين، تزوج ببنتي الرسول صلى الله عليه وسلّم، وأتم في عهد خلافته جمع القرآن الكريم، اغتيل سنة 35ه الموافق 656م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص 210.

[62]- ينظر: مسند الإمام أحمد، مسند عثمان بن عفان، الحديث رقم: 399. وينظر: سنن الترمذي، فضائل القرآن، الحديث رقم: 3086.

يكون إنّما لم يكتب في أوّل براءة بسم الله الرحمن الرحيم. . من كونها نازلة بالسيف لا أمان فيها أو لغير ذلك»[63] ومن قرائن وأدلّة أن ترتيب السوَر هو توقيفي:

- هو «أنّ القول بالاجتهاد ليس له دليل يُمكن أن يعوّل عليه إلا خبر ابن عبّاس عندما سأل عثمان رضي الله عنه عن سبب إلحاق سورة التوبة بسورة الأنفال][...] وهو خبر ضعيف أو لا أصل له كما يقول الشيخ أحمد شاكر[64] لأنّ مداره على يزيد الرقاشي وهو مجهول»[65]، وهو عند البخاري من الضعفاء ولا يخصّ إلا هاتين السورتين[66]، ولا يصمد أمام أدلّة التوقيف وقرائنه.

- كذلك « ذهب كثير من العلماء إلى أنّ ترتيب السوَر في المصحف توقيفي[67]، وأنّ هذا الترتيب محفوظ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإن لم يكن في زمنه مصحف مكتوب، وأنّ زيد بن ثابت[68] حين جمع القرآن في المصحف رتّبه على ذلك الترتيب المعتمد، لكن عددا من العلماء ذهب إلى جواز أن يكون ذلك الترتيب باجتهاد من الصحابة بوجود روايات تشير إلى أنّ بعض مصاحف الصحابة القديمة كانت السوَر فيها مرتّبة على نحو مغاير»[69] وهذا أمر طبيعي في وقت تنزّل الوحي، وشيوع الكتابة بين الصحابة.

وكذلك « ما روي من روايات عن الصحابة بشأن قراءة النبي صلّى الله عليه وسلّم للقرآن، وقراءتهم هم له، تدل على أنّ ترتيب السور في المصحف توقيفي أيضا، وأنّ الصحابة أخذوه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأسماء السور كانت معروفة في

---

[63]- الباقلاني، أبو بكر، الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص282

[64]- أحمد شاكر: مُحقق وعالم بالحديث والتفسير، ولد بالقاهرة 1309ه، 1892م بالقاهرة، حائز على العالميّة من الأزهر الشريف، اشتغل بالقضاء، اختصر تفسير ابن كثير، ووسمه بعنوان: عمدة التفسير، وتوفي سنة 1377ه، 1958م. ينظر: معجم المفسّرين، نويهض، عادل. مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1988، ص 78.

[65]- الخطيب.، أحمد سعد. مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص534. ويُنظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، محمد محمد ، دار اللواء، الرياض، السعودية، ط3، 1987، ص333.

[66]- ينظر: أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره وآياته. آدم بمبا، مركز جمعيّة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربيّة، ط1، 2009، ص 330.

[67]- السيوطي، الزركشي : ابن عطيّة، ابن الأنباري، أبو جعفر النحاس,,,

[68]- - زيد بن ثابت الأنصاري كاتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأمينه على الوحي، وجمع القرآن على عهده، وكتبه لأبي بكر وعثمان وتوفي سنة 48 ه. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج3، ص57. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ص197.

[69]- الحَمَد، غانم قدّوري. محاضرات في علوم القرآن. مرجع سابق، ص7.

زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم وكان حفظة القرآن من الصحابة يتلونه على ترتيب معروف لديهم»[70] خصوصا في السنوات الأخيرة، والسنتين الأخيرتين، حيث أخذ القرآن الكريم أغلب نظمه الأخير، وأمّا اختلاف بعض المصاحف الأولى للصحابة مثل أبيّ بن كعب[71] أوعليّ بن أبي طالب[72] أو عبد الله بن مسعود[73] فإنما كان قبل العرض الأخير، وترتيب المصحف كتابة، لأنّها كانت تُكتب أثناء التنزيل[74]، وهناك قرائن كثيرة تدلّ على ذلك منها:

- و هذا ينسجم مع سياق الآيات الدّالة على حفظه، ومصداقا لجمعه وحفظه وبيانه، فكلها توقيف وتوفيق من الله، آخر أدلتها إجماع الأمّة على ذلك:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)﴾[75]

وهنا جاء الوعد بالحفظ مفصّلا على أوجهه « وقد ثبت تفسير الآية بجمع الصدر أي حفظه في الصدر»[76] بما فيه البيان الذي هو جزء من خصائص القرآن التي تمنحه الحفظ والبقاء في المصاحف والصدور والعقول « وإنّه إنّما عنى بذلك أنّه يحفظه على المكلفين للعمل بموجبه والمصير إلى مقتضاه ومتضمّنه، وأنّه يجمعه لهم فيكون

---

[70]- المرجع نفسه، ص 73.

[71]- أبيّ بن كعب: صحابي جليل، ومن فقهاء الصحابة، أخذ القرآن الكريم ومعانيه عن النبي صلى الله عليه وسلّم، وكان سيّد القرّاء، وشارك في جمع القرآن في خلافة عثمان، وتوفي على الراجح سنة 33ه. ينظر: طبقات المفسّرين، الأدنروي محمد بن أحمد، مرجع سابق، ص6، وينظر: معجم المفسّرين، نويهض،عادل. مرجع سابق، ج1، ص 25، وينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج1- ص82. .

[72]- عليّ بن أبي طالب: أبو الحسن، صحابي جليل، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عمّ النبي صلّى الله عليه وسلّم، وصهره، ولد بمكة وعاش بها 23 ق ه، 600م، وهو أكثر الخلفاء تفسيرا للقرآن الكريم، واغتيل سنة 40ه، 661م. ينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ج1، ص 364، 365.

[73]- عبد الله بن مسعود: صحابي جليل، أخذ القرآن عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأوّل من جهر بالقرآن، توفي سنة 32ه، ودُفن بالبقيع. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص 137، وينظر: طبقات المفسّرين، الأدنروي، أحمد بن محمد، مرجع سابق، ص 4.

[74]- ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، الطاهر. الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984، ج1، ص 87.

[75]- سورة القيامة، الآيتان 17-19.

[76]- ينظر: توثيق وجمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلّم في ضوء السُنّة النبويّة. عنتر، نور الدين، مجلة مركز بحوث السُنّة والسيرة، جامعة قطر، الدوحة، قطر، 1993، ص81.

محفوظا عندهم ومجموعا لهم دونه ومحروسا من وجوه الخطأ والغلط والتخليط والإلباس، وإذا كان ذلك كذلك وجب بهاتين الآيتين القطعُ على صحّة مصحف الجماعة وسلامته من كل فساد»[77] بتوقيف وتوفيق من الله تعالى.

أ- هذا ينسجم مع حرص النبي صلّى الله عليه وسلّم على كتابة القرآن وتوجيه كُتّاب الوحي إلى موضع الآية والآيات في السورة، ومدارسته للقرآن وعرضه إيّاه على مسمع جبريل عليه السّلام، وفي الحديث «**عن أبي هريرة قال: كان يعرض النبي صلّى الله عليه وسلّم القرآن كل عام مرّة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قُبض فيه**»[78] و«**عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأنّ جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة** »[79]

ب - وينسجم مع الأحاديث والروايات المتعدّدة التي تضمّنت ترتيب السور وأنّها كانت معروفة بهذا الترتيب، منها:

ما جاء في مثل: «**أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضّلت بالمفصل**»[80]

أو ما نُقل عن «**عبد الله بن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنّهنّ من العتاق الأولى**»[81]

وهناك آثار كثيرة شاهدة بصحّة نسق الترتيب كما استقرّ في المصحف الشريف.

ج - وهذا ينسجم مع سياق جمع القرآن وتعاهده بين الصحابة، والحرص عليه، «ولزوم ترتيبه على سَنن من لقّنوه، وكيف يجوز مع هذا أن يذهبوا عن حفظ القرآن الذي هو الأصل أن يُؤخّروا منه مقدَّما أو يُقدّموا مؤَخّرا، ويجتهدوا في إحالة نظمه وتغيير ترتيبه»[82] وهم الذين وقفوا عند حدوده، وعاشوا معه، وقاموا على جمعه، أوّلهم زيد بن ثابت رئيس لجنة كتابة المصحف الجامع الذي قرأ القرآن على رسول الله صلّى

---

[77]- الباقلاني، أبوبكر. الانتصار للقرآن، مرجع سابق، ص131.
[78]-صحيح البخاري، فضائل القرآن، الحديث رقم: 4614.
[79]- صحيح البخارين فضائل القرآن، الحديث رقم: 4613.
[80]- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ناصر الدين، الحديث رقم: 1480.
[81]-صحيح البخاري، فضائل القرآن، الحديث رقم: 4610.
[82]- الباقلاني، أبوبكر. الانتصار للقرآن. مرجع سابق، ج1، ص234.

الله عليه وسلّم في عام وفاته وفي عرضته الأخيرة وكتبها له[83] وهذا الواقع في جمع القرآن وتعاهده والعناية به، ومكانة القرآن ومحوريته في الحياة الإسلاميّة، في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم، وواقع الصحابة رضي الله عنهم، يؤكد أن القرآن كان معروفا بترتيبه الذي أجمعت عليه الأمّة، ومن أوجه هذه العناية كون القرآن الكريم ارتبط بالترتيل، من جهة التعبّد بترتيله والاستماع إليه، ومن جهة قراءة آياته وسوره في الصلاة، وهذا كله يشهد بترتيبه.

د - وينسجم مع تناسب السور فيما بينها ممّا كتب فيه العلماء وأشار إليه المفسّرون[84] ، وهو تناسب موضوعي وبياني « الأول بيان مناسبات ترتيب سوره، وحكمة وضع كل سورة منها. الثاني: بيان أنّ كل سورة شارحة لما أُجمل في السورة التي قبلها [,,,] مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سبقت له، وذلك براعة الاستهلال، الخامس: مناسبات ترتيب آيات واعتلاق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها وتناسبها»[85] وهذا التناسب في النظم القرآني تُبيّن أن بنية هذا النظم هي جزء من الإعجاز البياني والموضوعي للقرآن الكريم، «ما جدوى علم المناسبة بين السور لو كان الترتيب اجتهاديا؟ فالقول بالاجتهاد كلّا أو بعضا يُسقط هذا العلم بالكليّة»[86] فانسجام النظم في تناسب السور يدعم القول بالتوقيف، لأنّه تناسب موضوعي ودلالي وإعجازي.

ه – الخلاف هو خلاف لفظي « والخلاف بين الفريقين يرجع إلى اللفظ، لأنّ القائل بالثاني يقول: إنّه رمز إليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله، ومواقع كلماته»[87] ولذلك مَن ذكرهم السيوطي بهذا القول، فأمّا مالك، « قيل لمالك: لمَ قُدّمت السوَر الكبار في التأليف وقد أنزل الله بعضها قبل بعض؟ قال: أجل، ولكن أراهم إنّما ألّفوه على نحو ما كانوا يسمعون من قراءة النبي صلّى الله عليه وسلّم »[88] ونقله السيوطي « ولهذا قال مالك : وإنّما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم»[89] ولذلك فهو لم يكن يرى أن جمعهم القرآن كان اجتهاديا بمعنى الرأي، أما الباقلاني

---

[83]- ينظر : البرهان في ترتيب سور القرآن، الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ، مرجع سابق، ص 39، 38.

[84]- يُنظر: أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، جلال الدين. مرجع سابق، ص17 و70- 73.

[85]- المرجع نفسه، ص 66.

[86]- الخطيب، أحمد سعد. مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص 536.

[87]- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 257.

[88]- ينظر: كتاب الحوادث والبدع. الطرطوشي، أبو بكر. تحقيق: زكي، عبد المجيد. دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص216.

[89]- ينظر : الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين، مرجع سابق، ج1، ص407

فنسب إليه ذلك في أحد قوليه « فإنّ الخلاف بين الجمهور هو كل الترتيب للسور ببيان قولي صريح، أو بعضه هكذا، وبعضه بغير قول، فكان مآل الأمرين إلى أنّه توقيفي، وإن اختلفت طريقة التوقيف»[90] فهناك ترتيب بالقول الصريح وهناك ترتيب مستفاد من فعله صلّى الله عليه وسلّم وقراءته للقرآن الكريم.

ز- و هذا ينسجم مع لطائف الإعجاز الرقمي للقرآن الكريم، ولا شك أن عصر العلم الذي شهد الإعجاز العلمي، وشواهده كثيرة، فإنّ هذا العصر عصر الرقمنة، كشف وسيكشف مستويات إعجازيّة رقميّة، تمنح قرائن على أنّ هذا الكتاب ليس تأليفا بشريا، وتلك اللطائف الرقميّة التي اكتشفها الباحثون تدل أنّ هذا النظم هو نظم ربّاني، ومن بين فوائده استنباط أنه لم يطاوله التبديل والتحريف، « وتأتي الملاحظات العدديّة لتجزم بمذهب الجمهور وتحسم الخلاف حول هذه المسألة»[91] بما في ذلك ترتيبه سواء للآيات أو للسور، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14) ﴾[92]

وهذا في سورة هود، وسورة هود هي السورة العاشرة بعد البقرة، أو قبلها عشرة سور في المصحف، وهي سورة مكية، وقبلها سور مدنيات في المصحف[93]، ومن اللطائف العددية التي تدعم هذا الأمر فإنّ «عدد سور القرآن الكريم 114 سورة تنقسم إلى 60 سورة زوجيّة الآيات، مثل البقرة 286 آية، وآل عمران 200 آية، و54 سورة فرديّة الآيات مثل الفاتحة 07 آيات والتوبة 129 آية [...] تنقسم السور ال 60 زوجيّة الآيات إلى 30 سورة ترتيبها في المصحف زوجي، زوجيّة الترتيب، و30 سورة ترتيبها في المصحف فردي، فردية الترتيب»[94] وكذلك بالنسبة للسور فردية الآيات، حيث «أنّ السور فرديّة الآيات والتي هي 54 سورة، تنقسم إلى 27 سورة فردية

---

[90]- عنتر، نور الدين. توثيق وجمع القرآن الكريم من عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم في ضوء السُنّة النبويّة، مرجع سابق، ص 26.

[91]- جرّار، بسّام نهاد. المقتطف من بيّنات الإعجاز العددي. نون للأبحاث والدراسات القرآنيّة، البيرة، فلسطين، ط3، 2015، ص45.

[92]- سورة هود، الآية 13، 14.

[93]- الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص259.

[94]- جرار، بسّام نهاد. المقتطف من بيّنات الإعجاز العددي، مرجع سابق، ص 45.

الترتيب، و27 سورة زوجيّة الترتيب أيضا»[95] ومن أوجه هذا البحث العددي والرقمي كذلك « تتوسط سورة العنكبوت سور الفواتح، فهناك قبلها 14 سورة وبعدها أيضا 14 سورة واللافت للانتباه أنّ هذه السورة التي تتوسط سور الفواتح ال29 هي السورة 29 من ترتيب المصحف الشريف»[96] ومثل هذه اللطائف الرقميّة تدل أنّ هذا النظم القرآني يحمل الإعجاز في بُنية نظمه وترتيبه كذلك.

إن القرآن الكريم كتاب الله وخطابه إلى خلقه، الذي أنزله معجزة للنبي صلى الله عليه وسلّم، وحجّة نبوّته، فحمل من الأوصاف والميزات ما قصرت على حصره أقلام العلماء واجتهادات المجتهدين، ولكنها ذكرت من بحره ما استطاعت «فهو العصمة الواقيّة، والحجّة البالغة، والدلالة الدّامغة، وهو شفاء الصدور، والحُكم العدل، عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخبو نوره وسناؤه، وبحر لا يُدرك غوره...»[97] وهذا جزء من خيره، فهو الكتاب الذي اكتملت خصاله، وتمّت بركاته ممّا شعرت به الأنفس في تلاوته، وتشرّبت من بركاته الأرواح، وتلقّت العقول باستسلام سلطان بيانه « وأمّا ما ذكر الله عزّ وجلّ من نعوت كلامه المنزّل على محمد صلّى الله عليه وسلّم فكثير فهو: هدَى، وشفاء، ورحمة، وموعظة، وذكرى، وبشرى، ونذير، وبيان، وروح، ونور، ومبين، ومفصّل ومبارك، وبصائر، وكريم، وعليّ، وحكيم، وعزيز، ومجيد، وقيّم، وأحسن الحديث، وغير ذلك من الصّفات الدّالة على عظمته ومنزلته ورفيع قدره ممّا اقترن بذكره أو عند الإشارة إليه في كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه »[98] فهو الكتاب الحق الذي لا يتسرّب الريب فيه، ولا يخالطه الخطأ من أي وجه، ولا يوجد فيه اختلاف بين حقائقه.

يقول تعالى:﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)﴾[99]

فهو حبل الله ونوره إلى خلقه، لهدايتهم إلى ما فيه سعادتهم ونجاتهم، ومصالحهم.

---

[95]- المرجع نفسه، ص46.

[96]- جرار، بسّام نهاد. المقتطف من بيّنات الإعجاز العددي، مرجع سابق ، ص 66.

[97]- الزركشي، بدر الدين محمد. من مقدمة البرهان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص 4، 3.

[98]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مركز البحوث الإسلاميّة، ليوز، بريطانيا، ط1، 2001، ص13.

[99]- سورة فصّلت، الآية 42.

يقول تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52)﴾[100].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15)﴾[101].

فهو نور يهدي الخلق إلى خالقه، وكتاب مبين يدلّهم إلى ربّهم وطريقهم إلى عبادته وسعادتهم في الدارين، فجاء نظمه مناسبا لغايته في الهداية والدلالة، و هذا الكتاب لم ينزل لقوم مخصوصين، ولا لزمان بعينه، ولكنه كتاب جاء رحمة للعالمين، يحمل هدايتة للبشرية، ونوره يشمل الكون بأسره، فيشمل بنوره جميع خلقه، بل يشمل الكون كلّه، فهو حجّة على خلقه، ورحمة على كونه...

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (50) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51)﴾[102].

القرآن هو الرحمة والذكرى لمن تلقّاه بقلب مؤمن، فتشرّبت نفسه من أنواره وكذا بشائره، **يقول صلّى الله عليه وسلّم « ما من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة»**[103].

فكان القرآن معجزته ودليله الذي يكون دليل البشر على الهداية الربّانيّة «أي ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر، ثمّ لمّا مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه، وأمّا الرسول الخاتم للرسالة صلّى الله عليه وسلّم، فإنّما كان معظم ما آتاه الله وحيا منه إليه منقولا إلى الناس

---

[100]- سورة الشورى، الآية 52.

[101]- سورة المائدة، الآية 15.

[102]- سورة العنكبوت، الآيتان 50، 51.

[103]- صحيح البخاري، فضائل القرآن، الحديث رقم: 4698، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 152.

بالتواتر، ففي كل حين هو كما نزل»[104] ربيع القلوب ونور الأبصار والبصائر، لما يحمله من حقائق وهدايات.

فجاء القرآن لمصالح الناس ومقاصد معاشهم ومعادهم «والقرآن الكريم يجيء إلى البشر أجمعا أجمعين ليبني قواهم على الحق، ولينشئ عواطفهم على الخير، وليجعل التعاون على البرّ والتقوى الصلة الفذّة لمجتمعهم، والغاية الكبرى من تواصل عمرانهم »[105] فجاءهم بهذا النور الروحي والمعرفي في نظم يليق بخطاب الله وكلامه وهدايته وتذكيره، فجمع بين الإعجاز في متنه ومضمونه، والتعبّد في تلاوته، وتيسير البيان في لسانه ومعانيه، والهدى والتقوى في مقاصده ومراميه، والخير في أحكامه...

1-3: القرآن مُعجز ومُبين.

الإعجاز من خصائص القرآن الأصيلة التي هي جزء من مفهومه، وحجّته في إسناده لربّ العالمين على خلقه «الإعجاز: إثبات العجز، والعجز اسم للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بإعجاز القرآن إظهار صدق النبي صلّى الله عليه وسلّم في دعوى الرسالة بإظهار عجز الجنّ والإنس عن معارضته في معجزته الخالدة القرآن الكريم»[106] فكان القرآن الكريم معجزة النبي الخالدة، بإعجازه الخلق الإتيان بمثله أو بمثل جزء منه.

يقول تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (23) ﴾[107]

و هذا الإعجاز كان شاملا وكليّا ودائما ذلك أنّ «إعجاز القرآن: إثبات عجز البشر عن الإتيان بمثله أو بمثل بعضه، في ألفاظه ومعانيه، وهذه الخصوصية جعلت القرآن أعظم الأدلة على صدق النبي صلّى الله عليه وسلّم في رسالته والحجّة الباقيّة على الناس إلى أن تقوم الساعة»[108] فالقرآن جمع بين الخاصيتين، إعجاز نظمه، وتيسير بيانه، فأمّا من حيث إعجاز نظمه ففي «جودة سبك القرآن وإحكام سرده، ومعنى هذا أن القرآن بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته وسُوَره، مبلغا لا يُدانيه

---

[104]- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، فضائل القرآن، تحقيق: الحويني، أبو إسحق، مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، مصر، ط1، 1416، ص42

[105]- الغزالي، محمد. مقدّمة نظرات في القرآن، مرجع سابق، ص7.

[106]- الخطيب. أحمد سعد. مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص 147.

[107]- سورة البقرة، الآية 23.

[108]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 14.

فيه أيّ كلام آخر، مع طول نفسه وتنوّع مقاصده»[109] ولهذا تشرّبته أرواح المتلقّين، واستسلمت له عقول الراشدين، وانشرحت له الأنفس واستقبلته الخواطر باطمئنان وسكون لطلاوته وحلاوة منطقه، وسحر بيانه وجَمال تركيبه، فلم تجد فيه ما يعيبه، أو تأخذه عليه، فعندما استسلمت له أقبل عليه من أقبل، ورماه بالشعر والسحر من أدبر، وحتى عندما نسبوه للشعر أو السحر أو الجن، وإن كان من باب إنكارهم، فإنّه يحمل إقرارا منهم أنه ليس بالكلام العادي الذي يأتي به البشر، وأن لا عيب فيه ولا اختلاف سوى نسبته إلى قوى كان يرى العرب أنها فوق طاقة البشر« فعُلم أنّ الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وبهرت، هي أنّه كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهيا إلى غاية لا يُطمح إليها بالفكر »[110] فكان في تسليمهم كما في إنكارهم ما يدلّ على إقرارهم بإعجازه وحُسن خطابه، وسحر بيانه، وصحّة متنه، وخلوّه من العيوب و الاختلاف.

والقرآن الذي تحدّى أهل البلاغة والبيان، وأهل المعرفة والعرفان، لم يتحدّاهم في غير لسانهم الذي يعرفونه، يعرفون حروفه ولفظه وبيانه « ومن عجيب هذا القرآن وأمر هؤلاء العرب، أنه طاولهم في المعارضة، وتنازل لهم عن التحدّي بجميع القرآن إلى التحدّي بعشر سور مثله، ثمّ إلى التحدّي بسورة واحدة من مثله، وهم على رغم هذه المطاولة، ينتقلون من عجز إلى عجز»[111] ومن تسليم إلى تسليم، فقد سلّموا بإعجازه وسموّه وعجيب أسلوبه، وهو بلسانهم الذي يفهمونه. **يقول تعالى:﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (88)﴾**[112]

فالقرآن الكريم جمع بين الإعجاز والهداية، حيث « أن القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز»[113]وهكذا رسّخ القرآن بإعجازه هيمنة خطابه، وسلطان كلامه، وعلوّ حُكمه، وحقائق أخباره، ويقين وعوده.

والإعجاز صفة قرآنية، لتثبيت حقيقته، وترسيخ الإيمان به، لتصبح مع مرور الزمن محور العمليّة المعرفيّة والعلميّة في التعامل مع القرآن، في علومه المختلفة« بل هو

---

[109]- الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج2، ص248.

[110]- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 23.

[111]- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 260.

[112]- سورة الإسراء، الآية 88.

[113]- الزرقاني. محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص 25.

معجزة حتى قيام الساعة... والقرآن كلام الله ولذلك جاء القرآن يعطي إعجازا لكل جيل بما نبغوا فيه»[114] فهو متجدّد بتجدّد العصور«وعليه يجب أن يكون إعجاز القرآن صفة ملازمة له عبر العصور والأجيال، وهي صفة يُدركها العربي في الجاهلية بذوقه النظري [...] لأنه ليس من توابعه بل من جوهره، وإنما أصبح المسلم مضطرّا إلى أن يتناوله في صورة أخرى وبوسائل أخرى»[115]حسب العصر، وحسب وجه الإعجاز المراد كشفه، فعرف أهل كل عصر أوجها من الإعجاز، وكشفوا عنه وتناولوه، ممّا يُناسب علوم عصرهم وما برعوا فيه في زمانهم، وما اكتشفوه من حقائق الكون والحياة.

والإعجاز تضمّن حُسن نظمه، وكذلك بيانه فلم يكن الإعجاز حاجزا لتتلقاه العقول والأنفس، وليس هو عائقا أمام طاقتها في فهم معانيه، لأنه جاء بلسانها، ذلك «أنّ إعجاز القرآن لاشتماله على تفرّد الألفاظ التي يتركب منها الكلام، مع ما تضمّنه من المعاني، مع ملاءمته التي هي نظوم تأليفه »[116] فلم يكن غريبا عن لغتهم وخطاب كلامهم «حيث كان القرآن مُعجزا أفحم الفصحاء، وأعجز البلغاء أن يأتوا بمثله، فذلك لا يُخرجه عن كونه عربيا جاريا على أساليب كلام العرب، مُيَسّرا للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى عنه»[117] ولذلك لم يُنكروا جَماله وسحره وحلاوة بيانه، ولم يحتجّوا على غُموضه أو خَفاء معانيه، لأنه كان يُخاطبهم على سليقتهم اللغوية، وبما ألفوه من لسانهم.

وعليه فالإعجاز في القرآن ليس غاية في ذاته، بقدر مقصده في إقامة الحُجّة والبرهان على أنّ القرآن كلام الله إليهم، فإذا أقرّوا بذلك، فآمنوا وصدّقوا، تلقوا حُكمه بالتصديق والتسليم، فعاشوا هدايته كما أرادها الله عزّ وجلّ لهم لأن «إعجاز القرآن خَلقَ الله عن الإتيان بما تحدّاهم به، ولكن التعجيز المذكور ليس مقصودا بذاته، بل المقصود لازمه، وهو إظهار أن هذا الكتاب حق... لحكمة عالية، وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا بإتباعه في الدنيا والآخرة»[118] لذلك كان تيسير القرآن الكريم للتلقي أحد ميزاته، لغرض الأثر في النفس والعقل للدليل والهداية.

---

[114]- الشعراوي، محمد متولي. خواطري حول القرآن الكريم. مرجع سابق، ج1، ص 13.

[115]- بن نبي، مالك. الظاهرة القرآنية. مرجع سابق، ص67.

[116]- الزركشي، محمد عبد العظيم، مناهل البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 174.

[117]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ج3، ص213.

[118]- الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج2، ص 259.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(17)﴾[119].

وتيسير تلقّيه ثم فهمه يُناسب حكمة التكليف، فلو لم يكن القرآن مفهوما، ميسّرا للتفسير ومعرفة معاني خطابه، ودلالات كلامه، لكان التكليف بما فيه من أحكام، أو الإيمان بما فيه من القصص والأخبار تكليف بما لا تُدركه العقول، « إذ لو خرج الإعجاز عن إدراك العقول معانيه، لكان خطابهم به من تكليف ما لا يُطاق، وذلك مرفوع عن الأمّة، وهذا من جملة وجوه الإعجاز به فيه »[120] وبذلك يتحقّق مراد الإعجاز في الجمع بين الإعجاز الذي يتعالى نظمه عن قدرة البشر، ومن جهة أخرى أن يكون من البيان ما تعقله الألباب، وتتدبّره البصائر، وتتذكّره الأنفس الطاهرة، مثلما تطمئن إليه القلوب «إذ من العجب إيراد كلام من جنس كلام البشر في اللسان والمعاني والأساليب، مفهوم معقول، ثم لا يقدر البشر عن الإتيان بسورة مثله ولو اجتهدوا وكان بعضهم لبعض ظهيرا »[121] فسلّموا البشر بإعجازه، واجتهدوا في بلوغ معانيه، واكتشاف أوجه الإعجاز فيه، «والحُجّة فيه وبه ظاهرة لمن أرادها، والعلم بها ممكنا لمن التمسه، فإذا كنت لا تشك في أنّ لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن إلا أن الوصف الذي كان معجزا قائم فيه أبدا، وأن الطريق إلى العلم به موجود، والوصول إليه ممكن »[122] فجمع بين المقصدين، الإعجاز من جهة، وإمكان العلم به من جهة أخرى.

فهم البشر للقرآن هو باب هدايتهم، لأنه كلام الله إليهم، فهو طريق تعبّدهم ونَجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة « إن القرآن هداية الله للحياة كلّها، إذا كانت آيات الكون صامتة يَستنبط الناس منها الفكرة، ويَستخلصون منها العبرة، فآيات القرآن ناطقة تُعرّف الناس بربّهم وتتولّى إليه قيادهم »[123] فليس للبشر طريق غيره يصلون به إلى معرفة الله وفهم تكاليفهم، والاهتداء به في طريقهم المستقيم للوصول إلى مرضاة ربهم وفوزهم « تلك الهداية التي صحبت الركب الإنساني منذ بداية الطريق، ثمّ تدرّجت في أطوار شتى مع التاريخ السائر الدؤوب، ثم انتهت إلى صبغتها الأخيرة ووصفها الثابت في ذلك الكتاب العزيز، ثم كُتب لها الخلود لتبقى أبدا منارة الحق، ومثابة الرشد»[124] ولذلك كان فهمه وتفسيره وتدبّر معانيه، والاجتهاد في استنباط أحكامه وحكمه، من أكبر مقاصد أصحاب العقول النيّرة، وأصحاب الأنفس الطاهرة « ولأن كل كمال ديني

---

[119]- سورة القمر، الآية : 17.

[120]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص215.

[121]- المرجع نفسه، ص 214.

[122]- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. مرجع سابق، ص 24.

[123]- الغزالي، محمد. نظرات في القرآن. مرجع سابق، ص10.

[124]- الغزالي، محمد. نظرات في القرآن. مرجع سابق، ص 10.

أو دنيوي، عاجلي أو آجلي، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقّفة على العلم بكتاب الله »[125] فهو أساس كل علم، وأصل كل حُكم، ومرجع كل دليل، وطريق الهداية الخالد الذي يهدي إلى الصراط المستقيم.

و فهم القرآن وتلقي دلالاته ومقاصده هو حاجة بشرية، يحتاجها الإنسان في بناء حياته وسعادته، والفوز بالرضوان الربّاني، فهو محور الهداية البشرية، وباب العلم بحقائق الكون وكنه الوجود، وعاقبة الأمر «ففي ضوء القرآن يبدو الدّين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادّة وتتحكّم في تطوّرها. . . فهو ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنّه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسّك بشيء يُخالفه »[126] فهو حبل الله إلى الناس، ودليلهم إلى الخير، وهو نور الله في الكون الذي لا تنضب أنواره إلى يوم القيامة للبشرية جميعها.

هذا النظم الرباني الذي أودع الإعجاز والبيان في بُنيته ونظمه أوجد له بلاغة التأثير على كل نفس، وأحاط بها من كل وجه، « القرآن موعظة تُرقّق القلوب فليقصد تليين قلبه، والقرآن شفاء لأدواء النفوس في عقائدها وأخلاقها وأعمالها، فليقصد الشفاء به من ذلك كله، والقرآن هدى ودلالة على كل حال ما يُوصل إلى سعادة الدنيا والأخرى فليقصد الاهتداء بهدايته، والقرآن رحمة من الله للمؤمنين، فليستنزل بتلاوته وتدبّره الرحمة من الله تعالى بإقامة علوم القرآن على قلبه، وتوفيقه إلى القيام بمقتضى هدايته»[127] فأخذ كل عصر بما يليق به من فضائله، واقتبس من نوره ما وسعت حاجاته، وترك ما فات طاقته لتُدركها الأجيال والعصور الموالية في مسيرة البشرية في تواصلها مع كتاب الله الكريم.

وهكذا فإن كل عصر يحتاج إلى تفسير جديد يُناسب حاجياته، ومصالحه، ويخدم المقاصد والمصالح الشرعية في وقته، وتنكشف عجائب القرآن وأوجه إعجازه بما يليق بكل عصر، وهذا أحد ميزات القرآن وأسراره وأوجه إعجازه، أنه مفتوح على تجدّد إعجازه وانكشاف أسراره، مع كل عصر تزداد حقائقه ثبوتا، تنسجم معه حقائق الكون، ويقين العلوم، وصحيح العقل، وتُصدّقه وقائع الزمن، تكتشف فيه البشرية منتهى مداركها ومعارفها ممّا خبرته تجربة ومشاهدة، فتنكشف معانيه ودلالاته، لذلك فإنّ

---

[125]- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص 2273.

[126]- بن نبي، مالك. الظاهرة القرآنية. مرجع سابق، ص 300.

[127]- ابن باديس عبد الحميد. تفسير بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. جمع وترتيب : شاهين، توفيق محمد، رمضان، محمد الصالح، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص35.

حاجة البشريّة إلى التفسير من حاجتها إلى سعادتها في الدارين، ومصالحها في الحياة الدنيا، ومعادها في الآخرة، فجمع القرآن الكريم بين خاصيّة الإعجاز وخاصيّة البيان.

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) ﴾[128]

ـ المبحث الثاني: مفهوم التفسير ومشروعيّته ونشأته:

2-1: مفهوم التفسير:

أ: مفهوم التفسير لغة:

التفسير مصدر من فسر يُفسر، أو فسّر يُفسّر، التفسير « الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفسر، يُقال فسرت الشيء وفسّرته »[129] تحمل دلالته معناه اللغوي الأصلي «فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف»[130] بما أحاله إلى معنى الظهور والوضوح « الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسُره بالضم، فسرا وفسّرَهُ: أبانه، والتفسير مثله... وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأحسن تفسيرا﴾ الفسر: كشف المغطّى والتفسير كشف المراد من اللفظ المشكل»[131] فهو كشف لما كان في الذهن من إشكال أو غموض في فهمه للخطاب، على وجه مُراد المخاطب، إذن التفسير هو بيان المعنى الذي يكون متضمَّنا في الكلام «من الفسر بمعنى الإبانة وكشف المغطى، كالتفسير»[132] سواء بكشف ماديّ محسوس أو كشف معنوي أو ذهني «أو كشف المعنى المعقول... يُقال فسّر الشيء يُفسرُه وفَسّره : أبانه... وكل شيء يُعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تفسرته »[133] بما في ذلك كشف مراد اللفظ ومقصده، «فالتفسير كشف المعلّق من المراد بلفظه، وإطلاق المحتبس عن الفهم به»[134]. وهكذا فإن مدار كلمة التفسير هو الإبانة والكشف، حيث «عند تتبّع معاني هذه اللفظة نجد أنها تدور على الكشف والبيان، وسواء كان ذلك في المعاني أم المحسوسات والأعيان، فيُقال فسّر الكلام أي أبان معناه، وأظهره، كما يُقال فسّر عن ذراعه، أي كشف

---

[128]ـ سورة الشعراء، الآيات: 192-195.

[129]ـ ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. مرجع سابق، ج4، ص504.

[130] الزركشي، بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص 147.

[131]ـ ابن منظور. أبو إسحاق، لسان العرب. مرجع سابق، ج7، ص 101.

[132]ـ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد. القاموس المحيط. مرجع سابق، ص456.

[133]ـ الزّبيدي. محمد مرتضى. تاج العروس. مرجع سابق، ج13، ص 223، 224.

[134]ـ ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. مرجع سابق، ج4، ص504.

عنها»[135] فهو يشمل المحسوس والمعقول، والعيني والذهني، وبذلك يشمل كشف المعاني والدلالات من الخطاب.

معنى التفسير وإن شمل المحسوس والمعقول، فإنّه استقرّ واشتهر على كشف المعاني ويشمل بذلك معنى الملفوظ والمكتوب، « والخلاصة من هذا أنّ مفردة التفسير في اللغة بمعنى الكشف الحسّي، ثمّ بمعنى الكشف عن المعاني الكلاميّة، وكثر في الأخير وشاع»[136] وبذلك أصطلح على معناه واستقرّ على ذلك، وأصبح يُطلق على الكلام مدلول الكلام أو اللفظ لتقريبه إلى إدراك السامع، سواء من فعله المشدّد أو المخفّف لأن «التفسير مصدر فسّر بتشديد السين، الذي هو مُضاعف فسر بالتخفيف، الذي مصدره الفسر، وكلاهما فعل متعدّ، فالتضعيف ليس للتعدية، والفسر الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظ بكلام آخر هو أوضح لمعنى المفسّر عند السامع»[137] وتقريب المعنى إليه لينكشف مدلوله في ذهنه، ويرتسم معناه في عقله، وتستقرّ دلالته في فكره، ويُحيل دليل الخطاب إلى مدلوله كما وعيه المفسّر وفهمه أنه مُراد المُخاطب، وهو صاحب الخطاب ومُنزله، كما بلّغه الرسول صلّى الله عليه وسلّم وبيّنه بقوله وفعله.

ب: مفهوم التفسير اصطلاحا:

مُصطلح التفسير استند على مدلوله اللغوي فأصبح عَلَمًا لكشف معاني القرآن الكريم منذ القديم فقد عرّفه الفراهيدي[138] بقوله «التفسير هو بيان وتفصيل الكتاب»[139] لأنه عُرف به، واصطُلح به على ذلك بوصفه مُصطلحا علميا، أي أنّ «التفسير علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية

---

[135]- السّبت، خالد بن عثمان. قواعد التفسير. دار بن عفان، القاهرة، مصر، ط1، 1421ه، ج1، ص25.

[136]- منصور، عبد القادر. موسوعة علوم القرآن. مرجع سابق، ص 172.

[137]- ابن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص10.

[138]- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. من أئمّة اللغة والأدب، ولد بالبصرة سنة 100ه الموافق 718م، أستاذ سيبويه وواضع علم العروض، توفي سنة 170ه الموافق 786م، ومن آثاره: كتاب العين، ومعاني الحروف، وكتاب العروض. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص 314.

[139]- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق: الهنداوي، عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج3، ص321.

ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتتمّات ذلك»[140] فغايته المعاني المكتنزة في الكلام الربّاني، وتتبّع الدلالة المقصودة في الخطاب القرآني «واعلم أن التفسير في عُرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد، أعمّ من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتفسير أكثره في الجمل»[141] فيتعلّق بكشف مُراد كلام الله بحسب اجتهاده وطاقته، و ارتبط التفسير بالقرآن الكريم، واختصّ به، وانتقل من مدلوله اللغوي، إلى مدلوله الاصطلاحي «في الأصل هو الكشف والإظهار، وفي الشّرع هو توضيح معنى الآية وشأنها، وقصّتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة»[142] وعليه، ومع ذلك تنوّعت صيغ تعريفات التفسير، بتنوع مناهجها وتاريخها والغرض الذي كان مرادا منها، وتحديد مفهوم التفسير، بين التوسّع والتضييق، وبين الظاهر والتعمّق.

- منها «هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يُستفاد منها باختصار أو توسّع»[143] وهذا تعريف قصر بيان المعاني على الألفاظ وحصرها في ذلك، ممّا يُوهم أنّ غاية التفسير مجرّد شرح لألفاظه، وهو أوسع من ذلك.

- كما عرّفوه بأنّه «علم يُفهم به القرآن، بمعرفة معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وعظاته وعبره»[144] وهو قريب من تعريف آخر «علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله، وحدّه، وأدائه، وألفاظه، ومعانيه المتعلقة بالألفاظ، والمتعلّقة بالأحكام»[145] وهي تعاريف عامّة أهملت منهج التفسير وأدواته، وتوسّعت في بعض إشاراتها، ممّا يُوهم بإدخال بعض علوم القرآن، مثل علم القراءات، أو الفقه.

- كذلك إنّ « التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه»[146] فهو جمع بين خاصيتين بيان المعاني من جهة واستنباط الأحكام والحكم من جهة أخرى.

---

[140]- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط. مرجع سابق، ج1، ص121.

[141]- الزركشي، بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص149.

[142]- الجرجاني علي بن محمد. التعريفات. مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص61.

[143]- ابن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص198.

[144]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 279.

[145]- الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص 471.

[146]- الزركشي، بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص13.

والتأمّل في مثل هذه التعريفات، والجمع بينها، يُمكن صياغة تعريف أكثر حدودا واهتماما بضابط المنهج التفسيري، الذي يعود إلى أصول التفسير، المنبثقة من منهج الاستنباط العام عند علماء الإسلام، وهو أصول الفقه، وقياسا على تعريفات الأصوليين للعلوم الأصوليّة مثل أصول الفقه، وأصول الحديث، وأصول النحو، بوصف علم التفسير هو علم منهجي يبحث في أصول التفسير، فيمكن تعريفه بأنّه:

_ هو علم يبحث في معاني القرآن الكريم، وكشف فوائده الشرعيّة بأدلته الإجمالية

2-2: الفرق بين التفسير والتأويل:

التفسير بناء على تعريفه اصطلاحا هو مصطلح شامل، يتضمّن معنى التأويل، الذي يحتاجه المفسّر في اختياراته وترجيحاته التفسيرية «قيل التفسير والتأويل واحد بحسب عُرف الاستعمال، والصحيح تَمايزهما، قال الراغب: التفسير أعمّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا»[147] كان التأويل مُرادفا لمفهوم التفسير، بوصف التفسير غايته حقيقة مُراد الله تعالى، ولذلك سمّى الطبري[148] تفسيره {جامع البيان عن تأويل آي القرآن} ولكن استقرّ مفهومه «في عُرف المتأخرين من المتفقّهة والمتكلّمة والمحدّثة والمتصوّفة ونحوهم: هو صَرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح بدليل يقترن به»[149] فالتأويل بهذا المعنى أصبح عمليّة موازنة بين المعاني المحتمَلة، عندما يحتمل الخطاب ذلك.

والتأويل «وأصله من المآل، وهو العاقبة والمصير، وقد أوّله فآل، أي صرفته فانصرف، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني»[150]لأن الدلالة أحيانا تنفتح أو تتوسّع لمجموعة من المعاني، تدفع المفسّر للاجتهاد والتدبّر في الانصراف والميل إلى إحداها لدليل يَحتجّ به «وقيل أصله من الإيالة، وهي السياسة، فكأنّ المؤول للكلام ساس الكلام ويضع المعنى فيه موضعه»[151] في رحلة البحث عن المعنى، بين

---

[147]- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 149.

[148]- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المفسّر، ولد سنة 324ه الموافق 839م، من مشاهير المفسرين والمؤرخين، استوطن بغداد وتوفي بها سنة 310ه الموافق 923م، ومن آثاره: جامع البيان، أخبار الرسل والملوك، المعروف بتاريخ الطبري. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج2، ص 201. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. ج2، ص 508.

[149]- ابن تيميّة أحمد. دقائق التفسير. تحقيق: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية، ط2، 1964، ج1، ص 130.

[150]- الزركشي، بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 148.

[151]- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 2261.

معنى ظاهر ومعنى مقصود، «وقيل التفسير إفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل، والتأويل: الإخبار بغرض المتكلم بكلام، وقيل التأويل: استخراج معنى الكلام لا على ظاهره، بل على وجه يحتمل مجازا أو حقيقة، ومنه يُقال: تأويل المتشابه»[152]، لأنّ العمليّة التفسيريّة أو التأويليّة هي عمليّة علميّة اجتهاديّة تتطلّب بذل طاقة عقليّة في التفكّر والتدبّر للوصول إلى المقصود الدلالي للخطاب، وخُلاصة المفهوم هو اختيار أحد التفاسير وترجيحه بدليل.

ذلك الاختيار أو الترجيح لا يخرج عن احتمالات التفسير بما تقتضيه أصوله وقواعده، أي منهجه العلمي، فإذا كان «التأويل ردّ أحد المحتملين إلى ما يُطابق الظاهر»[153] أي أنّ ظاهر الخطاب يحتمله ولا يرفضه، لوجود دليل نصّي أو دليل لغوي أو دليل عقلي قويّ وعليه «التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما فيها وما بعدها تحتمله الآية، غير مُخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط»[154]وقالوا «وهذا غير محظور على العلماء بالتفسير وقد رخّص فيه أهل العلم»[155] فالتأويل إذن هو آليّة تفسيرية يستعملها المفسّر في اختيار أو ترجيح إحدى المعاني الدلالية ضمن منهج التفسير العلمي وضوابطه، من خلال أصوله وقواعده التي تمنح للتفسير مرونة اختيار المعاني المحتملة للتأويل.

والتأويل « في الأصل الترجيع، وفي الشرع: صَرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معناه الذي يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿ **يُـخْرِجُ الْـحَيَّ مِنْ الْـمَـيِّتِ**﴾[156]، إن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا»[157] فهو آلية من آليات التفسير في اختيار أحد المعاني المتبادرة إلى الذهن، أو مرادها العميق الذي يكون مدلول الخطاب الذي يحقق المقصد والمصلحة في معناه المختار.

فالتأويل يغلب عليه الاستنباط، والتطلع إلى المعنى المقاصدي « والمشهور عند المتأخّرين أنّ التفسير هو بيان المعاني التي تُستفاد من وضع العبارة والتأويل هو بيان

---

[152]ـ العسكري. أبو هلال. الفروق الفردية. تحقيق : سليم، محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، ص58.

[153]ـ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد. القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1، ص 456.

[154]ـ السيوطي، جلال الدين، مرجع سابق، ج1، ص 150.

[155]ـ المرجع نفسه، ص 150.

[156]ـ سورة الأنعام، الآية 95.

[157]ـ الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، مرجع سابق، ص 49.

المعاني التي تُستفاد بطريق الإشارة»[158] فهو دلالة متولّدة من الإمعان والتدبّر في الخطاب، والمقاصد المتولّدة من المعنى الأساسي أو الظاهري، بما لا يُلغيه، ولكن يُعمّق مفهومه إلى المراد، فالمفسّر هو ناقل للمعنى أو مؤوّل، والمؤوّل يستنبط المعنى والأحكام ويُبيّن المُجمل ويُخصص العام، وغيره بما يجعله يُعمّق المعنى أو يُرجّح أحد المعاني بأدلته التي يستعملها في استنباطه، «فيلحظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ وفق الدليل والبرهان، وإعمال العقل في تجليّة المغطّى، واستخدام مدلولات اللفظ في العربية، ومراعاة السياق، وغيره من لوازم المعرفة، ويعتمد في هذا كلّه على ملكة الاجتهاد»[159] ولا يكفي الإدعاء ببلوغ المعنى البعيد أو الباطن بمجرّد الرأي الذي لا يستند على منهج التفسير، المستند على أصوله وقواعده، وإلا أصبح التفسير أو التأويل عمليّة عبثية، لا يحكمُها منهج ولا يضبطها ضابط.

وخُلاصة التمييز بينهما هي الفارق المنهجي، الذي يمنحنا مستويين للتفسير، مباشر وتأويلي:

الأوّل: التفسير المباشر أو الظاهري، وهو ما يكون طريقه السماع أو التقليد، فلا يحتمل معاني متعدّدة، فيتوقف عند معناه المنصوص عليه، أو المتعارف إجماعا عليه، أو المعنى اللغوي الظاهر، وهو مستوى التلقي الأوّل في التفسير وفهم معانيه.

الثاني: تفسير التأويل: وهو التفسير غير المباشر، أو التفسير العميق الذي يتجاوز ظاهره، بسبب لغوي كالاشتراك اللفظي، أو بسبب مجازي، أو غيره، ممّا يُعطي للمعنى احتمالات دلالية متنوّعة، وهذا يحتاج إلى نظر وتدبّر بإعمال منهج الاستنباط وقواعده الأصولية في استنباط المعنى والوصول إلى الدلالة، أو استنباط الحُكم بقواعده لبلوغ غاية الخطاب.

وهنا يشترك النقل مع العقل، مشاركة مصاحبة، فكلاهما من الله تعالى، يعمل الإنسان جهده ويستنفذ طاقته في بلوغ المراد، بمناهج علميّة دقيقة في فهم كلام الله بعيدا عن هوى نفس، أو حديث خيال، أو غرض تفرقة لدين الله، أو الانتصار لعصبيّة أو فرقة على حساب دين الله، أو ابتغاء الفتنة من باب أولى، بل هو عمليّة في بذل الجهد للوصول إلى المعنى المُراد من الخطاب قصد الالتزام به ومعرفة حُكمه... فهو عمليّة علميّة تنطلق من المعنى الظاهر لبلوغ مقصد وحُكمة ومصلحة الفائدة الشرعيّة من الخطاب، على الوجه الذي يُحقق مقاصد بيان الحُكم فيه على الوجه المُراد.

---

[158]- العك، خالد عبد الرحمن. أصول التفسير وقواعده، مرجع سابق، ص52.

[159]- منصور. عبد القادر. موسوعة علوم القرآن. مرجع سابق، ص 175.

2-3: موضوع التفسير:

اختصّ علم التفسير بالقرآن الكريم، فكان موضوعه كلام الله المنزّل على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم والموسوم في المصحف الشريف، الواصل إلينا بالتواتر، والمتعبّد بتلاوته، الدليل إلى الصراط المستقيم، فكانت غايته «التوصّل إلى فهم معاني كلام الله سبحانه واستنباط أحكامه ومعرفة مُراده ليصار بذلك إلى السعادة الدنيوية والأخروية»[160] واستمدّ من ذلك شرفه ومكانته، وأهميّته العلميّة والمعرفيّة، وأهميّته المنهجيّة في تعامله مع الخطاب القرآني، كونه خطابا مُعجزا، يحمل الهداية الربانيّة، بما يقتضي أعلى درجات الصرامة العلميّة والمنهجيّة، والالتزام بما تحتمله دلالة الخطاب.

إنّ موضوع التفسير هو القرآن الكريم، بوصفه كلام الله تعالى إلى خلقه «وموضوع التفسير ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه»[161]ومع إعجازه واستحالة الإحاطة بأسراره وحقائقه، فإن تيسير بيانه ونلقّيه يُجيز أن يكون موضوعا للفهم البشري بما ينفعه من معان وأحكام، إنّ « في القرآن ما ينفع الناس في الدنيا والآخرة، علومه لا نهاية لها، وخيره لا انقضاء له ولا انقطاع»[162] فيكون موضوعا للبحث والدراسة والتأليف في تفسيره متجدّدا بتجدّد الأجيال والعصور، لا يتوقّف عند عصر، ولا يُحيط بعلمه جيل بعينه، ففي معناه معرفة خبر قد مضى، أو استشراف خبر آت، أو استنباط حُكم، أو التزام خُلُق أو تدبر في خَلق، أو التماس لخير ومصلحة...

تحديد موضوع علم التفسير يُفيد من حيث الضبط المنهجي للتفسير، حتى لا يخرج التفسير عن موضوع بحثه العلمي، فيخرج عن غايته، بل لابدّ أن يحصر بحثه العلمي في موضوعه، لأن التفاسير عانت من الإطناب الموضوعي، وتداخل مواضيع كثيرة في استطرادات المفسّرين، فيختلط التفسير مع آراء المفسّر، ومواقفه الفكريّة، واستطراداته التحليليّة لمواضيع أخرى، وهذا أحد العيوب المنهجية التي تشوب التفاسير القديمة والحديثة، فتجد التفاسير في مجلّدات كثيرة، محشوّة بمواضيع وأفكار نتيجة استطراد المفسّر، ولذلك فإنّ تحديد موضوع التفسير والالتزام به أمر علمي ومنهجي، يجب أن لا يخرج من موضوع تفسير الخطاب القرآني وهو تأدية معناه و نقل مضمونه.

---

[160]- الخطيب. أحمد سعد.مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج2، ص 325.

[161]- ابن عاشور. الطاهر. التحرير والتنوير. مرجع سابق، ج1، ص 11.

[162]- الجديع. عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 392.

والمفسّر عليه أن يقمع رغبته في التحليلات الإضافية المتفرّعة عن التفسير، كالفقه والتعليلات الفلسفية ومناقشة القواعد اللغوية والنحوية، وتتبع الأخبار التاريخية والقصص المختلفة، إلا بحدّ يخدم المعنى، وبقدر لا يُجاوز الدلالة، لأن المعنى ودلالة الكلام هو مقصد التفسير، ويترك للمتلقي تلك الرغبة في التوسّع في تلك العلوم والمعارف من علومها المتخصّصة، لأن تلك الشروح الإضافيّة هي زيادات عن مقصد الخطاب ومُراده، بل أحيانا تشوّش على المعاني المقصودة، وقد يتوهّم المتلقي أن الخطاب القرآني قاصر على الإتيان بتلك التفاصيل والزيادات، مع أنّ قصده من العام والمجمل لأن المعنى المراد لا يتطلّبه، أو أنّ بيانه يختصّ به مبلّغ الخطاب للناس وهو النبي صلّى الله عليه وسلّم.

2-4: مشروعيّة التفسير.

تفسير كتاب الله عزّ وجلّ، وفهم مراده والتفكر فيه وتدبّره، ممّا شرعه الله ورسوله، وأجمعت عليه الأمّة، وقام به المجتهدون والعلماء، وازدادت مصالح العباد في فهم كتاب الله مع توالي العصور، ونوازل الزمن، وحاجيات الأجيال المتعاقبة، وتحدّيات العصر، بما جعل الإنسان بحاجة إلى نور يُضيء حياته، وهدى يأخذ بيده، وذكر تطمئنّ له نفسه، ورحمة تغشى روحه، ودليل يخاطب فطرته وعقله، فكان القرآن كلام الله إليه، الذي دعاه إلى التمسك به فهو المُعين والدليل «فإن الحاجة إلى تبيين مراد الله تعالى بأمره ونهيه في كتابه، يُوجب على الأمّة أن يكون فيها متخصّصون في معرفة الكتاب، يُتقنون آلة الفهم، ويُحسنون استعمالها، وذلك للوقوف على شرائع دين الإسلام، ودلالة الخلق عليه، ووقايتهم من الخوض في القرآن بغير علم»[163] ويكون ذلك بالعلم وأدواته وطرقه في الفهم والتفسير والتدبّر في كتاب الله العليم.

يقول الله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (82) ﴾[164].

ويقول تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)﴾[165].

ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الأَوَّلِينَ (68)﴾[166].

---

[163]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 285.

[164]- سورة النساء، الآية 24.

[165]- سورة محمد، الآية 24.

[166]- سورة: المؤمنون، الآية 68.

ويقول تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)﴾[167].

وهذه الآيات وغيرها تدعونا إلى تدبّر القرآن الكريم وعقله فهو بلسان عربي مبين ومحكم لتيسير فهمه « وتدبّر الكلام بدون فهم معانيه لا يُمكن... وعقل الكلام متضمّن لفهمه»[168]كما جاءت الأحاديث الشريفة لتخدم هذا المعنى في فهم كلام الله وتدبّره، وعدّ ذلك من العلم النافع.

كقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في فقه الدّين **: « من يرُد الله به خيرا يُفقّهه في الدّين»[169]**

ففقه الدين لا يكون إلا بفقه وفهم أدلته، وأوّلها فهم القرآن الكريم، ولا يكون فهم القرآن إلا بفهم خطابه، ذلك الفهم العميق الذي يصل إلى حُكمه، بما يحويه من أحكام وهداية، وموعظة ودلالة.

وكدعاء النبي عليه السلام لابن عبّاس بالفقه و علم التأويل: « اللهم فقهه في الدّين وعلّمه التأويل»[170].

وكتفسير النبي صلّى الله عليه وسلّم لآيات من كتاب الله، وبيان ما أشكل عن الصحابة أو سألوا عن معناه، ممّا ذكرته الأحاديث والآثار، حتى دفع جامعي الحديث تخصيص باب للتفسير، كما أن التفسير أوّل ما بدأ مدوّنا كان في كتب الحديث.

والتفسير مشروع كذلك بالإجماع، فقد تهادى إليه العلماء على ورعهم في الخوض في كتاب الله، بعد أن وجدوا ما فيه من المصالح والمقاصد في خدمة دينه، بالردّ على الشبهات، وتقريب معاني السُوَر والآيات، وتبليغ مراد الرسالة وأحكام الشريعة إلى الأفراد والجماعات، ونشر فهم القرآن للعرب وغيرهم بعد أن ذهبت سليقة اللسان، وتوسّعت دار الإسلام في الآفاق، ودخل في دين الله الناس أفواجا وأقواما، كان لهم لسان غير لسان القرآن، فاحتاج الناس إلى الشروح والتفاسير، وفرض كل جيل وكل عصر حاجة الناس إلى قراءة القرآن بما يُناسب حالهم، وانتشار العلوم فيهم، فأصبح من الضرورات أن يقوم علم التفسير بين الناس، وأن لا يخلو عصر من مفسّرين

---

[167]- سورة يوسف، الآيتان: 1، 2.

[168]- الجديع. عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 286.

[169]- صحيح البخاري، كتاب العلم، الحديث رقم: 71، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، الحديث رقم: 1037.

[170]- مسند إمام أحمد، مسند عبد الله بن عباس، الحديث رقم: 2397.

جمعوا الناس على فهم كتاب الله، أو كتبوا التفسير مما توارثته الأجيال «وقد أجمع العلماء أنّ التفسير من فروض الكفايات، وأجلّ العلوم»[171] للأدلّة في ذلك من كتاب الله وسنّة نبيّه وإجماع الأمّة ومقاصد الدين ومصالح العباد في القيام به، والحث عليه والسعي لنشره بين الناس.

فالأمّة بحاجة إلى أن لا تنقطع عنايتها ولا يضعف عزمها في خدمة كتاب الله بكل وجه، بما فيه مدارسته والبحث فيه وتفسيره «فإن الحاجة إلى تبيين مراد الله تعالى بأمره ونهيه في كتابه، يوجب على الأمّة أن يكون فيها متخصّصون في معرفة الكتاب، يُتقنون آلة الفهم، ويُحسنون استعمالها، وذلك للوقوف على شرائع دين الإسلام، ودلالة الخلق عليه، ووقايتهم من الخوض في القرآن بغير علم»[172] بما يردّ عنه مطاعن الطاعنين، وشبهات المشتبهين، ويُعلي ذكره، ويُظهر أمره، ويكشف للعالمين أوجه إعجازه، ويقين حقائقه، وصدق أخباره، وحكمة أحكامه، وحُسن بيانه وقصصه، وهُدى سبيله وخير صراطه، ونور وبركة حرفه وآياته وسُوَره، وفضله الذي لا ينضب ونوره الذي لا ينطفئ.

والتفسير من العلم بكتاب الله والتدبّر فيه، وعقل معانيه، «وأمّا الرأي غير الجاري على موافقة العربيّة أو الجاري على الأدلة الشرعيّة فهذا هو الرأي المذموم من غير إشكال، كما كان مذموما في القياس أيضا... لأنه تقوّل على الله بغير برهان»[173]وهو التفسير الذي نهى عنه العلماء، وأمسك عن الخوض فيه الحكماء، وأهل الورع ممّن لا يقول في القرآن إلا بما له فيه علم وبرهان وله فيه حجّة وبيان، من نقل أو علم أو عقل، وليس القرآن موضوعا للقول بما لا يستند على دليل أو حُجّة، وهذا لا يناقض وجوب التفكر والتدبّر فيه، والاجتهاد في فهمه، ولكن بسبب خصوصيّة الخطاب القرآني بوصفه كتاب الله المتضمن لحُكمه، والذي يسعى التفسير إلى كشف مُراد خطابه، وليس الغرض منه كشف مراد المتلقي دون اعتبار لمراد المخاطب.

أمّا بعض الأحاديث الواردة في النهي عن القول في كتاب الله تعالى، فتُحمل على الرأي المذموم بدون علم أو برهان، أو أنها لا تمتلك الصحة اللازمة لمواجهة آيات قرآنيّة وأحاديث صحيحة، وحتى الذين كانوا يلتزمون مدرسة الأثر حثوا على فهمه حيث «الكلام بدون فهم معانيه لا يُمكن... وعقل الكلام متضمن لفهمه»[174] حيث لا

---

[171]- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق. ج2، ص 2272.

[172]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 285.

[173]- الشاطبي. أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 274.

[174]- ابن تيميّة أحمد. دقائق التفسير. مرجع سابق، ج1، ص 91.

يتصوّر الالتزام بمضمون الكلام دون فهمه وعقله، ومن باب أولى عند تدبّره والتفكر فيه بما يلزم التعمّق في فهم مراده ومقصده، ومعرفة خطابه وفوائده من باب تفسيره وبيانه وكشف أوجه إعجازه، ومعرفة أحكامه.

2-5: نشأة التفسير.

أنزل الله تعالى القرآن الكريم منجّما على رسوله الكريم، خلال ثلاث وعشرين سنة، فتعاهده المسلمون بالعناية تحت إشراف النبي صلى الله عليه وسلم ومتابعته، وقد قضى الله تعالى بحفظه وبيانه...

يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9) ﴾[175] ويقول تعالى:﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)﴾[176].

ثم فوّض نبيّه بتبليغه وبيانه للناس... فاجتمعت حوله الأفئدة والقلوب، واعترف الناس بإعجازه وبيانه، وتلقاه المسلمون بالعناية والجهد في فهم مُراده وأحكامه.

فقال تعالى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)﴾[177]

فكان الرسول صلّى الله عليه وسلّم أحق بتفسير مُراد الله، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، فبلّغ كلام الله كما نزل عليه، فكان أعلم الخلق بمعانيه ودلالاته ومعرفة مراميه ومقاصده، «وترجع نشأة التفسير إلى عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقد كان جميع الصحابة يرجعون إليه في تفسير ما غمض، وتوضيح ما صعب عليهم فهمه وإدراكه»[178] فكان لهم حرص تعلّم القرآن وفهمه ومدارسته والعمل به، والرجوع إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فيما احتاجوا إليه من بيان وتفسير.

ارتبط التفسير بالقرآن في تنزله وأحواله ومناسباته « والتفسير أوّل العلوم الإسلاميّة ظهورا، إذ قد ظهر الخوض فيه في عصر النبي صلّى الله عليه وسلّم»[179] ولكن بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم احتاج البشر على مَرّ الأزمان والأجيال إلى مقاربة التفسير ولو بجُهدهم البشري القاصر بما اقتضته الحاجة إلى النهل من فتوحاته، فجمع الصحابة

[175]- سورة الحجر، الآية 9.
[176]- سورة القيامة، الآية 17.
[177]- سورة النحل، الآية 44.
[178]- العك، خالد عبد الرحمن. أصول التفسير وقواعده. مرجع سابق، ص 32.
[179]- ابن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. مرجع سابق، ج1، ص 142.

بين فهم اللسان العربي وبين ما تلقّوه من التفسير النبوي، ومعايشتهم نزول القرآن وقرائن أسبابه، وسياقات أحواله، وممن تصدّر فهم الكتاب وعلومه واشتهر به: علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهم، فانتشر تلاميذهم وأئمّة التابعين ممّن نهلوا وسمعوا من الصحابة، حتى كوّنوا اتجاهات ومدارس تميّزهم.

و أوّل ما جُمع التفسير جُمع في أبواب الحديث بتدوين ما رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو كبار الصحابة بما يتعلق بتفسير آية أو آيات، وأغلبها كان جوابا عن سؤال أو استفسار من المسلمين أو مجادلة للكافرين، ولم يُعثر عن تفسير مستقل قبل بداية القرن الثالث الهجري، مع وجود روايات تدل على كتابة بعض التابعين لتفاسير كاملة مروية عن الصحابة « ومن أوائل الكاتبين في التفسير: شُعبة بن الحجّاج[180]، وسُفيان بن عيينة[181]، ووَكيع بن الجراح[182]، وتفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين، وهم من علماء القرن الثاني، ثمّ تلاهم ابن جرير الطبري، المتوفّى سنة 310 ه، وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها، لأنه أوّل من عرض للإعراب والاستنباط»[183] وانتقل التفسير بذلك إلى مرحلة التأسيس والتدوين الكامل.

و التفسير في المراحل اللاحقة بعدما أصبح علما مستقلا، فألّف فيه العلماء بمختلف مشاربهم، فكتب فيه الفقهاء والمحدّثون واللغويون ثم انتقل إلى اهتمام المتكلمين ومفكري الفرق والنحل، وكما تأثر بثقافة المفسّرين واهتماماتهم تأثر بمذاهبهم واتجاهاتهم، فتجد التفسير يحمل شخصيّة صاحبه، من حيث اختصاصه العلمي الغالب، ومذهبه العقائدي والفقهي، وموقفه الفكري والفلسفي، ونزعته اللغوية، وأثر مناظرات الفرق والردود على بعضها البعض، وكل هذا منهجيا من الإطناب الذي أصاب أغلب التفسير، قديمه وحديثه.

---

[180]- شعبة بن الحجاج من تابعي التابعين، ولد سنة 82ه الموافق 701م، عالم بالحديث والتفسير، وهو من رواد تصنيف الحديث بطريقة منهجيّة، توفي بالبصرة سنة 160ه الموافق 777م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج3، ص 154. وينظر: طبقات المفسّرين، الأدنروي، أحمد بن محمد ، مرجع سابق، ص20.

[181]- سفيان بن عيينة التابعي المفسّر، ولد بالكوفة سنة 107ه الموافق 725م، وسكن بمكة وتوفي فيها سنة 198ه الموافق 814م له تفسير للقرآن الكريم. . ، ينظر الأعلام، للزركلي، مرجع سابق، ج3، ص 105. وينظر طبقات المفسرين، الأدنروي، أحمد بن محمد، مرجع سابق، ص 23.

[182]- وكيع بن الجراح عُرف بتصنيف الحديث، ولد بالكوفة 129ه، 746م وتوفي سنة 197ه، 812م. ينظر: معجم المفسرين، نويهض،عادل. مرجع سابق، ج2، ص719.

[183]- الزرقاني. محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 31.

غلب على التفسير اختصاص المفسّر، وحمل منهج ذلك الاختصاص، «فنزع كل منهم إلى الاهتمام بالفن الذي أجاد فيه، فالفقيه في تفسيره اهتم بالأحكام الفقهية، والمحدّث اهتم بذكر الأحاديث، ومناقشة أسانيدها، والنحوي واللغوي كذلك اهتم كل منهما بالفن الذي أجاد وبرع فيه»[184] وحاول المتكلم التفسير وفق أفكار أهل الكلام، كما حمل المتصوّفة تفاسيرهم على أقوالهم في التصوّف، وحمل أهل المذاهب التفسير على مذاهبهم، ويختلفون في ذلك بين الاعتدال والتطرف.

انتقل التفسير من علم الحديث والروايات المتناثرة إلى التأليف المستقل حيث « في أواخر المئة الثالثة بدأ ظهور المصنّفات الجوامع في التفسير، ومنها التي تستعمل جميع آلة المفسّر من أثر ولغة ورأي»[185] وأخذت هذه التفاسير تأخذ عن بعضها البعض، وتستدرك على بعضها البعض، وتتنافس في إعادة التفسير بطريقة جديدة « وكانت تآليف المتقدّمين أكثرها إنما هي شرح لغة، ونقل سبب، ونسخ وقصص، لأنهم كانوا قريبي عهد بلسان العرب، فلما فسد اللسان، وكثرت العجم، ودخل في دين الإسلام أنواع الأمم المختلفة الألسنة، والناقصة الإدراك احتاج المتأخرون إلى إظهار ما انطوى عليه كتاب الله تعالى من غرائب التركيب وانتزاع المعاني، وإبراز النكت البيانيّة، متى يدرك ذلك من لم تكن في طبعه»[186]، وهكذا توالت التفاسير وتنوّعت نزعاتها فأصبح لكل عصر تفاسيره، ولكل طبقة مفسّروها، ولكل مصر من الأمصار من يشتغل بالتفسير، فانطبع كل تفسير بروح عصره، وأثر بيئته، ومواضيع طبقته وجيله.

إنّ لتنوّع التفاسير أسباب عديدة منها:

1- إعجاز القرآن الكريم وقوّة بيانه، بما اكتنزه من بلاغة النظم وقوّة الدلالة، فتحت باب التفسير لكشف تلك الأوجه من الإعجاز والبيان.

2- تعاقب الأزمان والأجيال من عصر التنزيل بما يفرضه من حقائق، ويتطلبه من إحياء للتواصل مع كلام الله تعالى.

3- دخول أقوام وشعوب إلى الإسلام ليس لها ذلك الحظ الواسع من معرفة اللسان العربي وحيثيات التنزيل.

---

[184]- اللاحم، سليمان بن إبراهيم. منهج ابن كثير في التفسير. دار المسلم، الرياض، السعودية، ط1، 1999، ص 307.

[185]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 322.

[186]- الأندلسي،أبو حيان محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط. مرجع سابق، ج1، ص 120.

4- تنوّع إشكاليات العصور، فلكل عصر تحدياته وحاجياته ونوازله، التي تستدعي البحث عن الإجابات.

5- معجزة القرآن المتجددة في إعجازها وفي كشوفها الدلالية بتطور العصور وتراكم المعارف البشرية، ففي كل عصر تنكشف أوجها من إعجازه لم تكن معروفة عند السلف.

6- طبيعة التراكم المعرفي الذي يُحتّم إحياء وتجدّد سُنّة التفكير والتدبّر في كتاب الله مهما توالت الأجيال والقرون والعصور.

7- تعدّد التفاسير بتعدّد المدارس والاتجاهات، والأغراض والاختصاصات، والمناهج والمنهجيات.

طغى على التفاسير التفسير التحليلي، الترتيبي، وفق ترتيب المصحف الشريف، باعتباره كتابا واحدا، «فهو الذي تتبّع فيه المفسّر الآيات حسب ترتيب المصحف، سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله»[187]وتعاملت التفاسير منذ الطبري إلى عصرنا الحالي وفق منهجية تحليلية، ملتزمة بترتيب المصحف الشريف، في ترتيب آياته وترتيب سوره، ولكنّها تنوّعت طرق واتجاهات تفسيرها، حسب عوامل عديدة نحصر أهمّها في:

أولا: تأثير علم الحديث في التفسير، كونه نشأ في أحضانه، فعندما استقلّ حمل معه هذا التأثير في التفاسير الأولى، حيث غلبت الرواية والأثر على التفسير.

ثانيا: حركة التدوين والتأليف التي تناولت العلوم الإسلامية، فشملت علوم القرآن بما فيها التفسير، للحفاظ على معاني القرآن، فظهر التفسير مختلطا بالعلوم المدوّنة.

ثالثا: ظهور المذاهب والفرق الدينية والفكرية، بما أصبغ على التفسير اختيارات تلك المذاهب والفرق، والانتصار لتوجهها، فتمايزت من حيث النزعات والاتجاهات.

رابعا: ظهور وتطور علوم اللغة والبيان التي كان من أهدافها الحفاظ على اللسان العربي وخدمة القرآن الكريم، بعد توسّع المجتمع الإسلامي إلى شعوب غير عربيّة، فتأثر التفسير بهذا الرافد اللغوي واللساني.

خامسا: ظهور علم الكلام وتأثير الفلسفات الأجنبيّة، جعل بعض المفسرين ينقلون تأثرهم بذلك إلى التفسير.

---

[187]- عباس عوض الله عباس. محاضرات في التفسير الموضوعي. دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 2007، ص11.

سادسا: توسّع البيئات واختلافها، جعل تفاسير القرآن الكريم تحمل روح تلك البيئة التي ينتمي إليها التفسير، مثل تمايز التفسير في الأندلس عنه في المشرق العربي.

فالتأثيرات العلميّة والفكرية والتاريخية والبيئية التي كان يمرّ بها المجتمع الإسلامي كانت تُميّز التفسير بطابعها الخاص. «ثمّ يمضي عهد التابعين، ويليه عهد تابعي التابعين، ومع كل جيل تتّسع آفاق المعرفة، خاصّة وأنهم كانوا قد تفرّقوا في الأمصار المفتوحة، حيث ألوان جديدة من مظاهر الحياة والثقافة»[188] ، وبقي التفسير بكل تأثيراته في منهجية تحليلية ترتيبية، حتى بدأ يتبلور مفهوم التفسير الموضوعي، الذي عمل على التزام مقاربة موضوعية لتفسير القرآن الكريم، من خلال مناهجها في تناولها الموضوعي لأحكام القرآن.

المبحث الثالث: التفسير الموضوعي.

3-1: مفهوم التفسير الموضوعي.

التفسير الموضوعي: هو التفسير الذي يجمع فيه المفسّر الآيات الكريمة المتعلّقة بموضوع واحد، فيقوم بتفسيرها ضمن منهج متكامل، يكون أساسه الموضوع، «وقد سُمّي بالتفسير الموضوعي نسبة إلى وحدة الموضوع الذي يعالجه»[189]لأنّه لا يعتمد الترتيب الوارد في المصحف، ولا الترتيب حسب النزول، وإنما حسب علاقة الآيات بالموضوع، ثم حسب علاقتها مع بعضها البعض.

إنّ دلالة « الموضوع في اللغة مأخوذ من الوضع، وهي مادة تدل على مطلق جعل الشيء في مكان»[190] وهذه دلالته اللغويّة الأصليّة.

يقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47) ﴾[191].

ويقول عز وجلّ:﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) ﴾[192]

---

[188]ـ العك، خالد عبد الرحمن. أصول التفسير وقواعده. مرجع سابق، ص 403.

[189]ـ العمري، أحمد جمال. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 2001، ص44.

[190]ـ فتح الله سعيد، عبد الستار. المدخل إلى التفسير الموضوعي. دار التوزيع الإسلاميّة، بور سعيد، مصر، 1991، ص 20.

[191]ـ سورة الأنبياء، الآية 47.

[192]ـ سورة الغاشية، الآيتان 13، 14.

انتقل المصطلح إلى المجال المعرفي باعتباره موضوعا للبحث والتأليف، ليشمل المضمون المعرفي المتناول، ولذلك فالتفسير الموضوعي هو التفسير الذي يرتبط بمفهوم الموضوع المعيّن، حيث التفسير الموضوعي لم يعد ملزما بترتيب الآيات والسوَر كما هي مرسومة في المصحف الشريف، كما رأيناه في التفسير التحليلي، وذلك بسبب متطلبات التعامل مع الموضوع « فيكون وصف التفسير الموضوعي ملحوظا فيه هذا المعنى، لأن المفسّر يثبت كلّ آية في موضعها من المعنى الكلّي للقضيّة التي يبحثها»[193] وعليه جاءت تعريفات التفسير الموضوعي بصيغها المتعدّدة منها:

- « هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرّقة، والنظر فيها... وتُفسّر تفسيرا علميّا على أساس الموضوع»[194]

- «هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية »[195].

- « الكشف الكلي عن مراد الله عز وجل في قضيّة قرآنيّة»[196].

- «هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه فيجمع كل ما تكلم القرآن عنه... وقصدت بهذا إلى توضيح الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير وبين منهجنا الحديث، الذي يتناول النص القرآني في جوّه الإعجازي، ويلتزم في دقة بالغة، قول السلف (القرآن يفسر بعضه يعضا)»[197].

رحابة الموضوعات القرآنية وتنوّعها، فكل موضوع إلا وفي القرآن ما يتعلق به، ففي كل موضع من القرآن له وجه من أوجه ذكره، أو جانب من جوانب حُكمه، أو جزء من خبره أو قصّته، وهذا من أوجه إعجاز وأسرار الحكم في القرآن الكريم.

---

[193]- فتح الله سعيد، عبد الستار. المدخل إلى التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص 22.

[194]- المرجع نفسه، ص 20، 21.

[195]- عباس عوض الله عباس. محاضرات في التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص 20.

[196]- رشواني، سامر عبد الرحمن.منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. مرجع سابق، ص 45.

[197]- العمري، أحمد جمال. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني. مرجع سابق، ص70.

يقول تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)﴾[198].

فهو يتناول مواضيعه المختلفة والمتنوّعة في خطاب كلي، ضمن نظم قرآني منسجم، ومنهج شامل للحُكم الرباني على الكون والحياة، فكما «يبدأ حديثه من ذرّة الوجود المستودعة باطن الصخر، والمستقرّة في أعماق البحار، إلى النجم الذي يسبح في مُلكه نحو مستقرّه المعلوم وهو يتقصّى أبعد الجوانب المظلمة من القلب الإنساني... وهو يتجه نحو ماضي الإنسانيّة البعيد، ونحو مستقبلها، كما يُعلّمها واجبات الحياة، وهو يرسم لوحة أخّاذة لمشهد الحضارات المتتابعة... »[199] وهذا التعدد والتنوّع في المواضيع يمنح للتفسير الموضوعي قيمته المنهجيّة، في تمييز هذه الموضوعات، وجمع آياتها من مواضعها في المتن القرآني، لتشكل نسقها الدلالي المتميّز، وهذه الأبعاد للموضوع القرآنيّ سواء في نسقه ونظمه الترتيبي أو في آياته المتعلقة بموضوع ما يجعل من التفسير الموضوعي هو رؤية تفسيريّة منهجيّة موضوعيّة، لا تتعلق فقط بجمع الآيات في الموضوع الواحد، ولكن في مقاربة تفسيريّة تتناول الموضوع بأبعاده المتنوّعة للوصول إلى الحُكم القرآني فيه بجميع المستويات والأبعاد.

2-3: مشروعيّته وأهميّته:

أ: مشروعيّته: إنّ مشروعيّة التفسير الموضوعي هي نفسها مشروعيّة التفسير، فما هو إلا نوع من أنواع التفسير، أو منهج من مناهجه، أو طريقة من طرقه، ولكن غرضه الذي يأتي بمزيد من التدبّر في القرآن الكريم، ومحاولة فهمه معانيه ومقاصده ومُراد خطابه، بتمييز مواضيعه، ومتابعة الدراسة والبحث فيها، بما يخدم مقصد التفسير وغرضه العام في فهم معاني كلام الله « وتدبّر القرآن هو فهم معانيه من أجل إظهار برهانه وأدلّته الشاهدة على صدقه... والمقصود أن التفسير الموضوعي يندرج ضمن هذا الأمر العام إذ هو تدبّر وفهم عميق للقرآن الكريم»[200]بل إنّ التفسير الموضوعي بصفة خاصّة يُعدّ استجابة لما هدانا إليه تعالى في آيات كثيرة لفهم كلامه وتدبّره منها:

---

[198]ـ سورة الأنعام، الآية 38.

[199]ـ ابن نبي، مالك. الظاهرة القرآنيّة. مرجع سابق، ص 195.

[200]ـ رشواني، سامر عبد الرحمن. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. مرجع سابق، ص 57.

يقول تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (82) ﴾[201]. ويقول تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)﴾[202].

و التفسير الموضوعي أصبح اليوم أحد أنواع التفسير الراسخة، بل أصبحت آفاق البحث فيه والتأليف وفق منهجه آمال المفسّرين وشغف الباحثين، بسبب أهميّته والمصالح التي يُحققها « فهو إلى جانب التفسير التحليلي والإجمالي والمقارن أصبح يشغل حيّزا في الدراسات القرآنيّة المعاصرة»[203]، وله آفاق بحثية واسعة، من خلاله منهجه وأهميّته المعاصرة.

ب: أهمية التفسير الموضوعي.

للتفسير الموضوعي أهميّة يمكن اختصارها فيما يلي:

1: هو تفسير منحصر في موضوع وقضيّة واحدة، مما يمنح منهجه العلمي فرصة الإحاطة بالموضوع، والنجاح في الوصول إلى غايته من ضبط مراد خطابه «لأن التفسير الموضوعي نمط علمي منضبط ومحدّد، يدور فيه الجهد هو جمع الآيات واستخلاص حقائقها المباشرة، أو استنباط معانيها وخطوطها الجامعة... ثم يتخلّص التفسير من الحشو الزائد»[204] فهو يمتاز بالتركيز على موضوع واحد.

2: يستخدم التفسير الموضوعي من السياقات والمناسبات بين الآيات المرتبطة بموضوع معيّن ما يمنحه أفقا دلاليا رحبا لالتماس المقاصد القرآنية من دلالاته وأحكامه في قضيّته « من هنا كانت أهمية التفسير الموضوعي الذي يهتم بالهدايات القرآنية ويُحاول الكشف عنها من خلال السياق والسياق للآيات الكريمة، ومن خلال تتبع الكلمة واستعمالاتها، ومن خلال التعرف على المناسبات بين السور والآيات»[205] فلا يُمكن فهم آيات الطلاق أو المواريث أو أحكام الزواج وغيرها من أحكام القرآن الكريم، دون تلك السياقات والمناسبات والعلاقات بين الآيات المتفرّقة.

3: الوصول إلى دلالات التكرار بما يتضمّنه من زيادات وحكم دلالية تظهر في تلك القواعد الأصولية من تقييد للمطلق وتخصيص للعام وغيره «وإنّما التكرار في كل

---

[201]ـ سورة النساء، الآية 82.

[202]ـ سورة محمد، الآية 24.

[203]ـ مسلم، مصطفى. وآخرون. من مقدمة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. كليّة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربيّة، ط1، 2010، ج1، ص أ.

[204]ـ فتح الله سعيد، عبد الستار. مدخل إلى التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص 53.

[205]ـ مسلم، مصطفى.مباحث في التفسير الموضوعي. مرجع سابق، مقدمة المؤلف، ص ب.

موضع له من الدلالة ما يستقلّ به عن الموضع الآخر، إمّا بزيادة تفسير أو تفصيل أو دليل، فالبحث عن معنى الآية أو الآيات من خلال جمعها والمقارنة بينها وبين مواضع تكرارها طريق عظيم الأثر في فهم القرآن»[206] وفهم المعاني الإضافية من التكرار، التي تكمل المعنى الأساسي وتُعمّقه.

4- توجّه البحث العلمي المُعاصر إلى التخصّص، لمواجهة التحديّات، والتحكم في أدوات البحث والمعرفة، « فإنّ جمع الآيات موضوعيا، وتحديد دلالات الألفاظ القرآنية من خلال النظرة الكليّة الجامعة التي قال بها أصحاب الفنون العلميّة المختلفة، في الدراسات الدينيّة واللغويّة جميعا»[207] فمع توسّع المعرفة وتنوّع الاختصاصات يحتاج التفسير إلى مناسبة ذلك.

5- التسهيل المنهجي لطلاب العلم والباحثين والمعنيّين للتعامل مع الموضوع بصفة مباشرة ومختصرة، لاختصار الوقت والجهد «وهكذا يعنى كل متخصص بموضوع تخصّصه ومجال اهتمامه، ويركّز عليه ويجدّ فيه بكل ما أوتي من علم وفق قواعد التفسير المعتبرة »[208] بما يُفيد مجاله دون تشتيت لاهتمامه وطاقته.

6- استنباط الأحكام بما يُساهم في عمليّة الترجيح والتقارب بين المذاهب والمدارس، لأنّ تمييز الأدلّة وتمييز الموضوع يمنح سهولة لعمليّة الاجتهاد والترجيح والمقارنة، لأنّ النظرة الموضوعيّة للأدلة من القرآن الكريم والسنّة النبويّة يمنح للباحث والمجتهد رؤية واسعة وعميقة لمراد ومقصد الخطاب.

7- تحرير التفسير من الحشو، والتحليل الزائد، والاستطراد لمواضيع مختلفة ومتفرّعة، جعلت تفاسيرنا الكبيرة ومتعدّدة الأجزاء تغرق فيها المعاني والدلالات.

8- مساهمة أصحاب الاختصاص في إثراء أوجه الإعجاز القرآني، في موضوع اختصاصهم «ومن أهميّة التفسير الموضوعي أن الباحث فيه يستطيع أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، ويجد أهل الاختصاص في كل فن أن المعجزة الخالدة الباقيّة تقيم الحجة على الأجيال»[209] ويجدون المجال للمساهمة في التفسير بمعارفهم المختصّة وإثرائه.

---

[206]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في تفسير القرآن. مرجع سابق، ص 298.

[207]- فتح الله سعيد، عبد الستار .مدخل إلى التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص 54.

[208]- عباس عوض الله عباس. محاضرات في التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص 33.

[209]- عباس عوض الله عباس. محاضرات في التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص 32.

9- مواجهة الإشكاليات والتحديّات التي تُواجه المجتمع الإسلامي، ومقاربة المواضيع المعاصرة لكل عصر، فلكل عصر أولوياته، واهتمامات الحياة فيه، بما يتطلب التفسير وفق حاجياته، فيتم التعامل مع مواضيع مستجدّة لذلك العصر، أو معاودة التدبّر في الخطاب القرآني للتعمق في الاختيارات للأحكام المناسبة لمواجهة النوازل والوقائع المعاصرة للتفسير.

10- تقديم التفسير الإسلامي لمراد القرآن بوصفه المصدر الأول للتشريع والمعرفة الإسلاميّة بطريقة منظّمة، تُساهم في الفكر الإنساني والعالمي، فالعالم بحاجة إلى سماع حُكم القرآن وهديه في المواضيع التي تهمّ الإنسانيّة، فخطاب القرآن الكريم وأحكامه هو خطاب للعالم كله، يحتاج العالم من التفسير تقديم أحكام موضوعيّة إلى جانب الرؤية الشاملة للدين والحياة.

11- تسهيل العملية المعرفية والعلميّة، خصوصا في عصر التقنيات ووسائل التواصل، وبرمجيات الإعلام الآلي، فالتقنيات الحديثة في التواصل والتبليغ، مبنيّة على التنظيم والسرعة والاختصاص، وعلى برمجيات البحث التقنيّة، التي تتطلب الموضوعاتية أو الاختصاص والترجمة، وسرعة تداول المعرفة بشكل منهجي.

3-3: نشأة التفسير الموضوعي:

أوّل ما جُمعت آثار التفسير جُمعت في روايات الحديث النبوي ومن آثار الصحابة والتابعين، ضمن أبواب الحديث، ويُمكن اعتبار ذلك أول مراعاة للموضوع في التفسير النبوي والأثري من طرف المحدّثين وجامعي الحديث، قبل أن يُدوّن التفسير مستقلا على ترتيب المصحف، ومع ذلك كان المفسر غالبا يذكر بالآيات السابقة أو اللاحقة أو يشير ولو بشكل مقتضب للآيات ذات العلاقة بالموضوع، ولو اضطرّ إلى تكرار الموضوع، كما يعتبر التأليف في علوم القرآن من أوّل أوجه الاهتمام الموضوعي في القرآن الكريم «فما كتب: إعجاز القرآن، والناسخ والمنسوخ في القرآن، وأحكام القرآن، وأمثال القرآن، ومجاز القرآن... قديما إلا أمثلة ناطقة على أهميّة هذا اللون من التفسير عند السلف الصالح من علماء هذه الأمّة »[210] وهذا منذ القرن الثاني للهجرة، بدأ البحث الإسلامي في استخدام عمليات الاستقراء والتمييز من خلال الموضوع لخدمة مناحي البحث في القرآن الكريم منذ القديم.

[210] مسلم، مصطفى. مباحث في التفسير الموضوعي للقصص القرآني. مرجع سابق، ص26.

ظهرت عمليّة التبويب على أساس الموضوع التي تبنّاها علماء الحديث، حيث جمعوا الحديث في كتب وأبواب، كما في صحيح البخاري[211] أو صحيح مسلم[212]، وغيرهما، كما كان الفقهاء يستدلون بالآيات في الموضوع الفقهي الواحد، فيستنبطون الأحكام منها كالطهارة أو الصلاة أو الصوم... كما اتجهت بعض الدراسات اللغوية لموضوع واحد مثل الأشباه والنظائر، أو المجاز في القرآن أو غريب القرآن... وهكذا بُنيت العلوم الإسلاميّة على احترام التفصيل الموضوعي عند التأليف، للتسهيل على طلاب العلم والعلماء وتنظيم المعرفة الإسلاميّة على أساس موضوعاتي.

كان علم المناسبات من العلوم كذلك التي بحثت في العلاقة الموضوعاتيّة بين الآيات والسور ويُعتبر أبو بكر النيسابوري[213] أوّل من أظهر علم المناسبات[214] لعلمه بوجود رابط دلالي بينها «وهو علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[215] هو وجه من وجوه البحث في العلاقة الموضوعيّة والدلاليّة التي تحكم أجزاء الكلام، « فعلم مناسبات القرآن، علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة في أدائه [...] وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة»[216] كما خصّص له الزركشي[217] الفصل الثاني من البرهان[218]، وألف فيه برهان الدين البقاعي[219] «نظم الدرر في

---

[211]- ينظر: صحيح البخاري. البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، شبرا، مصر، ط1، 2001.

[212]- ينظر: صحيح مسلم. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، تحقيق: أحمد زهوة، أحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

[213]- أ النيسابوري، أبو بكر. برهان الدين إبراهيم، مقرئ ومفسّر وعالم بمعاني القرآن الكريم والقراءات، توفي سنة 338ه الموافق 949م. ينظر: معجم المفسّرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ج2، ص 569.

[214]- ينظر: الفراهي، عبد الحميد .تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. مرجع سابق، ج1، ص21.

[215]الزركشي، بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص35-36.

[216]- البقاعي، برهان الدين إبراهيم. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. تحقيق: حسنين ،عبد السميع محمد أحمد. دار المعارف، الرياض، السعودية، ط1، 1987، ص142.

[217]- الزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر، فقيه شافعي، أصولي ومفسّر وأديب، ولد سنة 809ه الموافق 1406م وتوفي سنة 885ه الموافق 1480م، من آثاره: كشف المعاني، البرهان في علوم القرآن. ينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ج2، ص 506.

[218]- ينظر : البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد، مرجع سابق.

تناسب الآيات والسور»[220]، وألّف الإمام السيوطي[221] كتابه «تناسق الدرر في تناسب السور»[222]، وتواصل التأليف في ذلك إلى العصر الحديث[223].

وإن كانت مؤلفات علوم القرآن الموضوعاتيّة ليست من التفسير الموضوعي، فإنها اشتركت معه ومهّدت له من خلال منهجيّة التصنيف والتمييز، والبحث في مواضيع محدّدة من خلال جمع الآيات المتشابهة ذات العلاقة والدّالة على الموضوع «إن هذه العلوم وإن عالجت موضوعا مفردا إلا أنّها لا تدخل في نطاق التفسير الموضوعي للقرآن، لأن الموضوع المدروس في هذه العلوم لم يقصد به حقيقة التفسير»[224] ولكن فيها دليل أن الفكر الموضوعي لم يكن غريبا عن علماء الإسلام، وأقرب صورة للتفسير الموضوعي في مصنّفات علوم القرآن، التي عنيت بآيات الأحكام، «فموضوعها، وهو أحكام القرآن موجود في القرآن بيقين، لكن تحته قضايا متعدّدة، كالصلاة، والحدود، والربا، والعدّة...»[225] مثل «أحكام القرآن» لأبي بكر الجصّاص[226] « وجدير أن تعلم أنه أفرد بالتصنيف أبواب من التفسير، كتفسير آيات الصفات، وقصص القرآن، وآيات الأحكام، وغير ذلك»[227] ومثل أحكام القرآن لابن العربي[228]،

---

[219]- البقاعي: برهان الدين إبراهيم، مفسّر وفقيه ومؤرّخ، ولد سنة 809ه وتوفي سنة 885ه من مؤلفاته: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص 17.

[220]- ينظر: نظم الدرر في تناسب السور، البقاعي، برهان الدين، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، 1984

[221]- السيوطي: جلال الدين، مفسر ومؤرخ، عاش بمصر ولد سنة 849ه الموافق 1445م، وتوفي سنة 911ه الموافق 1505م، من آثاره: الإتقان في علوم القرآن، الإكليل في استنباط التنزيل. ينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ج1، ص 264.

[222]- ينظر : تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، جلال الدين، تحقيق: عطا، عبد القادر أحمد . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

[223]- ينظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، الغماري، عبد الله محمد الصديق. مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر.

[224]- رشواني، سامر عبد الرحمن. منهج التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص 78.

[225]- فتح الله سعيد، عبد الستار. مدخل إلى التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص 124.

[226]- الجصّاص، أبو بكر. أحمد بن علي الرازي، مفسّر وفقيه حنفي، ولد سنة 305ه الموافق 917م، سكن بغداد وتوفي بها سنة 370ه الموافق 980م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص171. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ج1، ص 48.

[227]- الجديع. عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 323.

و«البيان في أقسام القرآن»لابن القيّم الجوزية[229]، وغيرها بمعنى أنه «أفرد بالتصنيف أبوابا من التفسير، كتفسير آيات الصفات، وقصص القرآن، وآيات الأحكام وغير ذلك »[230] مما يمكن اعتباره مقدّمات للتفسير الموضوعي، خصوصا عند الطحاوي[231]من أهل السنّة، حيث كان الموضوع محورا في تفسير الأحكام، على مواضيع الفقه المشهورة، بداية من كتاب الطهارة ثم كتاب الصلاة وهكذا.

اعتماد علماء الإسلام على الاستقراء للوصول إلى بناء أصول وقواعد علميّة عامة، في علوم متعددة كأصول الفقه، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وكثير من العلوم القرآنية، كان منطلقهم استقراء الآيات في القرآن الكريم، يستنبطون من ذلك أصلا إسلاميا يعبر عن موضوعه « ولقد كملت الشريعة في القرآن وفي السنة، فلم يتخلف عنها شيء، والاستقراء يبيّن ذلك»[232] ومنهجية الاستقراء بوجه ما هو منهج موضوعاتي، يعتمد على البحث في موضوع محدّد.

_ هناك تفسير مبثوث في كتب التفسير، يستطرد فيه المفسّر في موضوع الآية، متناولا آيات ذات علاقة بموضوعها، كما يفعل ابن كثير وغيره في استطراده لآيات مماثلة، باستحضار آيات في الموضوع الفقهي، أو التذكير بأنّ ذلك مرّ في سورة سابقة، حيث أن الموضوع يفرض نفسه على المفسّر حتى في التفسير التحليلي، ولكن بشكل مقتضب واستشهادي في سياق تفسيره أو بيانه للحُكم الفقهي أو الدلالة اللغويّة.

_ معاجم القرآن[233] التي صنّفت القرآن الكريم بحسب المواضيع، أو تصنيف غريب القرآن حسب المواضيع والكلمات المشتركة، ووضع معانيها، كمعاجم الأشباه والنظائر

---

[228]- ابن العربي، محمد بن عبد الله، أبو بكر، الأندلسي الإشبيلي، ولد سنة 468ه الموافق1076م، الفقيه المالكي، توفي قرب فاس سنة 543ه الموافق 1148م، من آثاره: أحكام القرآن، الناسخ والمنسوخ. ينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. ج2، ص559.

[229]- ابن القيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر، من فقهاء الحنابلة، ولد بدمشق سنة 691ه الموافق 1292م، لازم ابن تيميّة وأخذ عنه، وتوفي بدمشق سنة 751ه الموافق 1350م، من كتبه تفسير الفاتحة. ينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. ج2، ص503.

[230] لجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 323.

[231]- الطحاوي، أبو جعفر أحمد، الفقيه والمحدث ولد سنة 239ه 853م وتوفي بالقاهرة سنة 321ه الموافق سنة 933م من آثاره العقيدة الطحاوية، والمختصر في الفقه. ينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. ج1، ص59.

[232]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج4، ص 19.

[233]- ينظر: معجم مصنفات القرآن الكريم، إسحاق، علي شواخ. دار الرفاعي، الرياض، السعودية، ط1، 1983، ج1 (المعاجم).

أو الفروق، أو معاجم الآيات التي اعتمدت على تبويب الآيات حسب المواضيع، وكل موضوع تجمع آياته المناسبة، ويلحق هذا في العصر الحديث الآليات الرقميّة في البحث القرآني، من خلال الموضوع أو اللفظ، كالمواقع الالكترونية والبرامج الرقميّة في البحث عن الموضوع أو اللفظ في القرآن الكريم.

- البحث عن أغراض السُوَر ومعانيها الكبرى في التفاسير وكتب علوم القرآن، وهذه انتشرت في التفاسير الحديثة، حيث يعرّج المفسّر عند تفسير السورة إلى بسط معالمها الكبرى وأغراضها الدلالية، لتكون معالم لتفسير آياتها.

- المواضيع الفكرية في القرآن مثل المرأة في القرآن...القيامة في القرآن، أو دراسات أسلوب القرآن، أو قضايا لغويّة في القرآن... وغيرها، ولكن تناولها الفكري التحليلي، لا يجعلها من التفسير الموضوعي، لأن مقصدها ليس التفسير وإنما التناول الفكري ومناقشتها، بحسب ما يفهما المؤلف، من استشهاداته القرآنية، متوسّعا إلى الآراء والتحليل الفكري، ولكن هذه الاجتهادات هي جزء من الاجتهاد الإسلامي العام في مسيرة الاستقراء والتصنيف، للوصول إلى نضوج فكرة التفسير الموضوعي ومنهجه والرؤية الموضوعيّة في القرآن الكريم.

والتفسير الموضوعي بمفهومه الحديث، الاصطلاحي لم ينضج إلا في أواخر الستينيات حيث «اتفق الباحثون في التفسير الموضوعي على أن أوّل دعوة رسميّة للتفسير الموضوعي قد ظهرت على يد أمين الخولي[234](1966) مؤسس الاتجاه الأدبي "البياني" في تفسير القرآن»[235] مثلما « تُعدّ رسالة الدكتوراه التي قدّمها محمد محمود حجازي عام 1967 في كليّة أصول الدين بجامعة الأزهر أوّل رسالة علميّة تعالج قضيّة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم أو الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم»[236] والحقيقة أنّه ظهر قبل ذلك، ثمّ توالت الدراسات والبحوث في التفسير الموضوعي، والدعوة إليه، والتنظير في مفهومه و مناهجه والدعوة للتأليف فيه.

وإجراء تطبيقات دراسيّة عليه «يتجه التفسير الموضوعي نحو الاكتمال، حيث اتجه التأليف فيه وجهة جديدة، تقوم على تحديد الموضوع، وتناوله من جانبه الخاص، وربط عناصره ومسائله برباطها الأقرب، ليتمّ التمايز بين الموضوعات القرآنيّة

---

[234]- الخولي، أمين. لغوي وأديب مصري، ولد سنة 1313ه الموافق 1895م، ودرس بالأزهر وتخرّج منه، وتقلّد مناصب عديدة، ودرّس بالجامعة المصريّة، وتوفي بالقاهرة سنة 1385ه الموافق 1966م، له البلاغة العربيّة. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص16.

[235]- سامر عبد الرحمن رشواني. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. مرجع سابق، ص78.

[236]- المرجع نفسه، ص24.

المتكاثرة»[237] ولكنّه بقي على مستوى التنظير أكثر من مستوى التطبيقات، باستثناء المحاولات الفكريّة التي تناولت مواضيع في القرآن الكريم، وهي لا يُمكن تصنيفها ضمن التفسير، لأنّ التفسير الموضوعي يتجاوز مسألة تناول الموضوع من خلال ألفاظه في القرآن « وهذا تصور لفظي أو شكلي للتفسير الموضوعي وكان الموضوع يُردّ في النهاية إلى لفظ ما ذكر مرات عديدة في القرآن»[238] فالتفسير الموضوعي هو تفسير يتناول الخطاب القرآني بمنهج موضوعي، سواء تفسير سوره من خلال محاور موضوعاتها[239]، أو البحث عن الموضوع من خلال الآيات المرتبطة به ضمن مجموع الخطاب القرآني في كتاب الله.

هذا يعني أنّ الموضوع لا يتحدّد بمجرّد اللفظ، وإنّما يتجاوز ذلك إلى متعلّقات الموضوع، ونظمه الشامل، وحقله الدلالي، وجملة المقاصد التي تتعلّق به، فهو منظور للمفسّر يحاول أن يتتبّع كل دلالة مفيدة للموضوع في القرآن، ولا يتوقف عند الألفاظ المكرّرة، لأن النظم القرآني يتناول الموضوع ضمن خطابات متقاطعة الدلالة، أحيانا بخطاب مباشر، وأحيانا بخطاب بلاغي، وأحيانا ضمن توجيه ربّاني، وأحيانا ضمن قصّة قرآنيّة أو مثل قرآني، وبأساليب متنوّعة، وهذا يمنح لمفهوم الموضوع دلالة أعمق من تتبّعه من خلال الألفاظ فقط، ومن خلال الموضوع القرآني يصل المفسّر إلى دلالة الخطاب ومفهومه التي تمثّل الحُكم القرآني في الموضوع، فالتفسير الموضوعي هو منهج في البحث العلمي المتعلق بالتفسير، يتمحور حول الموضوع في الخطاب القرآني، من خلال الخطاب المرتبط بالموضوع، قصد الوصول إلى الحُكم العام للقرآن الكريم فيه، الذي يشمل أحكامه الفرعيّة ومسائله التفصيلية.

3-4: الفرق بين التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي.

موضوع التفسير المشترك الذي يقصد تفسير القرآن الكريم بينهما يجعل المنهجين متكاملين، ولذلك فإنهما يتقاطعان في حاجة كل منهما إلى منهج الآخر، ففي التفسير التحليلي يحتاج إلى الرؤية الموضوعيّة في تحليله سياق الخطاب القرآني، وفي التفسير الموضوعي بحاجة إلى تفسير سياقي ضمن رؤيته الموضوعيّة الشاملة، بسبب تعدّد الأبعاد الموضوعيّة للخطاب، بين موضوع سياق السورة والآيات من جهة، وموضوع

[237]- فتح الله سعيد، عبد الستار .مدخل إلى التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص33.

[238]- رشواني، سامر عبد الرحمن. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مرجع سابق، ص 149.

[239]- ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم، مصطفى وآخرون، مرجع سابق.

الآيات المتعدّدة في الموضوع الواحد، ويمكن تحديد تمايز واشتراك المنهجين في العناصر الموالية:

1_ التفسير التحليلي يُفسّر القرآن الكريم حسب ترتيب المصحف الشريف، ترتيب آيات السورة، وترتيب السور، أما التفسير الموضوعي فهو يُفسّر حسب تشارك الآيات المتناثرة في المصحف في موضوع معيّن، فيجمع تلك الآيات ذات العلاقة لتفسيرها وفق مراد الخطاب عن الموضوع، وضمن موضوع سياق الآية ضمن سورتها والآيات السابقة واللاحقة.

2_ يُقارب التفسير التحليلي مواضيع وقضايا متداخلة يقتضيها معنى الآيات المتسلسلة ذات الأغراض المتنوّعة، أمّا التفسير الموضوعي فيتناول موضوعا واحدا بالتفسير، للوصول إلى معاني وأغراض الخطاب من الآيات في الموضوع المقصود بالتفسير.

3_ محور التفسير التحليلي هو النص المفسّر أي متن القرآن الكريم كله، أما محور التفسير الموضوعي هو الموضوع المتضمَّن في الآيات المرتبطة بالموضوع نفسه.

4_ غاية التفسير التحليلي هو تفسير نص المصحف، أي متن القرآن في المصحف الشريف، وفق ترتيبها فيه، أما التفسير الموضوعي فهو تفسير مواضيع الخطاب القرآني.

5_ منهجية التفسير التحليلي هي منهجية استطرادية تلتزم بترتيب المصحف، ومنهجية التفسير الموضوعي هي منهجية استقراء وتصنيف، للآيات المناسبة للموضوع والمتعلقة به.

6_ يشترك التفسيران في البحث عن مُراد الخطاب، خطاب الشارع، وفي أصول ومصادر التفسير، أي منهج للتفسير، بغضّ النظر عن التطبيقات التي تأثّرت بالمراحل التاريخية للتفسير واتجاهات المفسّر، وحسب جهده البشري، والتزامه بالدقة والصرامة العلمية، ووقوفه عند حد التفسير وعدم تجاوزه واستطراده لعلوم معرفية أخرى، ولذلك نحن بحاجة إلى احترام صارم لغرض التفسير ومفهومه والتزام منهجه العلمي.

7_ يستفيد كل منهما بالآخر، ليس فقط من حيث مضمون التفسير، وإنما من حيث المنهجية، حيث يأخذ التفسير التحليلي المنظور الموضوعي للوصول إلى المعنى العميق، والمراد والمقصود من الخطاب في ذلك الموضوع، كما يستفيد التفسير الموضوعي من التفسير التحليلي عمق السياق القرآني نفسه، داخل خطاب السورة، لأن مفهوم التفسير الموضوعي هو ذو أبعاد متنوعة، تأخذ بعين الاعتبار كل سياقات

الخطاب سواء من خلال موضوع السورة، أو من خلال الموضوع داخل الخطاب القرآني.

المبحث الرابع: الحُكم بين المصطلح والموضوع.

1-4: دلالات لفظ الحُكم.

الحُكم هو من الألفاظ المشتركة التي تحمل معان متعدّدة[240] ضمن حقل دلالي واسع حسب استعماله وتوظيفه، ومن أهمّ دلالاته:

أ- الحُكم بمعنى المَنع: حيث « الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأوّل ذلك الحُكم، وهو المنع من الظلم، وسُميّت حَكَمة الدابة لأنها تمنعها، يُقال حَكَمت الدابة وأحكَمَها، ويُقال حَكمتُ السفيه وأحكمتُه، إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها لأنها تمنع من الجهل»[241] وهذا المعنى متضمّن في دلالات أخرى للحُكم، ولذلك هو يعتبر من الأصول الدلاليّة للحُكم، « وحَكم الرجلَ و حكّمه وأحكمه: منعه ممّا يريد... يُقال أحكمت فلانا أي منعته، وبه سمّي الحاكم لأنّه يمنع الظالم، وقيل هو من حَكمت الفرس وأحكمته وحكّمته إذا قدعته وكففته، وحكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يده »[242] فهو يدور حول المنع، كالمنع من الظلم أو المنع من الجهل « والعرب تقول: حكمت وأحكمت وحكّمت بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم لأنّه يمنع الظالم من الظلم»[243] وهذا المنع من الظلم أو الجهل يؤدي إلى مقصد العدل والعلم، كما يُحيل إلى القدرة والعزّة، ومن أهمّ الدلالات التي وردت استعمالاتها في القرآن الكريم، بصيغ لغوية مختلفة، وبسياقات أسلوبية ودلالية متنوّعة، يجب التمييز بينها والتمييز بين دلالاتها في الآيات والسياقات المختلفة.

ب- الحُكم بمعنى القضاء:

حيث «الحُكم بالضم: القضاء في الشيء بأنّه كذا أو ليس كذا، سواء لزم ذلك غيره أم لا، هذا قول أهل اللغة»[244] و« الحُكم : مصدر قولك حَكَم بينهم يحكُم أي قضى، و حَكَم له وحَكَم عليه، والحُكم أيضا الحكمة من العلم، والحكيم: العالم، صاحب الحكمة،

---

240 - يُنظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد. لسان العرب. مرجع سابق، ج2، ص 539-543

241- ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. مرجع سابق، ج2، ص 1979.

242 - ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص540

243 - المرجع نفسه، ص 541.

244- الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس، مرجع سابق، ج11، ص510.

والحكيم: المتقن للأمور وحكّمنا فلانا أمرنا، أن يحكم بيننا، وحاكمناه إلى الله: دعوناه إلى حَكَم الله»[245] فالحُكم بمعنى القضاء « وقد حكم عليه بالأمر يحكم حُكما وحُكومة وحَكم بينهم كذلك، والحُكم مصدر قولك حَكم بينهم يَحكم أي قضي وحَكم له وحَكم عليه»[246] ومن ذلك الحُكم بمعنى الولاية لأنّها تحكم في النّاس وتحكم بينهم.

يقول تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً (58) ﴾[247].

وهنا توجيه في القرآن للحُكم بين الناس بالعدل، « هذه الآية في أداء الأمانة والحُكم عامّة في الولاية والخلق، لأن كل مسلم عالم، على كل مسلم حاكم ووال»[248] وفصل الأمر في أحكام الأمور والمعاملات والتنازع ذلك أن « الحُكم فصل الأمر على الأحكام بما يقتضيه العقل و الشرع»[249]، ومنه الفصل عند التنازع أو الخلاف وأنواع الاحتكام للفصل بين الناس في ردّ مظالمهم وجلب حقوقهم وفضّ نزاعهم والعدل بينهم.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً (105)﴾[250].

فما نزل في القرآن الكريم من حقائق الشريعة بما يكون قواعد الحُكم، حيث «المراد أنّه أنزل إليه الكتاب ليحكم بالطرق والقضايا الدالة على وصف الأحوال التي يتحقق بها العدل فيحكم بين الناس على حسب ذلك، بأن تندرج جزئيات أحوالهم عند التقاضي تحت الأوصاف الكلية المبيّنة في الكتاب، فيكون الحُكم مرجع المسلم في حياته، لا خيرة له في ذلك، حتى ولو كان الحُكم مخالفا لما ألفه أو ورثه من أحواله وتقاليده، مؤمنا به وبالمصلحة في تحقيقه والحكمة من تشريعه وهو خير له من غيره من الأحكام الأخرى. مثل قوله تعالى : **﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾**

«فقد أبطل حُكم التبني الذي كان في الجاهلية»[251] مألوفا وشائعا بينهم والحُكم فيهم..

---

[245]- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين، مرجع سابق، ص 343.

[246] - ابن منظور، أبو الفضل محمد. لسان العرب، ج2، ص 540.

[247]- سورة النساء، الآية 58.

[248]- ابن العربي، أبو بكرمحمد. أحكام القرآن، مرجع سابق، ص 450.

[249]- العسكري، أبو هلال. الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلوم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 1998، ص 190.

[250]- سورة النساء، الآية 105.

[251] - ابن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج5، ص192.

في قوله تعالى: ﴿**مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4)** ﴾[252]

حيث « يظهر من الآية بجُملتها أنّها نفي لأشياء كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت، وإعلام بحقيقة الأمر»[253] وهو حُكم جديد يحكم حياتهم وعلاقاتهم...

يقول تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (5) ﴾[254]

وهكذا في الآيات التي في سياق خطاب حُكم القضاء... فالحُكم هو القضاء في الأمر للفصل فيه، والذي يستند إلى حقائق وقواعد منزلة في كتاب الله سبحانه وتعالى، وليس الاستناد إلى أحكام الهوى والجاهلية.

يقول تعالى: ﴿ **وَ أَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49)** ﴾[255]

فالقضاء بالحُكم بما أنزل الله هو منهج القرآن فيه « ما يدلّ على أنّ الكتاب يأمر بالحُكم بما فيه هو من آثار تنزيله، وعطف عليه ما يدل على أنّ الكتاب يأمر بالحُكم بما فيه بما دلت عليه أن التفسيرية»[256] وهذا ما يُحقق مصالح العباد ويقيم الحق والعدل بينهم ويمنع الظلم والجور والجهل، فينقلهم من حُكم ألفوه إلى حُكم جديد لتحقيق مقصده في العدل والمصلحة.

ج- الحُكم بمعنى الفهم والعلم بالحقائق:

[252] ـ سورة الأحزاب، الآية 04.

[253] ـ الثعالبي. تفسير الجواهر الحسان، مرجع سابق، ج4، ص 334.

[254] ـ سورة الأحزاب، الآية 05.

[255] ـ سورة المائدة، الآية 49، 50,

[256] ـ ابن عاشور، الطاهر .تفسير التحرير والتنوير، ج6، ص225.

حيث « الحُكم يعني الفهم والعلم»[257]« والحُكم أيضا العلم والفقه في الدّين»[258] بوصفه سبيلا لمعرفة الأحكام الشرعيّة ومن ذلك « استعمال الحُكم في معنى القوّة، إذا أريد به الفهم المصاحب، وهو المعنى للحُكم بفهم ومعرفة القضاء الإلهي في الشرائع هو التفسير الغالب لمعنى الحُكم عندما يُسند إلى الأنبياء.

مثل قوله تعالى: ﴿**يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً(12)**﴾[259].

أي آتيناه صفات ثلاث: الفهم والمحبّة وطهارة الأخلاق، فاتصف حسب ذلك، فصار تقيّا»[260] وهذا لحاجة الحُكم إلى العلم والحُكم به، والاحتكام إليه.

وقال تعالى ﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74)﴾[261]

فاقترن الحُكم بالعلم « وذكر العلم بعد الحُكم ليعلم أنّ الحكم ههنا هو الحُكم المطلق فإنّه لا يكون إلا بالعلم»[262] ولذلك كان ممّا آتاه الله للأنبياء، ليبلغ الخلق والمؤمنين وهكذا في قوله تعالى في موسى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) ﴾[263]

ومنهم الخليل إبراهيم ذلك «أن إبراهيم عليه السلام لما اشتغل بالدعاء قدّم المعرفة على الطاعة، **فقال:**

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)﴾[264]

فقوله "**هَبْ لِي حُكْماً**" إشارة إلى استكمال القوّة النظرية بمعرفة حقائق الأشياء وقوله: "وألحقني بالصالحين" إشارة إلى استكمال القوّة العلمية بالاجتناب من طرفي

---

[257]- الدامغاني، الحسن بن محمد. قاموس القرآن (إصلاح الوجوه والنظائر). تحقيق: سيد الأهل، عبد العزيز. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1983، ص142.

[258]- الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس. مرجع سابق، ج11، ص522.

[259]- سورة مريم، الآية 13.

[260]- الفراهي، عبد الحميد. مفردات القرآن. مرجع سابق، ص 179.

[261]- سورة الأنبياء، الآية 74.

[262]- الفراهي، عبد الحميد. مرجع، سابق، ص 179.

[263]- سورة القصص، الآية 14.

[264]- سورة الشعراء، الآية 83.

الإفراط والتفريط، فقدّم العلم على العمل»[265] وهناك آيات أخرى تبيّن هذا التلازم الدلالي بين العلم والحُكم بهذا المعنى.

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) ﴾[266]

« والحُكم هو الحكمة، أي العلم بطرق الخير ودفع الشرّ...وهم الرسل والأنبياء الذين حكموا بين الناس مثل داوود وسليمان، ومنهم من أوتي بعضها»[267] بمن لم يكن قاضيا ولكنّه اقتضى أن يكون عالما بها لتبليغها لقومه ودعوتهم الالتزام بحُكم الدين فيهم، « والحُكم يُراد به اللب والفطنة والفقه في الدين»[268] فمستوى المعرفة والعلم بحُكم الدين هو أحد الدلالات التي تبنّاها المفسّرون في أقوالهم في تفسيره، بما علموه من معاني الوحي، فالعلم بهذه الأحكام نفسه هو الحُكم الذي ألهمه الله سبحانه لمَن اصطفاه من خلقه.

د- الحُكم بمعنى الأمر والهيمنة:

بمعنى الحُكم المطلق، أي الأمر الذي يعود إلى الله عزّ وجلّ « وأما الحُكم بمعنى الأمر فكثير منه، أنّ حقائق الأمور والقضاء والفصل فيها تعود إلى حُكم الله سبحانه، وما يُخالفها ما هي إلا أوهام وأسماء... مثل **قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (40)﴾[269] »[270].**

﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ « أي ليس لكم ولا لأصنامكم حُكم، ما الحُكم في العبادة والدين إلا لله، ثمّ بيّن ما حكم به»[271] فما حكم به الله هو الحُكم الحقيقي الفاصل، وهو ما قضى به في الدين والحياة، وفي الدنيا وفي الآخرة فالحُكم المطلق الذي يليق بجلاله، اقتضى أن يكون خطابه حُكما فاصلا وحاكما على العباد وأفعال العباد وعلى حقائق الأمور « فهو

---

[265]- الرازي، فخر الدين، عجائب القرآن، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص7.

[266] - سورة الأنعام، ص89.

[267] - ابن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. ج7، ص 352.

[268] - ابن عطية، عبد الحق. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، ط1، 2001، ج2، ص318.

[269]- سورة يوسف، الآية 40.

[270]- الفراهي، عبد الحميد. مفردات القرآن. مرجع سابق، ص 180.

[271] - أبو حيّان الأندلسي. البحر المحيط، تحقيق: عادل أخمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج5، ص309.

الحاكم على غيره، وهو المهيمن على ما سبقه، وهو الحُكم عند التنازع في القواعد، والفروع، وهو الأصل الذي ينبغي أن تقاس عليه أصول العلوم جميعا»[272] ولذلك كان القرآن مصدر الحُكم على الأمور ودليلها الأول، فيبذل العقل والفكر جهده في التفكير والتدبّر لبلوغ مراد حُكمه في الخطاب، ويستنفذ طاقته وجهده في فهم مقصده منه، قصد الالتزام به وإتباع هديه و تحقيق مقصده.

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (57) ﴾[273].

و يقول تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)﴾[274]

فهو الحاكم وهو الحكيم، كما له الحُكم بمعنى القدرة والهيمنة والإرادة التي تعلو كل إرادة، فحُكمه فوق كل أمر.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِي لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلُونَ (67) ﴾[275]

« والحُكم هنا بمعنى التصرف والتقدير، وبمعنى الحصر أنّه لا يتم إلا ما أراده الله...وليس العبد أن ينازع مراد الله في نفس الأمر ولكنه واجبه أن يتطلب الأمور من أسبابها لأنّ الله أمر بذلك»[276] فالأمر له من قبل ومن بعد، لا غالب لحُكمه ولا قاهر لإرادته فهو الحاكم فوق كل شيء، « ما القضاء والحُكم إلا لله دون سواه من الأشياء، فإنّه يحكم في خلقه بما يشاء، فينفذ فيهم حُكمه، ويقضي فيهم، ولا يُردّ قضاؤه »[277] فحُكمه فوق كلّ حُكم ومهيمن عليه، له الأمر من قبل ومن بعد، وهو على كل شيء قدير.

---

[272]- فتح الله سعيد،عبد الستار. المدخل إلى التفسير الموضوعي. دار التوزيع الإسلامية، بورسعيد، مصر، ط1، 1999، ص 79.

[273]- سورة الأنعام، الآية 57.

[274]- سورة يونس، لآية 109.

[275] - سورة يوسف، الآية 67.

[276]- ابن عاشور، الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج 13، ص23.

[277] - الطبري، محمد. ج16، ص166.

4-2: الحُكم اصطلاحا.

حمل الحُكم مفهومه الاصطلاحي حسب استعماله العلمي في كل علم، بما تناولته أصول العلوم الدينيّة، وإن اشتهر تعريف الأصوليين له، لارتباط هذا المصطلح بالحُكم الشرعي الفقهي، ولذلك فهو « في اصطلاح جمهور الأصوليين: «هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع»[278] و« الاقتضاء معناه الطلب وهو ينقسم إلى طلب فعل وطلب ترك... وأمّا التخيير فهو الإباحة... والمراد بالوضع: هو خطاب الله تعالى المتعلق بجعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا أو صحيحا أو فاسدا أو عزيمة أو رخصة»[279] ولذلك فإنّ الأصوليين عرّفوه من جهة كونه من الأدلة الشرعيّة، فهو دليل على الحُكم الشرعي الفقهي، بسبب ارتباط الأصول بالفقه.

والفقه يستعمل هذا الدليل في استنباط حُكمه الشرعي الفرعي « والحُكم الشرعي في اصطلاح الفقهاء: مدلول خطاب الشرع»[280] فهو ليس صيغة الخطاب ولكن مدلوله « كون الفقه مخصوصا بالعلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعيّة الفروعيّة»[281] كونها أثرا للخطاب على فعل المكلف « وأمّا أحكامها من حيث إنّها واجبة، ومحظورة، ومباحة، ومكروهة، ومندوب إليها، فإنّما يتولى الفقيه بيانها»[282] وذلك بسبب تنوّع أوجه وضع الأحكام « من جهة قصده في وضعها للإفهام، ومن جهة قصده في وضعها للتكليف بمقتضاها، ومن جهة قصده في دخول المكلّف تحت حُكمها»[283] ولذلك تنوّع مفهوم الحُكم بحسب وجه دلالته على الحُكم وما يتعلق به.

إن تمايز اختصاصي كل من الأصول والفقه، جعل هذا التمايز في مفهوم الحُكم عند كل منهما، فأمّا الأصوليون « فقد جعلوا الحُكم عَلما على نفس خطاب الشارع، وأما عند الفقهاء فإنّ الحُكم هو الصيغة الشرعيّة التي هي أثر ذلك الخطاب، وهو الذي توصف به أفعال العباد»[284] بينما بقي المفسّرون ينتقلون بين المفهومين حينا، ويبتعدون

---

[278]- الزحيلي، وهبة. أصول الفقه. مرجع سابق، ج1، ص38.

[279]- المرجع نفسه، ص 39.

[280]- ابن النجّار، محمد بن أحمد الفتوحي. شرح الكوكب المنير. تحقيق:الزحيلي، محمدئ و حمّاد ، نزيه . مكتبة العبيكان، الرياض، السعوديّة، دط، 1993، ج1، ص 333.

[281]- الآمدي، علي بن محمد. الإحكام في أصول الأحكام. دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط1، 2003، ج1، ص60.

[282]- الغزالي، أبو حامد. المستصفى. تحقيق: الأشقر، محمد سليمان . مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ح1، ص9.

[283]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، مرجع سابق، ج2، ص 5.

[284]- الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي. مرجع سابق، ج1، ص41.

عنهما حينا آخر، بحسب صرامة التزامهم بالمناهج الأصوليّة أو الفقهيّة، كما أنّ الأحكام الموجودة في القرآن الكريم أكبر من أن يشملها منهج فقهي «ذلك أن علماء الأصول انصرفوا، لسبب أو لآخر، إلى الحُكم التشريعي، واعتبروا الخطاب القرآني ذا بُعد واحد، وحصروا مفهوم الفقه في الحُكم التشريعي، مع أنّ للخطاب أبعادا أخرى متعدّدة، قد تكون مقدمة لا بد منها من تحصيلها ليترتب بعد ذلك الحُكم التشريعي، وفي الحقيقة، قد يكون المنهج الذي تأصّل وتكوّن من بين سائر المناهج هو منهج علماء الأصول، وتلاشت سائر المناهج أو توقفت بشكل مبكر»[285] فاشتغل الفقهاء في تفسير الأحكام الفقهيّة وحصروا مفهوم الحُكم فيها.

ولكن يحتاج التفسير إلى مفهوم أوسع من التعريف الفقهي للحُكم الشرعي، «فإنّ علم الفقه متأخر عن التفسير وفرع منه، وإنّما يحتاج المفسّر إلى مسائل الفقه، عند قصد التوسّع في تفسيره، للتوسّع في طرق الاستنباط وتفصيل المعاني تشريعا وآدابا وعلوما»[286]، ولكن إلى أي حدّ، فأين يقف التفسير ويبدأ الفقه؟

يقول تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48)**﴾[287]

فالحُكم أشمل من مفهومه الفقهي « يقول اصبر لما امتحنك به ربّك من فرائضه وتبليغ رسالاته، والقيام بما ألزمك القيام به في تنزيله الذي أوحاه إليك»[288] خصوصا أن خطاب القرآن الكريم خطاب شامل وكلي، ولذلك تجد الآيات في مواضيع مختلفة ولكنها في نظم القرآن تتكامل في منهج عقائدي وتشريعي واحد «تعريف القرآن بالأحكام الشرعيّة أكثره كلي لا جزئي، وحيث جاء جزئيا فمأخذه على الكليّة، إما بالاعتبار أو بمعنى الأصل، إلا من خصّه الدليل مثل خصائص النبي صلّى الله عليه وسلّم»[289] والمفسّر أمام خطاب حاكم ذي أبعاد متكاملة، ذلك أنّ « القرآن ليس كتابا فنيّا مقسّما على قضايا معيّنة، ثم تنقطع فيه الرؤية الشاملة، بل هو يعرض الكون وهو يبني العقيدة... ويعرض الكون وهو يربّي الخلق... ويمزج بين الجميع بطريقة مدهشة،

---

[285]- الغزالي، محمد. كيف نتعامل مع القرآن، مرجع سابق، ص 35.

[286]- ابن عاشور،لطاهر. تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص 26.

[287]- سورة القلم، الآية 48.

[288]- الطبري، محمد ابن جرير. تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: التركي ، عبد الله بن عبد المحسن. دار هجر، الجيزة، مصر، ط1، 2001، ص 572.

[289]- الشاطبي. أبو إسحاق، الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 231.

فالنظر في الكون والواقع والتاريخ يقود إلى الإيمان، ويؤصّل التوحيد ويبني الخُلق»[290] بما في ذلك القصص القرآني « وقد قصّ القرآن الكريم علينا أهم أخبار الماضين، وسواء كانت القصص مفردة أو مكرّرة، فهي في السياق القرآني أداة تربيّة، ومصدر توجيه، ووعظ يدعم الفرد والجماعة»[291] وهكذا فالخطاب القرآني بمختلف أساليبه هو منهج شامل وكلي للحُكم، وكذلك جاءت الأمثال والقصص في ذات المقصد، كلّها تخدم الحُكم ومقاصده...

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27)﴾[292]

ويقول تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120)﴾[293]

فالقصة أو المثل هو في سياق الخطاب القرآني ضمن مقاصده ودليله على الحُكم«فما اشتمل على الأمثال على تفاوت في ثواب أو إحباط عمل، أو على مدح أو ذمّ، أو على تفخيم أو تحقير، أو على ثواب أو عقاب، فإنّه يدل على الأحكام»[294] إلى جانب أغراض أخرى مثل مواساة المؤمنين أو تبشيرهم... « فإن آيات القصص والأمثال وغيرها يُستنبط منها كثير من الأحكام»[295] ولا تقتصر وجود الأحكام في آياتها المباشرة « وليس من القرآن شيء لا يرتبط به اعتقاد أو عمل»[296] وعليه يصبح مفهوم الحُكم في التفسير أوسع من مفهومه في الفقه أو الأصول، فيشمل كل فائدة شرعية في الخطاب.

فارتباط الحُكم بالخطاب « والأحكام ليست من التكليف ولا من صفات الأفعال، وإنّما الحُكم هو قول الله سبحانه، ودليله الذي نصبه علما على الفعل أو التكليف»[297]

---

[290]- الغزالي، محمد. كيف نتعامل مع القرآن، مرجع سابق، ص 41.

[291]- الغزالي، محمد. المحاور الخمسة للقرآن الكريم. دار الشروق، القاهرة، مصر، دط، دس، ، ص 89.

[292]- سورة الزمر، الآية 27.

[293]- سورة هود، الآية 120.

[294]- ابن عبد السلام، العز. الإمام في بيان أدلة الأحكام. تحقيق: رضوان مختار، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ج1، ص 145.

[295]- الزركشي، بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص3، 4.

[296]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 284.

[297]- ابن العربي، أبو بكر محمد. المحصول في أصول الفقه. إخراج: حسين علي البدوي، دار البيارق، عمان الأردن، ط1، 1999، ص 23.

فكان جوهر الخطاب هو الحُكم، وجوهر الحُكم هو الخطاب « فأما الحُكم فليس بصفة للأفعال وإنّما هو عبارة عن خطاب الله فيها»[298] وهذا التلازم بين الحُكم والخطاب هو المعنى الأنسب للتفسير، ولأبعاد الخطاب التي تتجاوز الحُكم الفقهي الفرعي « فيترتب عليه اعتبار الصيغة حُكما ودليلا للحُكم، فهي حُكم باعتبار ذاتها لأنّها كلام الله تعالى قصد به الطلب أو التخيير أو الوضع»[299] والتفسير هو يجتهد في فهم دلالات ومعاني الحُكم عندما يكشف عن معاني ودلالا الخطاب.

فالحُكم هو تلك المعاني والدلالات التي نوظفها في فهم خطاب الشرع، ولذلك عرفه الآمدي في سياق مناقشته لتعريف الأصوليين، « فالأقرب أن يقال في حدّ الحُكم الشرعي: إنّه خطاب الشارع المفيد فائدة شرعيّة»[300] وهذا المفهوم ليس استدراكا لتعريف الأصوليين، ولكنه مفهوم أقرب لماهيّة التفسير ومفهومه، لأنّ التفسير هو الذي يبحث في الخطاب القرآني الذي له آفاقا كثيرة وأوجها متعدّدة للأحكام، والحُكم الفقهي هو جزء منه، « فيأخذ المفسّر من جملة ما نظر فيه المتكلم واحدا خاصا، وهو الكتاب، فينظر في تفسيره [...] والفقيه يأخذ واحدا خاصا، وهو فعل المكلف، فينظر في نسبته إلى خطاب الشرع، من حيث الوجوب والحظر والإباحة»[301] فالخطاب القرآني يشمل الأحكام بمختلف متعلقاتها « والذي يشمل العقيدة والأخلاق، والمنهج والسلوك، والدستور العام، والفوائد المجنيّة من الآية القرآنيّة تصريحا أو تلميحا أو إشارة»[302] في الفهم العميق للخطاب ومنه لمدلول فوائد الأحكام.

فهو يشمل أحكام العقيدة كما يشمل أحكام العبادات والمعاملات، كما يشمل أحكام السياسة الشرعيّة وأحكام الحقوق[303]، من منطلق أنّ « للأحكام تعلق بالقلوب والأبدان والجوارح والحواس والأموال والأماكن والأزمان »[304] فليس في كتاب الله ما هو

---

[298]- المرجع نفسه. ص 23.

[299]- الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي. مرجع سابق، ج1، ص 41.

[300]- الآمدي، علي بن محمد. الإحكام في أصول الأحكام. مرجع سابق، ص 132.

[301]- الغزالي، أبو حامد. المستصفى من علم الأصول. مرجع سابق، ج1، ص15.

[302]- الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دار الفكر، دمشق، سورية، ط10، 2009، ج1، ص9.

[303]- ينظر: طرق استنباط الأحكام من القرآن الكريم، النشمي، عجيل جاسم. مرجع سابق، ص20، 21. وينظر: منهج القرآن الكريم في عرض آيات الأحكام، خصاونة، عماد عبد الكريم. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، عمان، الأردن، المجلد5، العدد2/أ، 2009، ص 117.

[304]- ابن عبد السلام، العزّ. عبد العزيز، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام (القواعد الكبرى). تحقيق: حمّاد، نزيه كمال . عثمان جمعة ضميريّة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 2000، ج1، ص 301.

خارج عن التدبّر والتفكر والتناسب والترابط مع منهج الله في الهداية، حتى وهو يعرض القصص والأمثال أو يسوق المواعظ والتذكير فهو في منهجه ليرسّخ تلك الأحكام من عقائد وعبادات وسلوك وغيرها، ولذلك يرتبط مفهوم الحُكم بماهيّة الخطاب القرآني، ومنه مقاصده ودلالاته التي تعود في الجملة لمصالح العباد في الدارين، وفوائد الخطاب للهدى والتذكير.

ارتباط الحُكم بمقاصد الخطاب ومصالح العباد، حيث أن « معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»[305] فجاء القرآن الكريم لبيان الأحكام وما تتصل به من مقاصد ومصالح و« الغرض بوضع هذا الكتاب بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات، ليسعى الكتاب في كسبها، وبيان مقاصد المخالفات، ليسعى العباد في درئها، وبيان مصالح المباحات، ليكون العباد على خيَرة منها»[306]، ومن ارتباط الحُكم بمفهوم الخطاب وفائدته الشرعيّة التي هي مقاصده ومصالحه من نصب أحكامه، التي تعود إلى مصالح العباد في الدارين.

يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (68) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (69) وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70) ﴾[307]

ويقول تعالى:﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (9)﴾[308]

فالقرآن الكريم في هداية البشر يأخذهم إلى مصالحهم «فالقرآن الكريم يهدي للتي هي أسدّ وأعدل وأصوب، وهي آية أجمل الله فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة»[309] تجنّبا للضلال والزيغ والظلم والعدوان...

---

[305]- المرجع نفسه ، ج1، ص 11، 12.

[306]- ابن عبد السلام، العز. قواعد الأحكام في إصلاح الأنام. ج1، ص 14.

[307]-سورة القصص، الآيات: 68-70.

[308]- سورة الإسراء، الآية 9.

[309]- حريفي، الحسن. الكليات الشرعية في القرآن الكريم. دار ابن القيم، الدمام، العربية السعودية، دار ابن عفان، القاهرة، مصرن ط1، 2002، ج1، ص 105.

يقول تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ (37)﴾[310]

« فحصل لهذا الكتاب كمالان: كمال من جهة معانيه ومقاصده وهو كونه حُكما، وكمال من جهة ألفاظه وهو المكنّى عنه بكونه عربيا»[311].

ومفهوم الحُكم في التفسير يمكن أن يتسع ليشمل تلك الآفاق الدلاليّة الكبرى، في حُكم الله في الخلق والكون، وفي رسالته للعالمين، وهدايته للبشر أجمعين، بما يُحقق مصالحكم في الدارين، لذلك فالحُكم هو خطاب الله تعالى في القرآن الكريم المتعلق بمعاني ودلالات مقاصد الشريعة ومصالح المكلفين، « والحُكم ما تضمّنه القرآن من المعاني»[312] وفهمه وتفسيره هو بيان لهذه المقاصد العامة والخاصّة، ومصالح العباد فيها، كما ساقها القرآن الكريم في آياته البيّنات، وأحاطها بالأمثال والقصص والوعظ، حيث « لا يوجد في القرآن آية بدون معنى أو فائدة أو حكمة أو تشريع، فهو كلام الله المعجز دستور الحياة البشريّة، وبناء عليه، يقصد بالآيات القرآنيّة تحقيق فائدة الإنسان في حياته الدنيويّة والأخرويّة، وتربطه بالحياة، وتكون بالتالي الأحكام المستفادة من معاني الآيات مرتبطة ارتباطا وثيقا إمّا بالعقيدة أو بالعبادة أو بالأخلاق والسلوك أو بالتشريع الصالح للفرد والجماعة»[313] والحُكم في منهج القرآن الكريم دائما يرتبط بالعقيدة حتى وهو يتجلى في العبادة أو الأخلاق، كما يرتبط بمنهج الترغيب والترهيب في وعظ الإنسان في الخطاب القرآني ذاته.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) ﴾[314]

3-4: موضوع الحُكم في القرآن الكريم:

بناء على دلالة مفهوم الحُكم في التفسير يمكن أن يشمل كل فائدة شرعية يمكن استنباطها من الخطاب القرآني، سواء في خطابها المباشر، أو في خطابها غير المباشر ممّا يخدم معناه مقصد الحُكم ومصلحته الشرعيّة، مثل المثل أو القصّة أو غيرها من أوجه وأساليب الخطاب القرآني المتنوّعة، بما فيها الأحكام الشرعية الفقهية، التي هي أحد مواضيع الحُكم بمعناه العام في التفسير، كما يتوسّع هذا المعنى إلى مجالات الشرع

310- سورة الرعد، الآية: 37.

311 - ابن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج13، ص 180.

312 - ابن عطية، عبد الحق. تفسير المحرّر الوجيز. مرجع سابق، ج3، ص316.

313- الزحيلي، وهبة .التفسير المنير. مرجع سابق، ج1، ص 66.

314- سورة الأنفال، الآية 24.

المتعدّدة من عقائد ومعاملات وعبادات وحقائق الكون والحياة، والدنيا والآخرة، ومقاصد الوجود الإنساني، فيصبح الحُكم مفهوما ملازما للخطاب في القرآن الكريم، « فيترتب عليه اعتبار الصيغة حُكما ودليلا للحكم، فهي حُكم باعتبار ذاتها، لأنّها كلام الله تعالى»[315] فمضمون خطاب الحُكم هو مضمون الحُكم، وتفسير الخطاب هو في الحقيقة تفسير للحكم.

يقول تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ (37)**﴾[316]

وقد قسّم الأصوليون الحُكم على نوعين « الحُكم المتعلق بفعل المكلف على جهة الطلب أو التخيير بالحكم التكليفي، وعلى تسمية الحكم المتعلق بفعل المكلف على جهة الوضع بالحكم الوضعي ولهذا قرروا أنّ الحكم الشرعي ينقسم إلى قسمين: حكم تكليفيي و حكم وضعي»[317] وهو مضمون الخطاب القرآني، الذي يفسّر بعضه بعضا، ويخدم بعضه بعضا، فسواء كان الخطاب بصيغة التكليف أو بصيغة الوضع فهو حُكم، يستحق التدبر والتفكر في تفسيره.

فالحكم التكليفي يتضمن معنى ودلالة التكليف بفعل أو ترك أو تخيير بينهما، كالأمر بالوفاء بالعقود[318] مثلا.

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)** ﴾[319]

أمّا الحكم الوضعي فيتضمن معنى ودلالة السبب أو الشرط أو المانع أو الصحة أو الفساد أو العزيمة أو الرخصة للحكم الشرعي[320]، مثل ذكر شرط وجوب الحجّ وهو الاستطاعة [321].

يقول تعالى: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ (97)** ﴾[322]

وهكذا فموضوع الحكم هو دلالة ومعنى صيغة الحكم المتعلقة بفعل أو ترك أو تخيير الموجهة للمكلف، وتشمل كذلك ما يتعلق بالحكم من جهة الأسباب والشروط والموانع

---

[315] ـ الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي. مرجع سابق، ص41.

[316] ـ سورة الرعد، الآية: 37.

[317] ـ خلاف، عبد الوهاب. علم أصول الفقه. مرجع سابق، ص100.

[318] ـ ينظر: خلاف، عبد الوهاب. علم أصول الفقه . مرجع سابق، ص 101.

[319] ـ سورة المائدة. الآية 01.

[320] ـ الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي. مرجع سابق، ص40.

[321] ـ ينظر: علم أصول الفقه .خلاف، عبد الوهاب. مرجع سابق، ص 101.

[322] ـ سورة آل عمران، الآية 97.

وغيرها من علامات الحكم، وما يتعلق به من مصالح ومقاصد، تتطلب تفكرا وتدبرا في الخطاب، ويأتي خطاب الحُكم بصيغ متنوّعة، توضّح الملامح المنهجية لعرض الأحكام في القرآن الكريم، ومن أهمّها:

أ: الحُكم المجمل: حيث عرض القرآن الكريم أغلب أحكامه مجملة، وترك تفصيلها للنبي صلى الله عليه وسلم، مبينا لها من خلال سنته الشريفة وسيرته العطرة مثل الأمر بالصلاة والزكاة والحجّ... التي وردت في القرآن الكريم مجملة لم يضع القرآن تفصيلها، مثل الصلاة التي لم يفصل في هيئتها وأوقاتها وكيفية أدائها كما لم يضع للزكاة تفصيلها من مقاديرها وأنصبتها وغيرها[323] فجاءت على وجه الإجمال يقول تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56)** ﴾[324] دون تفصيل.

ب: الحُكم المفصّل: وهو ما ورد حُكمه مفصلا فمثل حكم الميراث، حيث جاءت أحكام المواريث تفصل مستحقي الميراث وأنصبتهم منه في مجموعة من الآيات المتكاملة في موضوع الميراث، منها:

قوله تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (11)** ﴾[325]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12) ﴾

---

[323] ـ ينظر: تفاسير آيات الأحكام ومناهجها. العبيد، علي بن سليمان. مرجع سابق، ص 53.
[324] ـ سورة النور، الآية 56.
[325] ـ سورة النساء، الآية 11.

وهكذا ففي حكم المواريث نجد أحكامه مفصلة تفصيلا، بما يتجلى في التفسير إجمالا أو تفصيلا.

ج: الحُكم الكلي: وذلك بعرض كلي للمبادئ العامّة والقواعد الكلية للحكم دون تفصيل للأحكام الفرعية التي تنبثق منه، مثل الأمر بالعدل في الحَكم أو بالأمر بالشورى وغيره[326]

يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) ﴾[327]

فالأمر بالشورى جاء حكما كليا في القرآن، يؤسس لقاعدة كلية حول مبدأ الشورى، فاتحا مجال الاجتهاد للأحكام الإجرائية لتحقيق هذا المعنى، كما في الأمر بالعدل.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً (58) ﴾[328]

فالأمر بالعدل هو حكم كلي، يشمل كل ما من شأنه أن يكون وسيلة لتحقيق العدل ومنع الحيف والظلم.

وعادة يربط الخطاب القرآني الحُكم بالعقيدة، مثل ربط الأمر بترك الربا بالإيمان في قوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) ﴾[329]**

ب: ربط الحُكم بالترغيب أو الترهيب، فالترغيب كترغيب المزكي والمتصدق بطهارة وزكاة النفس. مثل قوله تعالى: **﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) ﴾**[330] والترهيب كترهيب آكل الربا مثل قوله تعالى:**﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) ﴾**[331]

ج: ربط الحُكم بالمقصد، كمقصد التيسير على المسافر والمريض في الصوم ، يقول تعالى: **﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**

326 ـ العبيد. علي بن سليمان. تفاسير آيات الأحكام ومناهجها.مرجع سابق، ص 57.
327 ـ سورة آل عمران، الآية 259.
328 ـ سورة النساء، الآية 58.
329 ـ سورة البقرة، الآية 278.
330 ـ سورة التوبة، الآية 103,
331 ـ سورة البقرة، الآية 279.

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) ﴾[332]

د: ربط الحكم بالموعظة، التي قد تكون مباشرة أو غير مباشرة. يقول تعالى ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) ﴾**[333]

وهكذا فإنّ الحُكم في القرآن، بالنسبة للتفسير، ليس مجرّد حُكما فقهيا في درجته من حيث كونه واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرّما ولكن هو خطاب فيه من الفرائد الشرعية ذات الأبعاد المتعددة التي تخدم حكم القرآن بالجملة في معانيه في هداية البشر و تحقيق مصالحهم.

[332] ـ سورة البقرة، الآية 185.
[333] ـ سورة البقرة، الآية 186,

الفصل الثاني

اتجاهات التفاسير القديمة والحديثة للأحكام

- المبحث الأوّل: اتجاهات التفاسير القديمة للأحكام
- المبحث الثاني: اتجاهات التفاسير الحديثة للأحكام

الفصل الثاني: اتّجاهات التفاسير القديمة والحديثة للأحكام:

المبحث الأوّل: اتجاهات التفاسير القديمة للأحكام:

تفسير القرآن الكريم الذي ترسّخ بوصفه أحد العلوم الدينيّة عبر مجموعة من المراحل والعصور، ساهمت في إثرائه والتأليف فيه مجموعة من العوامل والاتجاهات العلميّة التي تداخلت مع مؤثرات تاريخيّة وبيئية وسياسيّة... كما ساهمت الميول والنزعات الفرديّة للمفسّر، سواء كانت علميّة أو فكريّة، في تنوّع واختلاف اختيارات ومناهج التفسير خلال مجموعة من الاتجاهات، التي تراكمت عبر العصور وتفرّعت، فكان التفسير أحد الميادين الدينيّة والعلميّة التي ألهمت العلماء بمختلف اتجاهاتهم وتخصّصاتهم العلميّة.

و تأثر التفسير بتلك العوامل التاريخيّة، وذلك التراكم المعرفي في التأليف في مباحثه، والنزعات الفرديّة للمفسّرين، «فمنهم من آثر الاختصاص ومنهم من طوّل حتى كثر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم من عوّل على النظر والتحقيق والتدقيق، وكل أحد سلك طريقا نحّاه، ومذهبا ارتضاه»[334]، فتنوّعت مناهج وطرق التفسير، وشكلت مجموعة من اتجاهاته، حيث تميّز كل اتجاه بمنهجه الخاص، فوجد في التفسير مجالا للانتصار لاتجاهه ومذهبه، أو مجالا لإثراء مساهماته عبر معارفه واختصاصه العلمي، ومنه التفسير للأحكام في القرآن الكريم، ومن أهم تلك الاتجاهات القديمة:

1-1: اتجاه تفسير الأحكام بالمأثور:

التفسير الذي تفرّع بداية عن علوم الحديث، وحَمَلته الروايات والآثار، وتورّع العلماء عن التأليف فيه، دون مستند من الرواية والأثر، جعل التفسير يستند في مراحله الأولى على الآثار، فعُرف هذا النوع من التفسير بالتفسير النقلي أو التفسير الأثري، أو التفسير بالمأثور، والتفسير بالمأثور «هو ما جاء في القرآن أو السُنّة أو كلام الصحابة بيانا لكلام الله تعالى من كتابه»[335] وحصر منهجه في النقل والرواية كما حصر مصادرها حيث «هو ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو

---

[334]- ابن جزي، محمد بن أحمد. التسهيل لعلوم التنزيل. تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ج1، ص4.

[335]-الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج2، ص 12.

التابعين، من روايات نقليّة مروية في تفسير القرآن»[336] وهناك من توسّع إلى التابعين «وهو التفسير بالقرآن نفسه، وبالسنّة، وبالآثار عن الصحابة والتابعين»[337] فهو يعتمد على الرواية في نقل التفسير، و« والتفسير بالمأثور على أربعة أقسام:

1 ـ تفسير القرآن بالقرآن

2 ـ تفسيره بالسنة النبوية

3 ـ تفسيره بأقوال الصحابة

4 ـ تفسيره بأقوال التابعين»[338] إنّ اعتبار تفسير القرآن بالقرآن من أقسام هذا الاتجاه هو كونه يعتمد النقل في التفسير عموما، ولكن يمكن أن نستثني التفسير بالقرآن من التفسير بالأثر، بسبب خصوصيّة التفسير بالقرآن حيث أنّ « تفسير القرآن بالقرآن ليس تفسيرا بالمأثور، لأن المفسّر في هذه الخطوة يفسّر كلام الله بكلام الله، وليس بكلام البشر من صحابة وتابعين»[339] واعتبار تفسير القرآن بالقرآن منهج مستقل، أو أحد الخطوات المنهجيّة في التفسير عند التأصيل المنهجي للتفسير، كما أنّ التوسّع في التفسير إلى التابعين يحتاج إلى نظر، بسبب التوسّع في الرأي والروايات «والذي عليه الجمهور أنه من التفسير بالمأثور لأنهم تلقوه من الصحابة غالبا»[340]وكان يعتبر هذا الاتجاه أن التفسير يجب أن يكون محصورا في الأثر «فإن من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا»[341] معتمدين على تصوّر منهجي لا يخرج عن الأثر، عند هذا الاتجاه والالتزام به.

وذلك من منطلق أنّ الصحابة والتابعين أولى بفهم القرآن، لأنهم عايشوا ظروف نزوله، كما أخذوا من تفسير النبي وسيرته، إضافة إلى علمهم باللسان العربي حيث « إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم

---

[336]ـ العبيد،علي بن سليمان.تفاسير آيات الأحكام ومناهجها. دار التدمريّة، الرياض، السعوديّة، ط1، 2014، ج1، ص77.

[337]ـ الجديع، عبد الله بن يوس. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 325.

[338]ـ يعقوب، طاهر محمود محمد. أسباب الخطأ في التفسير. دار ابن الجوزي، الدمام، السعوديّة، ط1، 1425ه، ص 52.

[339]ـ الخالدي، صلاح عبد الفتاح. تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين. دار القلم، دمشق، سورية، ط3، 2008، ص148.

[340]ـ يعقوب، طاهر محمود محمد. أسباب الخطأ في التفسير. مرجع سابق، ص 60.

[341]ـ ابن عثيمين، محمد بن صالح، شرح مقدّمة التفسير لابن تيمية، إعداد: عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار الوطن، الرياض، السعودية، ص122.

أدرى لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها»[342] بل تتبع الأثر ينتهي إلى التابعين وهكذا كان النقل عن السلف منهجيتهم في التأليف، لأفضليّة القرون الأولى، وتميّزهم بالقرب من عصر النزول.

وكان منهجهم يعتمد على التدرّج في ترتيب مستند التفسير حيث «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السُنّة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد[343]، فإنه كان آية في التفسير، ويُعدّ تفسيره من أقدم المصادر التفسيريّة[344]... وكسعيد بن جبير[345]، وعكرمة[346] والحسن البصري[347]... وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم»[348] وبسبب تفرّق الصحابة في الآفاق، تمّ التأثر بأعلامهم في التفسير، فانتسب تلاميذ كل صحابي إليه وتأثّروا به، حتّى عُرفوا بمدارسهم في التفسير لتميّز منهجهم واختياراتهم التفسيريّة[349]، وتنوّع منازلهم وبيئاتهم وهي:

---

[342]- ابن تيميّة، أحمد. دقائق التفسير. مرجع سابق، ج1، ص 111.

[343]- مجاهد بن جبير أبو الحجاج، مفسر تابعي، سمع من الصحابة، ولد بمكة سنة 21ه الموافق 642م، قرأ على ابن عباس، وأخذ عن ابن عمر، توفي سنة 104ه الموافق 722م، له إعجاز القرآن. ينظر طبقات المفسرين، الأدنروي، مرجع سابق، ص 11، وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل.مرجع سابق، ج2، ص 462.

[344] : ينظر: تفسير التابعين، الخضيري، محمد بن عبد الله بن علي. دار الوطن، الرياض، السعودية، ج1، ص68.

[345]- سعيد بن جبير الأسدي، الفقيه المحدّث، أحد علماء التابعين وممّن أخذ العلم عنابن عباس وعبد الله بن عمر، ولد سنة 45ه الموافق 665م، وتوفي سنة 95ه الموافق 714م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج3، ص93. وينظر: طبقات المفسرين، الأدنروي، مرجع سابق، ص 10.

[346]- عكرمة، أبو عبد الله مولى ابن عباس، أصله بربري، مفسر، ولد سنة 25ه الموافق 645م، وتوفي سنة 105ه الموافق 723م. ينظر: طبقات المفسرين، الأدنروي، مرجع سابق، ص12. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ج2، ص12.

[347]- الحسن البصري، أبو سعيد، من أكابر التابعين، ولد بالمدينة سنة 21ه الموافق الموافق 642م وسمع من الصحابة، إمام أهل البصرة، عالم بالقرآن والفقه، أفتى في زمن الصحابة، توفي سنة 110ه الموافق 728م، من آثاره: نزول القرآن، وكتاب العدد في القرآن. ينظر: طبقات المفسرين، الأدنروي، ص13، ومعجم المفسرين، نويهض،عادل. مرجع سابق، ج1، ص 148.

[348]- ابن تيميّة أحمد. دقائق التفسير. مرجع سابق، ج1، ص 113.

[349]- :ينظر: تفسير التابعين. الخضيري، محمد بن عبد الله بن علي، مرجع سابق، ج2، ص662-665.

أ: المدرسة المكيّة: اختصّت زمن التابعين بحبر الأمّـّة وترجمان القرآن ابن عباس، رضي الله عنهما، ومن تلاميذه، سعيد بن جبير ومجاهد بن جبير وعكرمة وطاووس بن كيسان[350]...

ب: مدرسة المدينة: مركز أكابر الصحابة، منهم زيد بن ثابت وأبّي بن كعب وعُرفت بالورع في الحديث عن التفسير، وتجنب الإسرائيليات، من تلاميذه: سعيد بن المسيب[351]، وعروة بن الزبير[352].

ج: المدرسة البصريّة: من أشهر من عاش فيها من الصحابة أبو موسى الأشعري[353] وأنس بن مالك[354]، ومن تلاميذ هذه المدرسة قتادة[355] الذي اشتهر بكثرة الرواية دون إسناد، وتميّزت هذه المدرسة بتفوّقها اللغوي، كمعرفة غريب كلام

---

[350]- طاووس بن كيسان، أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين، ولد باليمن سنة 33ه الموافق 653 م، كان فقيها ومحدّثا، وتوفي سنة 106ه الموافق 724م. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج2، ص224. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. ج1، ص242.

[351]- سعيد بن المسيب، أبو محمد، المخزومي القرشي، من سادة التابعين، ولد سنة 13ه الموافق 634م، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، محدث وفقيه، وكان عالم بالأحكام، وتوفي بالمدينة سنة 94ه الموافق 713م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج3، ص 102.

[352]- عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله، الأسدي، ولد سنة 22ه الموافق 643م، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وتوفي بها سنة 93ه الموافق 712م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص 226.

[353]- أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس، صحابي جليل، ولد باليمن سنة 21 ق ه الموافق 602م، جاء إلى مكة وأسلم وعاش مواقف كثيرة، كان حسن التلاوة، وكان واليا على الكوفة في خلافة عثمان وخلافة علي، توفي فيها سنة 44ه الموافق 665م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص 114. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ج1، ص319.

[354]- أنس بن مالك، الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخادمه، ولد بالمدينة سنة 10 ق ه الموافق 612م، وهو من مفسري الصحابة، وتوفي ببصرة العراق سنة 93ه الموافق 712م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص 96. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ج1، ص96.

[355]- قتادة بن دعامة، أبو الخطاب، البصري، المفسّر والفقيه ولد سنة 21ه الموافق 680م، كان من حفاظ أهل البصرة، وتوفي سنة 118ه الموافق 736م، من آثاره تفسير القرآن، والناسخ والمنسوخ في كتاب الله. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج2، ص189. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل . ج1، ص، 436، 435.

العرب، واشتهر بذلك منها الحسن البصري، ولذا كثر النقل عنه في كتب تفسير غريب الحديث والأثر، وكانت المدرسة البصرية أكثر المدارس اجتهادا ونظرا في التفسير[356].

د: المدرسة الكوفيّة: وهي مدرسة عبد الله بن مسعود، وعُرفت بالإقلال والورع في التفسير، على منهج شيخها، ومن تلاميذه الذين تأثروا به في الكوفة: الأسود النخعي[357]، ومسروق بن الأجدع[358] وغيرهما

وقد تقيّد المفسّرون الأوائل بهذه الطريقة الموروثة في التأليف أوّلهم الطبري، في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)[359]«بل كان الغالب على من جاء بعدهم في علم التفسير نقل أقوال علماء التفسير في هذه الطبقات الثلاث أو التخيّر منها والترجيح بينها كما فعل محمد بن جرير الطبري»[360]. حيث يعتبر« تفسيره من أضخم وأوسع كتب التفسير بالأثر، وقد فاق غيره من مفسّري المتقدّمين والمعاصرين له والمتأخرين عنه»[361] حيث استمدّ من أقوال التابعين، وذكر تفاسير مَن سبقه مثل مجاهد، والحسن البصري، وعكرمة... «تفسير محمد بن جرير الطبري المسمّى جامع البيان في تفسير القرآن، وهو تفسير بالمأثور، وفيه نجد كثيرا من الأخبار والقصص الإسرائيلي مستندا إلى كعب الأحبار[362]، ووهب بن منبه[363]، وابن جريج[364]، وغيرهم من مسلمة أهل

---

[356]- ينظر: تفسير التابعين، الخضيري،محمد بن عبد الله بن علي مرجع سابق، ص422-453.

[357]- الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمرو، فقيه ومفسّر تابعي، توفي سنة 75ه الموافق 694م، وكان من كبار علماء الكوفة. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج1، ص 330. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. ج1، ص 95.

[358]-مسروق بن الأجدع بن مالك الهمذاني، أبو عائشة، فقيه ومفسّر تابعي، توفي نحو سنة 63ه الموافق 683م. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج6، ص 215، وينظر: معجم المفسرين، نويهض ، عادل. ج2، ص 669، 670.

[359]- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: التركي، عبد الله بن عبد المحسن. دار هجر للدراسات العربية والإسلامية، الجيزة، مصر، ط1، 2001.

[360]- الطيّار، مساعد بن سليمان بن ناصر. التفسير اللغوي للقرآن. دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ص58.

[361]- الخضيري، محمد بن عبد الله بن علي. تفسير التابعين. مرجع سابق، ج1، ص74.

[362]- كعب الأحبار، أبو إسحاق، تابعي، كان في الجاهلية من كبار أحبار اليهود، في اليمن، وأسلم في زمن الخليفة أبي بكر، وقدم المدينة في زمن الخليفة عمر، وروى أخبار الأمم الغابرة، وتوفي في حمص بالشام سنة 50ه الموافق 652م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج5، ص 228.

[363]- وهب بن منبه، أبو عبد الله، عالم أهل اليمن، ولد بصنعاء سنة 34ه الموافق654م وهو كثير الرواية عن الكتب القديمة، وتوفي بصنعاء سنة 114ه الموافق 732م، له تفسير للقرآن. ينظر: معجم المفسرين، عادل نويهض، مرجع سابق، ج2، ص 721.

الكتاب»[365] وهذا من الإشكاليات التي تواجه هذا التوجه في التفسير، خصوصا عندما يتعلق الأمر بتفسير للأحكام.

وتوالت التفاسير التي تعتمد على الأثر وتقف عنده، ومن التفاسير التي تصنّف في هذا الاتجاه: مثل تفسير معالم التنزيل للبغوي[366] وتفسير زاد المسير في علم التفسير[367] لابن الجوزي[368] والدرّ المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: الذي يبيّن منهجه بقوله: «فلمّا ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، رضي الله عنهم أجمعين، وتمّ بحمد الله تعالى في مجلّدات، وكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرّج منها واردات، رأيت قُصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتَهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخّصت هذا المختصر»[369] فكانت الرواية بأسانيدها هي عمدة مثل هذه التفاسير، فيُفسّر الحُكم الشرعي ضمن دلالة رواية الأثر عليه,

هذا النوع من التفسير تعامل بروح الحديث، واستعمل أدواته في جمع وتحقيق رواية التفسير، بعد مرحلة من إيراد الآثار المختلفة بدأ هذا الاتجاه في العناية بصحة الرواية، خصوصا مع تفسير بن كثير[370] وهو من أشهر التفاسير[371]. «وهذا التفسير أكثر هذه

---

[364]- ابن جريج، عبد الملك بن عبد العزيز، ولد بمكة سنة 80ه الموافق 699م، وهو من مفسري التابعين، والمدرسة المكية، توفي في مكة سنة 150ه الموافق 767م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص 160، وينظر: معجم المفسرين، عادل نويهض، مرجع سابق، ج1، ص 333.

[365]- الذهبي، محمد حسين. الإسرائيليات في التفسير والحديث. مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط4، 1990، ص 97.

[366]- البغوي، حسين بن مسعود، حافظ ومفسّر، صاحب مصابيح السنّة، وتفسير معالم التنزيل، ولد سنة 436ه الموافق 1044م، توفي سنة 510ه الموافق 1117م. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص 259. وينظر: معجم المفسرين، عادل نويهض، مرجع سابق، ج1، ص161.

[367]- ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

[368]- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي، أبو الفرج، ولد سنة 508ه الموافق 1114م، كان عالما بالتاريخ والحديث، وقد مات ببغداد سنة 597ه الموافق 1201م، له مئات التصانيف. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج3، ص 316.

[369]- السيوطي، جلال الدين. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلاميّة، القاهرة، مصر، 2003، ج1، ص3.

[370]- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، أبو الفداء، عماد الدين، المفسّر والفقيه والمؤرخ، ولد في الشام سنة 701ه الموافق 1302م، وتعلم ونشأ بدمشق، وتوفي فيها سنة 774ه الموافق 1373م، من

الكتب تحريا وتحقيقا مع الاختصار والتهذيب، يقف عند المنقول ويُحقّق الرواية المرفوعة، وكثيرا من الآثار الموقوفة. . . ويلاحظ اللغة واختلاف القرآن مع العناية بالأصول والعقائد والأحكام»[372] ويعتبر تفسير ابن كثير أنموذجا في التحقيق والتحري والنقد العلمي لكثير من الروايات الموضوعة في التفاسير قبله مع أنّه«اهتم رحمه الله بالمأثور عنه وأكثر منه، ونقل عن ابن عباس فأكثر وأطال، وعدّ الأخذ بأقوال التابعين في المرتبة الرابعة بعد الأخذ بأقوال الصحابة، وقدّمه في ذلك على الفهم والاجتهاد»[373] وهكذا بدأ هذا الاتجاه في استدراك إيغاله في اعتماد الأثر دون منهج تحقيقي مصاحب، مستفيدا من علوم دينيّة أخرى، مناسبة لهذا الغرض في التحقيق من الأثر والرواية، مثل أصول الحديث.

وبدأ هذا الاتجاه نحو التوسّع للعلوم التي لها علاقة بالرواية وفقه الحديث، فمثلا وبسبب نزعته الأثريّة «ونظرا لما كان عليه ابن كثير من ثقافة واسعة في الحديث وعلومه فإنا نراه رحمه الله، يقف من الأحاديث التي ينقلها عن ابن جرير موقف الناقد البصير، فينبه على الضعيف منها»[374]ومن أمثلة تلك الروح النقديّة والعلميّة عند ابن كثير «فعند تفسير آية الكرسي ذكر ما رواه ابن جرير عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال: وقع في نفس موسى هل ينام الله؟ الحديث، قال ابن كثير بعد سياقه، وهذا حديث غريب جدا والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع والله أعلم»[375]، وهذا الاتجاه مع التزامه بالأثر، وسبقه في التفسير، كونه سليل مدرسة الحديث، فإنّ هناك مجموعة من الإشكاليات التي واجهت هذا الاتجاه:

أوّلا: التحفّظ من اعتبار تفسير القرآن بالقرآن من التفسير بالمأثور « لأنّ القرآن كلامُ الله، وليس كلامَ بشر، وليس خاضعا لمقاييس نقل الروايات وتمحيص الأقوال والأخبار، فهو ثابت يقينا لا يحتاج إلى تمحيص وتدقيق وتخريج... إنّ التفسير بالمأثور الذي يتحقق فيه معنى المأثور في اللغة والاصطلاح، هو ما رُوي عن الرسول صلّى

تصانيفه: البداية والنهاية، وتفسير القرآن الكريم. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص320. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. مرجع سابق، ج1، ص92، 93.

[371]- ينظر: تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر، ط1، 2000.

[372]- الجديع، عبد الله بن يوسف.المقدّمات الأساسية في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 331.

[373]- الخضيري، محمد بن عبد الله علي. تفسير التابعين. مرجع سابق، ج1، ص 80.

[374]- اللاحم، سليمان بن إبراهيم, منهج ابن كثير في التفسير، مرجع سابق، ص76.

[375]- المرجع نفسه، ص 85.

الله عليه وسلّم، أو الصحابة أو التابعين، من روايات نقليّة مرويّة في تفسير القرآن»[376] وعليه فإنّ تفسير القرآن بالقرآن هو أصل مستقلّ بذاته.

ثانيا: التفسير بالنقل لا يلزم عدم الاستدراك، لأن التفسير هو عمليّة اجتهاديّة حتى وهو يستعمل القرآن أو الأثر، « ولا يلزم أنّ كل من فسّر آية بآية أنّ تفسيره هذا يُقبل، بل قد يكون مرجوحا، وبناء عليه يكون حكمه حكم تفسير الصحابي أو التابعي، ولو كان يلزم قبول كل قول من فسّر آية بآية لما رُدّ شيء من هذه الأقوال»[377] ولكن عمليّة الاستناد على النّقل هو عمليّة تستدعي صحّة المنقول من جهة، ومن جهة أخرى المنهج العلمي في الفهم والاستنباط.

ثالثا: حصر التفسير بالأثر لم يشمل كل القرآن، فهو متعلّق بآيات من القرآن الكريم، كما أن علوم الحديث كانت في طور النضوج، لم تكتمل من حيث أصولها وقواعدها، ممّا أخذ من مصداقية المنهج الأثري بسبب تداخل الروايات وعدم تدقيقها، ممّا جعل اشتراط السند في التفسير يضيّق حركيّة التفسير ويبطئ مسارها فلا يمكن أن «يكون ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه وإظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة والبيان والإعجاز لا يكون تفسيرا، حتى ينقل بالسند إلى مجاهد ونحوه هذا كلام ساقط»[378] خصوصا لمن اشترط أقوال التابعين، وجعل أقوالهم من الأثر الصحيح، مع أنّ «أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير، وهذا صحيح أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجّة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك»[379] بما يتطلب عمليّة مراجعة واستدراك لمثل تلك الأخبار والمنقولات التي كانت أسانيد التفسير الأثري، للتحقيق في تفسير الأحكام.

رابعا: انتشار الآثار الضعيفة والإسرائيليات في الرواية، شكّل عائقا ومأخذا منهجيا على مثل هذه التفاسير، ومأخذا للنقد والتصحيح، فقد نُقل عن الصحابة الكثير من الروايات، منها ما هو صحيح ومنها غير ذلك، من الضعيف والموضوع وغيره من

---

[376]- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. تعريف الدارسين إلى منهج المفسّرين. مرجع سابق، ص 200.

[377]- الطيار، مساعد بن سليمان, فصول في أصول التفسير. دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ، ص53، 54.

[378]- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج1، ص 103، 104.

[379]- ابن تيميّة أحمد. دقائق التفسير. مرجع سابق، ص 114، 115.

الإسرائيليات. «ولم تكن لهم عناية بالنقد وتحري الصحة في رواية الأحاديث في التفسير بل أن بعضهم ذكر ما روي في كل آية من صحيح وسقيم ولم يتحرّ الصحة بل لم يقصدها كابن جرير مثلا»[380] وعلم الحديث لم يكن قد أخذ وضعه الكامل، ولم تُستنفد آلياته في تمييز الرواية بالنسبة للتفسير، ورويت أخبار هي أقرب إلى الأحاجي، مثل حكايات وتفاصيل وأخبار تفاصيل سفينة نوح عليه السلام والحيوانات التي كانت في سفينة نوح عليه السلام « فالحري بحال من لا يميل إلى الفضول أن يؤمن بأنّه عليه السلام صنع الفلك حسبما قصّ الله تعالى في كتابه ولا يخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ومن أي خشب صنعها وبكم مدّة أتمّ عملها إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ولم تبيّنه السنة الصحيحة»[381] فهو لا يُفيد الأحكام الشرعية في شيء، ومثل هذه الأخبار أثقلت التفاسير الأثريّة من حيث الحجم، ومن حيث المضمون المعرفي بما لا فائدة شرعيّة فيه يمكن أن تساعد على استنباط حُكمه الشرعي.

خامسا: الخلط بين إجماع الصحابة كونه حجّة، وبين قول الصحابي، أو اختلافهم حيث أن القول «أن يكون باجتهاد الصحابي، فهذا موقوف عليه، وليس بحجة ملزمة على القول الراجح لأهل العلم»[382]وتحقيق هذه المسالة من علم الحديث وأصول الفقه، يُعفي التفسير من كثير من الروايات والاختيارات التفسيريّة غير الملزمة، «أنّ ما يمكن أن يطلق عليه تفسير بالمأثور، ويجب الأخذ به ثلاثة أنواع:

الأوّل: ما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من تفسير القرآن.

الثاني: ما روي من الصحابة ما له حكم المرفوع، كأسباب النزول والمغيبات.

الثالث: ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون...

وما كان غير ذلك فهو من باب الاجتهاد والرأي»[383]ولا يمكن غلق باب التفسير بسبب رواية هنا أو رواية هناك.

سادسا: الأقوال الشاذّة: وأثقلت التفسير بالأثر من وحي الروايات غير الصحيحة، والتساهل في عمليّة النقل، انتشرت الأقوال الشاذّة في هذه التفاسير، «ومع جلالة العهد الأول، عهد الرواية، إلا أن بوادر الأقوال الشاذّة في التفسير تبدو نواتها فيه بين فترة

---

[380]- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج2، ص188.

[381]- الألوسي، محمود شهاب الدين، أبو الفضل. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. إدارة الطباعة المنبريّة دار التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دس، ج12، ص50.

[382]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في التفسير. مرجع سابق، ص 307.

[383]- الطيار ، مساعد بن سليمان. فصول في أصول التفسير. مرجع سابق، ص54.

وأخرى»[384] وهي أقوال من جهة لا تستند إلى رواية صحيحة، ومن جهة أخرى لا يستسيغها العقل أو يرفضها العلم، أو تختلف عن كل الأقوال غيرها، فتبدو غريبة داخل التفسير، الذي إمّا يضبطه نص حكيم، أو دليل معقول، وانتشرت هذه الظاهرة مع الوقت، « ثم خلف من بعد هؤلاء خلف تساهلوا في الرواية والمروي، فإذا رووا حذفوا الأسانيد، وإذا تحملوا مرويا لا يسألون عن سنده، وكانت تلك طامة كبرى على المأثور من التفسير والحديث»[385] ودسّت الأقوال الشاذة في معرض التفسير بما أثّر في تفسير الأحكام المعنية في الخطاب.

ومثل تلك الروايات والأقوال كانت محل مراجعة من مفسّرين أثريين أنفسهم كابن كثير في نقده للأخبار، كالأخبار التي وصفت هيئة القوم الجبّارين في سورة المائدة:

يقول تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22)﴾[386]

بقوله: «وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارا من وضع بني إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأنّه كان فيهم عوج بن عنق بن آدم، عليه السلام، وأنّه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع، تحرير الحساب، وهذا شيء يستحيى من ذكره»[387] وهذه الأقوال التي لا تستند إلى صحيح منقول ولا إلى دليل معقول ولا تخدم المعنى أو المقصد ولا تفيد الأحكام المقصودة.

ومصطلح الإسرائيليات « يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما»[388] وقد تساهل المفسّرون في هذه المدرسة خصوصا في نقل مثل هذه الروايات، بسبب ولعهم بالرواية، ومنهجهم الذي يستند على الرواية حتى ولو كانت من أساطير الأوّلين، «وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام... فتساهل التابعون فزجّوا في التفسير بكثير من الإسرائيليات بدون تحر ونقد، وأكثر من روي عنه في

---

[384]- الدهش،عبد الرحمن بن صالح. الأقوال الشاذّة في التفسير. جامعة الملك محمد بن سعود، مؤسسة الحكمة، بريطانيا، ط1، 2004.

[385]- الذهبي،محمد حسين. الإسرائيليات في التفسير والحديث. مرجع سابق، ص60.

[386]- سورة المائدة، الآيتان 21،22.

[387]- ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن الكريم. مرجع سابق، ج5، ص151.

[388]- الذهبي، محمد حسين. الإسرائيليات في التفسير والحديث. مرجع سابق، ص 13.

ذلك من مسلمي أهل الكتاب، كعب الأحبار ووهب بن منبه»[389] ومن جاء بعد ذلك تداول هذه الأخبار كونها آثارا عن السلف، وزادوا ما وُضع ونُسب للصحابة والتابعين «... وكذلك ذكروا ما لا يصح من أسباب نزول وأحاديث في الفضائل... وحكايات لا تُناسب، وتواريخ إسرائيلية، لا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير»[390] ومثل هذه الروايات أساءت إلى علم التفسير، وأصبحت عبئا عليه، وتكمن خطورتها في الانتقال من كتب التفسير، إلى الثقافة العامّة، فتصبح جزءا من تزييف الوعي الإسلامي، فينتشر بسببها مفاهيم منحرفة عن الأحكام الشرعية.

ثامنا: لم يستطع هذا الاتجاه الوقوف على منهج أثري منضبط، فغالبا ما نجد غلبة الآثار على تفسير القرآن بالقرآن، والتوسع في هذه الآثار إلى استطرادات جانبية، وأخبار وقصص ليست من مقاصد الخطاب القرآني، فينحرف التفسير من موضوعه الأساسي إلى علوم وميادين وأخبار وتفاصيل تتجاوز مقصد الخطاب في القرآن الكريم، ويصبح التفسير محشوا بالقصص والأخبار الخرافيّة التي تسيء إلى الخطاب القرآني، وليس من مراده ومن مقاصد التفسير إيراد تلك النصوص القديمة وإثقال التفاسير به، ذلك أنّ « الواجب العلمي إبعاد الإسرائيليات عن تفسير القرآن، وتنقيّة كتب التفسير منها، وإذا قيل: منها ما يوافق النصوص القرآنيّة ولا يخالفها، نقول إنّ في القرآن غنى عنها، والأكثر فيه تهويش على معاني القرآن وإثارة الأوهام الكاذبة»[391] ومع كل الجهد والتنبيه والاستدراك على مثل هذه الروايات فهي مازالت تنتشر عبر التفاسير.

1_2: الاتجاه الفقهي في تفسير الأحكام.

إنّ القرآن الكريم هو مصدر الحُكم في الشريعة حيث «القرآن هو أصل الشريعة ومرجعها الأول وأساسها الذي تعود إليه كل الأدلة الأخرى»[392] وتعود وتُردّ إليه، وتأتي السُنّة بعده بيان وشرح له و«لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنّة»[393]سواء بصفة مباشرة من تفسير أو بيان، أو بصفة غير مباشرة ممّا يستشف من سيرته وفعله عليه السلام «وأدلّة القرآن تدل على

---

[389]- نعناعة، رمزي. الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير. دار القلم، دمشق، سورية، بيروت، لبنان، ط1، 1970، ص18.

[390]- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج1، ص 103.

[391]- أبو زهرة، محمد. زهرة التفاسير. مرجع سابق، ج1، ص 30.

[392]- الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ج1، ص 445.

[393]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 233.

أنّ كل ما جاء به الرسول وكل ما أمر به ونهى، فهو لاحق في الحُكم بما جاء في القرآن، فلا بد أن يكون زائدا عليه»[394] ولذلك عمل الفقهاء على تتبع الآيات التي لها علاقة مباشرة بالأحكام الفقهيّة، قصد تفسيرها واستنباط الأحكام منها، واللجوء إلى السنّة النبويّة وأصول الفقه والأدلة الشرعيّة في مذاهب الفقه للوصول إلى الأحكام الفقهيّة التفصيليّة، وعُرف هذا المنهج الفقهي التفسيري بتفاسير الأحكام.

التفاسير الفقهية هي ألصق التفاسير بالأحكام، وتتبعها في القرآن الكريم، فموضوعه آيات الأحكام واستنباط الأحكام الفرعيّة منها، فهو« التفسير الذي يجمع آيات الأحكام الشرعيّة من القرآن الكريم ويفسّرها في كتاب مستقل، بمعنى أنّه: التفسير الذي يقوم على استنباط الأحكام من القرآن الكريم واستخراج القواعد والأصول منه»[395] فاختصّ واشتهر بها، واستعمل منهجه وفق هذا القصد، وعليه فهو لم يهتم بكل الخطاب القرآني، أي بكل آياته، ولكن اهتمّ بما له علاقة بالأحكام الفقهيّة، ولذلك تميّزت مؤلفاته:

1: اهتمامها بالأحكام بداية من تفسير الآيات القرآنيّة المتعلقة بأحكام الفقه، كونها أدلة عليها، والتوسّع إلى آراء الفقهاء ومذاهبهم الفقهية « بحيث توسّع غالبهم في ذكر الخلافات وآراء الأئمة في المسائل الفقهيّة تبعا لتأييد مذهب كل مفسّر منهم والترويج له»[396] فهو التفسير عنده وجه من وجوه الاستشهاد على الفروع الفقهيّة المذهبيّة، والاستدلال القرآني عليها.

2: إتباعهم في تفسير الأحكام منهجا ترتيبيا وفق ترتيب المصحف، ومنهم من استعمل المنهج الموضوعي حسب مواضيع الأحكام الفقهيّة، كأحكام الطهارة، وأحكام الصلاة... وهكذا[397]، وهذا التبويب على أساس الموضوع الفقهي يُعتبر من المساهمات في التمهيد للتفسير الموضوعي، ويفرض الموضوع نفسه في تفاسير الأحكام، لأنّ الحكم الفقهي يكون جوهر الخطاب القرآني سواء في مجموعة من الآيات المتعدّدة في سور مختلفة، أو يكون في آية أو آيات متواليّة، مع اختلاف الآيات بين العموم والخصوص، أو بين الإجمال والبيان...

كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ

---

[394]- المرجع نفسه، ج4، ص 150.

[395]- العبيد، علي بن سليمان. تفاسير آيات الأحكام. مرجع سابق، ج1، ص39.

[396]- المرجع نفسه، ص 78.

[397]- ينظر: أحكام القرآن. الشافعي، جمعه: البيهقي، أبو بكر أحمد، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (23) ﴾[398]

فمثل هذه الآية شديدة البيان والتفصيل في المحرّمات من النساء «فهذا نص أساسي يُقرّر في نقشة واحدة من الوحي تشريع الزواج بجميع تفاصيله، وشروطه القانونية الضرورية، وهو ينظم بصورة ما المحرّمات من النساء، مشتملا بذلك على حُكمين جوهريين، هما: الاستيعاب والحصر الكامل للحالات المشار إليها»[399]، وأحيانا يحتاج الفقيه إلى مجموعة من الآيات، والتوسّع إلى الأحاديث النبويّة، وغيرها من الأدلة الفقهيّة للوصول إلى بيان الأحكام فكان الفقهاء يستدلون بالآيات في الموضوع الفقهي الواحد، فيستنبطون الأحكام منها كالوضوء، أو الصلاة، أو الزكاة، أو الجهاد...

والبحث الفقهي في التفسير كان أحد المناهج الأكثر حضورا في مراحل التفسير المختلفة، حيث «كان الفقه أحد العلوم ذات الأثر والحضور في كتب التفاسير، بسبب تعلق الآيات القرآنيّة بالأحكام الفقهيّة حيث كان المفسّرون يقفون طويلا أمام الآيات التي تتضمّن أحكاما وتشريعات ويستنبطون منها الأحكام والتشريعات التي توحي بها، وكان كل مفسّر ينتصر لاختيارات وترجيحات مذهبه الفقهي»[400] مستشهدا بالآيات القرآنيّة كمدخل لاستعمال باقي الأدلة في مذهبه الفقهي، كما كان هذا الاتجاه أحد الاتجاهات التي اهتمّت بالموضوع، الموضوع الفقهي، بوصفه محورا للتفسير، من وجه موضوع الحُكم الفقهي.

فاستغراق مفسّر آيات الأحكام في المسائل الفقهيّة وأقوال الفقهاء، ومناقشا تلك الآراء، مثل ابن العربي في كتابه أحكام القرآن، حيث كان منهجه: « ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متتبعا خفيّها وجليّها... ناقلا أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعيّة بما فيه ما تعلق باللفظ القرآني، محيلا على الدلائل في كتب الفقه»[401] فيتداخل التفسير مع أدلة الفقه الفرعيّة، «ثم إنه وإن اعتنى بمذهب مالك، وحرّر من أقوال الصحابة، وجرى في الغالب على منهاجه، إلا أنه استقلّ باستدلال ونظر، فأتى من ذلك بدُرر، وهكذا شأن من لم يحكمه التقليد وقدّم اعتبار

---

[398]- سورة النساء، الآية 23.

[399]- ابن نبي، مالك. الظاهرة القرآنيّة. مرجع سابق، ص 184.

[400]- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين. مرجع سابق، ص 44.

[401]- ينظر: مقدمة أحكام القرآن. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط3، 2002، ج1،

صحيح الأثر...والإنصاف واجب، فكتاب ابن العربي زاد لا يستغنى عنه الفقيه على أيّ مذهب جرى وإلى أيّها انتصر»[402] وهذا من مناقبه التي تُذكر له ولكتابه الجليل.

إن المنهج التحليلي الترتيبي كان الأغلب « ومن تتبع التفاسير الفقهية يظهر لنا أن معظم ما كتبه أهل السنة في هذا المجال قد جاء على وفق المنهج الأوّل، أي التفسير الذي يسير مع ترتيب السور في المصحف، متخيّرا من كل سورة الآيات ذات الأثر الفقهي»[403] ومن الذين نهجوا نهجا موضوعيا الإمام الطحاوي[404] في كتابه أحكام القرآن[405]، وغيره، ولكن طغى المنهج الأوّل على باقي تفاسير الأحكام، فانتهجت المنهج الترتيبي في السور والآيات.

ـ إشكاليات التفسير الفقهي:

أولا: ينتهي التفسير حيث يبدأ الفقه، وكأن لا خلاف حول معنى الآيات والأحاديث الخادمة لمعانيها، ليبدأ الفقه في استنباط الأحكام التفصيلية، فالأحكام التفصيلية ليست من اختصاص التفسير، وإنما اختصاصه الخطاب، وتوسّع التفسير إلى الفروع الفقهيّة والمذهبيّة أثقل التفاسير بالمباحث الفقهيّة وتفصيلاتها، فاختلط مفهوم التفسير بمفهوم الفقه، فإذا كان الحُكم في القرآن مثلا إجماليا وهو في السُنة تفصيليا كقوله: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)**﴾[406] **حيث** «أجمل فيه معنى الصلاة، وبيّنه عليه الصلاة والسلام، فظهر من البيان ما لم يظهر من المبيّن، وإن كان معنى البيان هو معنى المبيّن، ولكنهما في الحُكم يختلفان، ألا ترى الوجه في المجمل قبل البيان التوقف، وفي البيان العمل بمقتضاه، فلما اختلفا حُكما صار كاختلافهما معنى، فاعتبرت السُنة اعتبار المفرد عن الكتاب»[407] فهل يصبح من مراد التفسير الوقوف عند إجمال الخطاب أو التوسع إلى بيانه في السُنّة وفي الفقه؟

---

[402]ـ الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 370.

[403]ـ رشواني، سامر عبد الرحمن. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. مرجع سابق، ص 91.

[404]ـ الطحاوي: أحمد بن محمد، أبو جعفر، فقيه ولد في صعيد مصر سنة 239ه الموافق 853م، وتوفي بالقاهرة سنة 321ه الموافق 933م، من مصنفاته: أحكام القرآن ونوادر القرآن. ينظر: الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص206. وينظر: معجم المفسرين. نويهض، عادل، مرجع سابق، ج1، ص 58، 59.

[405]ـ ينظر: أحكام القرآن الكريم. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، تحقيق: سعد الدين أونال، ط1، 1995.

[406]ـ سورة البقرة، الآية 43.

[407]ـ الشاطبي، أبو إسحاق. المرافقات. مرجع سابق، ج4، ص 13.

ثانيا: الاستغراق في الفقه المذهبي على حساب مراد الخطاب حيث« هناك التفسير الفقهي للقرآن، وهو تفسير طوّع الآيات لأحكام الفقهاء، وطريقتهم في الاستنباط ولم يهتم إلا بآيات الأحكام التشريعيّة، واقتصر في ذلك على الحُكم الشرعي دون المقاصد الأخرى، وهذا فيه شيء يستدعي الاستدراك»[408]حيث « يكون له ميل إلى نزعة أو مذهب أو نحلة فيتناول القرآن على وفق رأيه ويصرفه عن المراد ويرغمه على تحمله ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف»[409] وهذا يجعل المفسرين أحيانا يشتغلون بأقوال العلماء وينتصرون للتقليد والتقوقع المذهبي والإيغال في مسائل الخلاف على حساب التدبّر في كتاب الله والتعمق في مقاصده[410] مع أن المفروض أن التفسير ليس من شأنه ولا من موضوعه تتبع تلك الخلافات الفقهيّة « وهكذا لا نتعرض للخلاف الفقهي إلا في أضيق دائرة أو ما يوجبه علينا ذكر معاني القرآن واضحة نيّرة، كشأنها دائما، ولا نُخضع آراء الفقهاء لها، لأنها الحُكم الذي لا تُرد حكومته، والقرآن هو الحاكم بالصحة لآراء الفقهاء وليس محكوما بها»[411] فيكون موضوع التفسير غير موضوع الفقه، وحكم القرآن يشمل أحكام الفقه، بمنهج التفسير استنباط المعاني و الأحكام وليس بمنهج الفقه المذهبي.

ثالثا: إتباعهم لترتيب السور القرآنيّة ولم يخالف ذلك إلا قلة منهم[412] ومنهج تتبع آيات الأحكام الفقهيّة من جهة حسب أبواب الفقه، ومن جهة حسب ترتيب السور، جعل هذه التفاسير في اضطراب منهجي واضح، وكان المنهج الموضوعي المنهج الأنسب في تناول آيات الأحكام على مواضيع الفقه، ليكون هناك ذلك التناسب والتناسق، بين مواضيع الآيات وأبواب الفقه في هذه التفاسير، وتفاديا لإشكالات منهجيّة في معرفة الحُكم وتطوّره ومقاصده.

3-1: الاتجاه اللغوي في تفسير الأحكام[413]:

التفسير نشأ في حضن علم الحديث، وحاول أن يتقيّد بالآثار، وجد نفسه ملزما بالمعاني اللغوية، وتناول قضايا اللغة في التفسير، بسبب انتشار الإسلام واختلاط

408- الغزالي، محمد. كيف نتعامل مع القرآن. مرجع سابق، ص 27.

409- بن عاشور، الطاهر . تفسير التحرير والتنوير. مرجع سابق، ج1، ص31.

410- ينظر: النصّ القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبّر، الريسوني، قطب. منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلاميّة، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص 153.

411- أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص40.

412- ينظر: تفاسير الأحكام. العبيد، علي بن سليمان.مرجع سابق، ج1، ص 80.

ينظر مقالي: أوجه التفسير اللغوي في استنباط المعاني والأحكام. مرين،محمد. مجلة آفاق للعلوم،

413- جامعة زيان عاشور، الجلفة، ، العدد7- 2017.

العرب بشعوب وقوميات أخرى، لا تملك معرفة باللسان العربي، ولا تملك تلك السليقة التي كانت تُميّز الأوائل، فبدأ الاتجاه اللغوي يتبلور منذ أن بدأ علماء اللغة يخوضون في علوم القرآن، ويتناولون غريب ألفاظه، وشرح كلماته، وتتبع تراكيبه وجُمله، ونحوه وإعرابه، ونَظمه وأساليبه، واندفع المفسّرون للاهتمام بهذا الجانب وغلب على جزء من تفاسيرهم، حتّى شكّل اتجاها عُرف بالتفسير اللغوي.

و من نماذج هذا التفسير تفسير أبي حيان الأندلسي[414]، «الذي يمتاز بتحقيقاته النحويّة واللغويّة، وتوجيهه للقراءات»[415] الذي يصف منهجه في مقدّمة تفسيره:«أبتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسّرها لفظة لفظة... وإذا كان للكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أوّل موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه، ثم أشرع في تفسير الآية»[416] فتكون اللغة أساس المفسّر ومستنده، ومصدر تفسيره الأوّل، وأغلب اختياراته هي اختيارات لغويّة، مع توسّعه في توجيه التركيب النحوي والإعرابي لمعاني ودلالات تؤثر في فهم الأحكام.

هذا الاتجاه يعتبر اللغة وجه التفسير الأوّل ذلك أنّ « النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه، الوجه الأوّل: علم اللغة اسما وفعلا وحرفا، الوجه الثاني: معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها، »[417] فاللغة مادة الخطاب الأولى، وإن اللجوء إلى اللغة في التفسير بما يقتضيه فهم العقل من الخطاب، كان الخيار الأوّل، لا يُقدّم عليه إلا ما استند إلى الوحي، أو الأثر الصحيح، أولا وثانيا أمّا:« الثالث الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربي. الرّابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشّرع»[418] فكانت اللغة أحد وسائط الفهم والتفسير، وظهر اتجاه في التفسير كانت عنايته باللغة والجوانب النحويّة والبلاغيّة أظهر من غيره، وهو امتداد للاتجاه اللغوي القديم.

---

[414]- أبو حيّان الأندلسي، محمد بن يوسف، الغرناطي، مفسّر ولغوي ولد بغرناطة سنة 654ه الموافق 1256م، وتولى التدريس بالشام ومصر، وتوفي بالقاهرة سنة 745ه الموافق 1344م، من آثاره: تفسير البحر المحيط، وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. ينظر: معجم المفسرين، نويهض،عادل. ج2، ص 655.

[415]- ابن باديس عبد الحميد. تفسير ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. مرجع سابق، ص 41.

[416]- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط، ج1، ص 103، 104.

[417]- أبو حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج1، ص105، 106.

[418]- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج2، ص 2287.

حيث أنّ « التفسير اللغوي للقرآن الكريم، هو منهج في التفسير عني بالجانب اللغوي. وقد تمحّض لاشتقاق المفردات وجذورها، وشكل الألفاظ وأصولها فجاء مزيجا بين اللغة والنحو والحجة والصرف والقراءات»[419] فهو إعمال لعلوم اللغة في فهم الخطاب، ضمن سياقه اللساني ومجاله الدلالي، بأدوات اللغة ودلالات اللسان الحامل للخطاب، « فلا يستقيم للمتكلم في كتاب الله أو سنّة رسول الله أن يتكلّف فيهما فوق ما يسعه لسان العرب»[420]وهذا دليل على أن علوم اللغة كانت الضامن والضابط لعدم خروج الفهم عمّا تحتمله اللغة، ويحتويه اللسان، لفهم الأحكام في القرآن الكريم، ومن هنا جاءت أهمية النحو في التفسير، ومن ثم إعرابه، « والنحو والصرف قاما لعصمة اللسان عن الخطأ في تلاوة كتاب الله، ولذلك قام كبار أئمة العربية الفحول كأبي عمرو بن العلاء[421] والخليل بن أحمد والزجاج[422] والفرّاء[423]...»[424] وغيرهم من أعلام اللغة والأدب.

وأوجه التفسير اللغوي للقرآن الكريم متنوّعة المناهج، ومن أهمّها:

ـ تفسير معاني وغريب القرآن: « هو تفسير يعنى بشرح مفردات ألفاظ القرآن الكريم، وهو مبني على معرفة اللغة بأسرارها حيث أنّ العلم بها من شروط المفسّر»[425] فتصدّى لذلك لغويون وعلماء، فينطلقون في تفسيرهم من حدّ اللفظ اللغوي

---

[419]ـ ألخطيب، حمد سعد ا. مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص 360.

[420]ـ الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، مرجع سابق، ج2، ص62.

[421]ـ أبو عمرو بن العلاء: زبّان بن عمار التميمي، أبو عمرو، ويُلقب أبوه بالعلاء، من أئمّة اللغو والأدب، وأحد القرّاء السبعة، ولد بمكة سنة 70ه الموافق 690م، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة سنة 154ه الموافق 771م. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج3، ص 41.

[422]ـ الزجّاج: إبراهيم بن السريّ، أبو إسحاق، عالم بالنحو واللغة والتفسير، ولد ببغداد سنة 241ه الموافق 855م، وتوفي ببغداد سنة 311ه الموافق 923م، من آثاره: معاني القرآن، إعراب القرآن. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج1، ص 40. وينظر: معجم المفسرين، عادل نويهض، ج1، ص 13.

[423]ـ الفرّاء: يحيى بن زياد، أبو زكرياء، عالم بالنحو واللغة والأدب، حتى قيل عنه: الفرّاء أمير المؤمنين في النحو، ولد سنة 144ه الموافق 761م، وتوفي في طريق مكة سنة 207ه الموافق 822م، من كتبه: معاني القرآن. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج8، ص 145، 146. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل، ج2، ص 739.

[424]ـ ينظر: أصول التفسير وقواعده، العك ، خالد عبد الرحمن ا، مرجع سابق، ص12.

[425]ـ أحمد سعد الخطيب. مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص 357.

ودلالته بشرح ألفاظ القرآن، كقول السجستاني[426]، أبو بكر محمد، في شرحه للفظي الحدود، والحوب، وهي من ألفاظ القرآن الكريم: « حدود الله: أي ما حدّه الله لكم، والحدّ: النهاية التي إذا بلغها المحدود له امتنع. حوبا كبيرا: أي إثما كبيرا، ومعناه إثما عظيما، الحوب بالضم: الاسم، وبالفتح: المصدر. »[427] فالمعنى اللغوي للألفاظ هو مصدر الدلالة التي يبني عليها المفسّر تفسيره للحُكم.

و مثل هذه المؤلفات في معاني القرآن الكريم وغريبه، يتم فيها تتبّع الألفاظ في كتاب الله لشرحها وتفسيرها، وتأصيل معانيها الأساسية عند العرب، ومدلولها في السياق، وتمييز غريبها، ومشكلها، ومشتركها، مما تعدّدت معانيه، فيتم بسطها وتفسيرها والاستشهاد لها، بما حفظته اللغة من لسان العرب وأشعارهم، للاحتجاج على معنى دون آخر، وترجيح مدلول على آخر، فاللغة معيار أساسي في اختيار التفسير المناسب للأحكام.

أ: إعراب القرآن: وعلاقته بالمعنى ذلك أن «تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وذلك بأن يرتبط المعنى بالإعراب»[428] فتصدى له العلماء بالبحث والتمحيص، وألّفوا فيه المصنّفات، ومن أوائل الذين خطّوا فيه الكتب المستقلّة ابن النحاس[429]، «كان ابن النحاس فيه يربط بين المعنى والإعراب، ويُحاول أن ينظر إلى القراءات نظرة نحوي، إذ كان يقيس على الأشهر الأغلب في اللغة ويرفض الشاذ، وكان يحتج للقراءة التي عليها الإجماع »[430] ويستند على الشرح اللغوي لتفسيره الآية، كشرحه للآية التي تتضمن حُكم تحريم الخمر والأنصاب والأزلام: **يقول تعالى:** ﴿**يَا**

---

[426]- السجستاني: محمد بن عزيز، أبو بكر، مفسّر ولغوي وأديب، أقام ببغداد وتوفي سنة 330ه الموافق 941م، ورتّب غريب القرآن ترتيبا أبجديا. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج6، ص 268. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل. ج2، ص584.

[427]- السجستاني، أبوبكر محمد. غريب القرآن(نزهة الغريب). مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، دط، 1993، ص81.

[428]- الخطيب، أحمد سعد، مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص 341.

[429]- ابن النحاس : أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، مفسّر وأديب، توفي بمصر سنة 338ه الموافق 950م، من مؤلفاته: إعراب القرآن، ومعاني القرآن. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج1، ص208. وينظر: معجم المفسرين، نويهض،عادل. ج1، ص60.

[430]- زاهر ، زهير غازي. مقدمة إعراب القرآن. ابن النحاس أبو جعفر أحمد، تح زاهر، زهير غازي ، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص72.

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) ﴾[431]

« فجعله بمنزلة هذه التي تعرفها العرب بالخمر، والأنصاب: الأوثان، والأزلام: القداح، والتقدير واستعمال الأزلام، (رجس) خبر الابتداء، والرجس عند العرب كل عمل يقبح فعله، والفعل منه رجس يَرجَس ورَجَس يَرجُس، والرَجسَ بفتح الراء وإسكان الجيم الصوت، والفعل من الميسر، يَسَرَ يَيسَرُ فهو ياسر ويَسَر، ﴿فاجتنبوا﴾ يكون فاجتنبوا الرجس، ويكون فاجتنبوا هذا الفعل، ويكون لأحد هذه الأشياء، ويكون باقيها داخلا فيما دخل فيه»[432] فيتمّ في مثل هذه التفاسير تسخير الإعراب لفهم المعنى، ضمن مدلول الخطاب، فيكون للوضع النحوي للألفاظ ضمن النظم اللغوي دلالته ومعناه، مثلما يكون لصرفها، ومعناها اللغوي ذات القيمة التي تخدم فهم الخطاب وتلقّيه.

ب: التفسير البياني: وهو كذلك يعتمد على اللغة من حيث البيان و« هو لون يتخذ من دراسة بلاغة القرآن هوية له، حيث تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية...»[433] ففي دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني[434] وهو يُقدّم شواهده في الوصول إلى النظر في الاستعارة للوصول إلى معنى النظم فيها، لفهم وجه البلاغة والإعجاز في الخطاب القرآني، وعدم التوقف فقط عند المعنى المتبادر لأول وهلة، بل تدبر الصورة البيانية ومراميها، كقوله تعالى في سورة مريم: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4)﴾**[435]

﴿واشتعل الرأس شيبا﴾ «فإن قيل: فما السبب في أن كان ﴿اشتعل﴾ إذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضل؟... فإن السبب أنّه يُفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى الشّمول، وأنه شاع فيه، وأخذه من نواحيه، وأنه قد استغرقه، وعمّ جُملته، حتى لم يبق من السواد شيء، أو لم يبق منه إلا ما لا يعتدّ به، وهذا ما لا يكون إذا قيل: اشتعل شيب الرأس، أو الشيب في الرأس، بل لا يوجب اللفظ حينئذ أكثر من

---

[431]- سورة المائدة، الآية 90.

[432]- ابن النحاس، أحمد بن محمد أبو جعفر. إعراب القرآن الكريم. تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 298.

[433]- الخطيب، أحمد سعد. مفاتيح التفسير. ج1، ص 3347.

[434]- الجرجاني، عبد القاهر، من أئمّة اللغة والبلاغة، وواضع أصول البلاغة، توفي سنة 471ه الموافق 1078م، من آثاره: دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج4، ص 48. وينظر: معجم المفسرين، نويهض،عادل، ج1، ص 295.

[435]- سورة مريم، الآية 4.

ظهوره فيه على الجملة، وَوزان هذا أنك تقول اشتعل البيت نارا، فيكون المعنى أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول، وأنها قد استولت عليه، وأخذت في طرفيه ووسطه، وتقول اشتعلت النار في البيت، فلا يُفيد ذلك »[436] فهذه القراءة البيانية، لصاحب دلائل الإعجاز لا شكّ أنها غاصت في معنى دلالي أعمق من المعنى السّطحي الذي قد تفوته هذه المعاني، التي يمنحها التفسير البياني.

وهذا التفسير يستند على علوم البلاغة في التعامل مع الخطاب القرآني، فيمنح للكلمة مدلولها البياني، بل للحرف معانيه، كالباء بين الاستعانة أو السببية أو الظرفية...[437] وما إلى ذلك من بلاغة أساليب القرآن الكريم، التي غاص فيها أهل اللغة والبيان من العلماء والمفسرين فأثروا المعاني من حيث عمقها الدلالي، وأسلوبها البلاغي، وسحرها البياني، وهذه اللمحة في أوجه التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ضمن ميراث لغوي وشرعي يزخر بكنوزه، ويفتح الآفاق للدراسة والبحث في مُحيطه، والتمتع بشواطئ علمه، يمنحنا قناعة راسخة، وهمّة عازمة على أن هذا التفاعل بين علوم اللغة وعلوم الشريعة لا تنقطع أواصره، ولا تنضب عجائبه، ولا يفنى سخاؤه.

ـ إشكاليات التفسير اللغوي للأحكام:

حيث أهميّة اللغة بوصفها وسيط الخطاب لا تمنع من وجود مجموعة من الإشكاليات التي يجب التوقف عندها في تناول هذا الاتجاه ومن أهمّها:

الأول: إن استناد المفسّر إلى مجرّد اللغة لا يُسعفه في بلوغ حقائق الشرع دائما التي يتضمّنها الخطاب القرآني، في حالة تمايز الحقيقة الشرعيّة عن الحقيقة اللغويّة «ومن أحاط بظاهر التفسير، وهو معنى الألفاظ في اللغة، لم يكف ذلك في فهم حقائق المعاني»[438] ومن أمثلة ذلك في أنّ الدلالة اللغوية قد لا تشمل الدلالة الشرعيّة «ومن أنواع البيان التي تضمّنها هذا الكتاب المبارك أن يكون الظاهر المتبادر من الآية بحسب الواضع اللغوي غير مراد، بدليل قرآني آخر على أن المراد غيره ومثاله قوله تعالى ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ**﴾[439].

---

[436]ـ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 83.

[437]ـ ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عضيمة، محمد عبد الخالق, دار الحديث القاهرة، مصر، ج2، ص5- 14.

[438]ـ الزركشي، بدر الدين محمد. من مقدمة البرهان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص 155.

[439]ـ سورة البقرة، الآية 229.

ومنه « فإنّ ظاهره المتبادر منه أنّ الطلاق كلّه محصور في المرتين، خصوص الطلاق الذي تملك بعده الرجعة...»[440]...

بقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230)**﴾»[441]...

وهنا لم تكفنا الدلالة اللغويّة الظاهرة في المعنى الحقيقي، وحتى في مدلول المصطلحات التعبديّة « ثم إن الاقتصار على مجرّد اللغة لا يُعيّن المراد الشرعي بالألفاظ فلفظ الصلاة أو الزكاة أو الصيام مثلا، لا تسعفك فيها اللغة لمعرفة مراد الله تعالى بها، ولذا احتيج إلى بيان الرسول صلّى الله عليه وسلّم»[442] لمعرفة الدلالة الشرعيّة وكيفيّة أدائها.

الثاني: إنّ البنية اللغويّة هي حمّالة أوجه، جعلت مفسّري الفرق والنحل باستعمال المدلول اللغوي لخدمة أغراضهم وأفكارهم، لأنّ المدلول اللغوي المنعزل عن أي علاقة دلاليّة مع حقائقه الشرعيّة له من الاتساع ما يتجاوز حدوده المقصودة، مثلما استعمل الخوارج مصطلح الحُكم في خدمة اتجاههم السياسي والعقائدي، أو مفهوم الباطن عند الباطنيّة، أو ما شكلته المصطلحات اللغويّة من جدل في العقائد، والاختلاف الكلامي بين أهل الكلام، مثل الاستواء، والصفات، والقدر... وغيرها من المباحث.

الثالث: تعدّد الدلالة اللغويّة كانت من أسباب الاختلاف في التفسير، وهو من اختلاف التعدد في الغالب، ولكن يحتاج إلى ترجيحات شرعيّة، نقليّة أو عقليّة، فمنذ عصر الصحابة أشكلت معاني بعض المشتركات اللغوية عليهم، فاختلفت تفاسيرهم، مثل القُرء، «فقد ورد في معنى القُرء قولان، كلاهما معتمد في اللغة: الحيض، الطهر»[443] وكلاهما اعتمدا في التفسير، فنشأت عن ذلك اختلافات في الأحكام.

الرابع: الاستطرادات اللغويّة في كتب التفسير أثقلت التفسير بالمباحث اللغويّة والنحويّة والبلاغيّة، على أهميّتها، فإنّها من الناحيّة المنهجيّة والبحثيّة، مثل كل تلك الاستطرادات في كتب التفسير من علوم أخرى، تشوّش على موضوع التفسير وتجعل التفسير يتجاوز مفهومه وموضوعه إلى علوم أخرى، ومباحث إضافيّة ليست من حقيقة

---

[440]- الشنقيطي. محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. دار عالم الفوائد، مكة المكرّمة، السعودية، ط1، 1426ه، ج1، ص17

[441]- سورة البقرة، الآية 230.

[442]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 353.

[443]- االطيّار، مساعد بن سليمان. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر. دار بن حزم، الرياض، السعودية، دط، 1423ه، ص 137.

التفسير، وهو نوع من أنواع الاستطرادات والإطناب والحشو الزائد، لم يعد له اليوم مبرّره بعد تخصّص العلوم، وتطور مناهج البحث والتأليف، وتسهيل عمليّة المعرفة.

ذلك التوسع التفسيري نحو المباحث اللغويّة خروج عن مراد الخطاب في الحُكم ومقصد التفسير عندما يتجاوز رابطه الدلالي إلى التوسع نحو المباحث اللغويّة والبلاغيّة بعيدا عن وجه الدلالة واستنباط الأحكام وهو محور وموضوع التفسير « وهذه الاستطرادات العلميّة إنما يكون محلّها كتب العلم التي تنتمي إليه، فالاستطراد في المسائل الفقهيّة محله كتب الفقه، والاستطراد في المسائل النحوية محله كتب النحو، وهكذا»[444] للحفاظ على موضوع التفسير ومقصده، وتهذيب علم التفسير من التوسع والتداخل المخلّ بمضمونه وخروجه عن غايته، وهي عمليّة علميّة ومنهجيّة دقيقة في توظيف مسائل العلوم في التفسير بالقدر الذي يخدم استنباط المعاني والفوائد الشرعيّة.

1-4: الاتجاه الفكري:

التفسير بعد مرحلة التأسيس التي غلب عليها جانب الأثر والرواية، وبعد الاهتمام اللغوي بسبب انتشار الإسلام، واختلاط العرب بغيرهم، فإنه بعد استتباب الممالك الإسلاميّة، وظهور الحواضر، حيث بدأت الفلسفات وعلم الكلام والتوسّع في الفرق الدينيّة دخل عنصر التفسير بالرأي، والأسلوب الفلسفي والكلامي، والمحاجة العقليّة، تدخل في التفسير«امتدّت من العصر العباسي إلى يومنا الحاضر، فبعد أن كان التفسير مقصورا على رواية ما نُقل عن سلف هذه الأمّة، وجدناه يتجاوز بهذه الخطوة إلى تدوين تفاسير اختلط فيها الفهم العقلي بالتفسير النقلي»[445] وهنا بدأ التفسير يتوسّع إلى مجال الرأي، ويمكن اعتبار تفسير الرازي[446] والزمخشري[447] وغيرهما من نماذج ذلك، وتفسير الرازي في تفريع المسائل واستطراد شرحها[448]« الذي يمتاز ببحوثه في

---

[444]- المرجع نفسه، ص 64.

[445]- نعناعة. رمزي, الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير. مرجع سابق، ص20.

[446]- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، المفسّر والمتكلم، ولد سنة 544ه الموافق 1150م وتوفي سنة 606ه الموافق 1210م، من مصنّفاته الكثيرة: تفسيره مفاتيح الغيب، ومفاتيح العلوم. ينظر: طبقات المفسرين، الأدنروي، أحمد بن محمد، ص214. وينظر: معجم المفسرين، نويهض،عادل. ج2، ص 596.

[447]- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، اللغوي والمفسّر، ولد سنة 467ه الموافق 1075م في زمخشر من قرى خوارزم، سافر إلى مكة وعاد إلى خوارزم وتوفي بها سنة 538ه الموافق 1144م، من آثاره: الكشّاف، الفائق في غريب الحديث. ينظر: معجم المفسرين، نويهض عادل، ج2، ص 666.

[448]- ينظر: تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، الرازي، فخر الدين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

العلوم الكونيّة، مما يتعلق بالجماد والنبات، والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلاميّة، ومقالات الفرق، والمناظرة والحجاج في ذلك»[449] وهكذا تأثّر التفسير بالحياة الفكريّة والثقافيّة التي ميّزت الحياة الإسلاميّة، عبر مراحل عصورها، بفعل توسّع الحواضر الإسلاميّة، وتفاعل المسلمين مع الثقافات والفلسفات المختلفة، وتعدّد الفرق الدينيّة والفكريّة، كله ألقى بظلاله على حركة التفسير، ويمكن تمييز مدرستين في هذا الاتجاه.

ـ المدرسة الأولى استعملت الرأي والفكر والمعارف العلميّة في عصرها ضمن أصول التفسير وقواعده، وهذا التفسير الفكري يشمل المفسرين أصحاب الفكر الذين اجتهدوا في تفسير القرآن الكريم بتوظيف معارفهم الفكريّة، العلميّة والكلاميّة والفلسفيّة، بما يُناسب الحياة الفكريّة والعلميّة في عصرهم، وهو نوع من الاجتهاد بالرأي الذي لا يخرج عن آليات التفسير المتعارفة، ولا يخرج عمّا تواطأ عليه المفسّرون، ولذلك تأتي مآخذه معدودة، وله من المحامد في وجه من الوجوه، ما جعل الناقدين يحمدونها له، مثل الزمخشري الذي تميّز في التفسير على اللغة، ولم ينقل الروايات الضعيفة أو الإسرائيليات، ومثل تفسير (أنوار التنزيل) للإمام البيضاوي[450] ومثل هذه التفاسير يحمدون الدّارسون تفاسيرهم، من زاويّة « وهي أنّ المعنى المناسب إذا كان جليّا للفهم عند ذكر النص صحّ تحكيم ذلك المعنى في النصّ»[451] واعتبار ذلك الرأي، ومثله تفسير الرازي الذي حاول بعض منتقديه التهوين من قيمته الفكريّة بالقول أنّ « التفسير الكلامي وأنموذجه الرازي، مثلا في التفسير الكبير، وهو تفسير ينبغي أن نأخذ منه بطرف وندع أطرافا أخرى، لأنها خرجت بالتفسير عن مجاله»[452]، ولكن مجمل هذه التفاسير هي تفاسير اجتهاديّة ضمن بيئتها وتاريخها، فتخضع هذه الآراء للمراجعة والاستدراك، ولكن يستفاد من معانيها الفكريّة المناسبة.

وهناك كذلك دراسات تفسيريّة منهجيّة أفادت التفسير، لأنّها تناولت التفسير بوجه منهجي للوصول إلى معاني ومقاصد قرآنيّة لعبت دورا في إثراء التفسير، مثل التفسير المبني على التناسب والتناسق الدلالي بين السور القرآنيّة، « وقد نجح الإمام البقاعي في تفسير القرآن كلّه على أساس الترابط والتناسق والتناسب بين آياته وسوره، ولم

---

[449]ـ ابن باديس، عبد الحميد. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. مرجع سابق، ص41.

[450]ـ البيضاوي: أبو سعيد، عبد الله بن عمر، مفسّر من علماء الشافعيّة، توفي سنة 865ه الموافق 1286م ومن آثاره: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل ، ج1، ص318.

[451]ـ الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، ج1، ص 57.

[452]ـ الغزالي، محمد. كيف نتعامل مع القرآن. مرجع سابق، ص 29.

يفعل ذلك مفسّر قبله»[453] ومثل هذه الاجتهادات الخادمة للتفسير، والتي تعود عليه بإثراء المعنى، وتنوّع مناهج البحث فيه، واكتشاف أوجه الإعجاز والبيان في كتاب الله تعالى لا شك أنّها مُفيدة وضروريّة للعمليّة التفسيريّة، ومثل هذا الاجتهاد الذي يبني جهده على أساس إثراء وتعميق الاجتهاد التفسيري العام، في الكشف عن حقائق التفسير، وأصحابه على علم بآليات ومتطلبات ومعارف التفسير.

المدرسة الثانيّة تشمل أولئك الذين استعملوا الرأي والفكر في توظيف التفسير للوصول إلى معاني بعيدة عن دلالة الخطاب إلى معاني تخصّ طرقهم الفكريّة والفلسفيّة والروحيّة، وهو نوع من التفسير بالرأي المجرّد الناتج عن خواطر فكريّة ونفسيّة « وهو إجالة الخاطر في المقدّمات التي يرجى منها إنتاج المطلوب»[454] ولكن يحتاج إلى التحقيق لمعرفة صوابها من خطئها، أمّا إذا كان « التفسير بالهوى أو لمجرّد لموافقة المذهب، بحيث لم يجر على قوانين العربيّة ولم يُوافق الأدلّة الشرعيّة وليس مستوفيا لشرائط التفسير»[455] فهو الذي دُعي بالرأي المذموم، ولم يُفد التفسير، وإنّما ساهم في تزييف العقل الإسلامي، والتشويش على منظوره، ومنه جملة من آراء التفسير الإشاري باعتبار تصورهم، « كل آية ظهر وبطن وحدّ ومطلع، والمذكور بوساطة الألفاظ وتأليفاتها وضعا وإفادة وجعلها طرقا إلى استنباط الأحكام الخمسة هو الظهر وروح الألفاظ، أعني الكلام المعتلى عن المدارك الآلية بجواهر الروح القدسيّة هو البطن وإليه الإشارة»[456] فذهب هذا التفسير بسبب منهجه في البحث عن معني ودلالات باطنيّة، فيها كثير من الخيال على حساب حقيقة الخطاب، وبناء أحكام وهمية.

و البحث عن أسرار متخيّلة في الخطاب دون منهج علمي يؤدي إلى إنشاء معاني موازيّة للخطاب القرآني، مثل معاني الحروف المقطعة في القرآن التي افتتحت بها بعض السُوَر، « وأيضا من الحروف رمز إلى ثلاثة أشياء، فالألف إلى الشريعة واللام إلى الطريقة والميم إلى الحقيقة، فهناك يكون العبد كالدائرة نهايتها غير بدايتها، وهو مقام الفناء في الله تعالى بالكليّة وأيضا الألف من أقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وآخرها فيُشير بها إلى أنّ أوّل ذكر العبد ووسطه وآخره لا ينبغي إلا لله عزّ وجلّ، وأيضا في ذلك إشارة إلى سر التثليث فالألف مشير

---

[453]- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين. مرجع سابق، ص450.

[454]- الكفوي، أبو البقاء أيوب. الكليّات. مرجع سابق، ج1، ص 420.

[455]- الخطيب، أحمد سعد. مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص367

[456]- الألوسي، محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. مرجع سابق، ج1، ص07.

إلى الله تعالى، واللام إلى جبريل، والميم إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم»[457] ومثل هذه الإشارات التي لا تستند على منقول صحيح ولا معقول صريح ولا مستند لغوي فإنّها تشوّش على حقائق التنزيل ومقاصده الكبرى ومراد خطابه وأحكامه التي يقيمها في الدين وهداية البشر وصلاح حياتهم.

ومنه كذلك تفاسير الفرق، فقد كان ظهور الفرق في الحياة الإسلاميّة كان له أثره في التفسير، حيث ظهر لكل فرقة توجّهها في التفسير، وآراءها المستبطنة فيه، واستعملت التفسير للاحتجاج لأفكارها، وتطويع الخطاب القرآني لمعتقداتها وآرائها، وهي فرق متنوّعة، بدأت في الظهور بعد الفتنة الكبرى، وتوسّعت مع توسّع الحياة الإسلاميّة، فأصبحت توظف القرآن الكريم في خدمة أفكارها ونفوذها وأغراضها، لأنّ ما يجمعها هو الخلل المنهجي في ممارسة عمليّتها التفسيريّة، فجلب عليها ذلك ما رُميت به من انتقادات بسبب « دخولهم عالم القرآن بمقرّرات فكريّة سابقة وهذا هو أساس الانحراف الذي وقع فيه مفسّرو رجال الفرق الإسلاميّة، حيث دخلوا جميعا عالم القرآن بمقرّر فكري مسبق، وتعاملوا مع القرآن بالهوى والمزاج، وأرادوا من القرآن أن يشهد لما عندهم من باطل وضلال»[458] وتأوّلوا روايات وهم يتجاوزون معاني القرآن الظاهرة والمقصودة إلى تأويلات بعيدة، مثل مسألة الحُكم والتكفير عند الخوارج، وغيرهم من الفرق والجماعات التي حاولت توظيف القرآن لخدمة أغراضها وأفكارها.

مثل هذه التفاسير والمعاني التي لا يستسيغها نقل ولا عقل ولا لغة « وبالغ بعضهم في ذلك وصاروا يروون حديثا عن النبي صلّى الله عليه وسلّم {إنّ للقرآن بطنا، وللباطن بطنا إلى سبعة أبطن} ولا ريب أنّ هذا مختلق لم يروه أحد من أهل العلم، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث»[459] وأقاموا على ذلك مذاهب واتجاهات دينيّة وعقائديّة وأصبح لها من المريدين والأتباع، ولابدّ من تخليص التفسير من مثل هذه التوجّهات التي تجعل كلام الله عرضة للعصبيّات ونصرة الفرق والترويج لأيّ كلام لا يخضع للمنهج العلمي، باعتبار أنّ التفسير عمليّة علميّة منهجيّة، وليس مجرّد عمليّة استشهاديّة بإسقاطات آياته على سوابق فكريّة أو عصبيّات بل هو عملية علمية لخطاب حاكم.

ـ إشكاليات التفسير الفكري للأحكام:

[457]ـ المرجع نفسه، ص 103.

[458]ـ الخالدي، صلاح عبد الفتاح. تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين. مرجع سابق، ص 496.

[459]ـ الدهش، عبد الرحمن بن صالح بن سليمان. الأقوال الشاذّة في التفسير ـ نشأتها وأسبابها وآثارها. مرجع سابق، ص 56.

إنّ التفسير بالرأي يحتاج إلى احتياطات لتجنّب بعض الإشكاليات التي قد تُحيط بعمليّته التفسيريّة، لأنّ الرأي المجرّد المنبثق من مجرّد خواطر فكريّة، دون المرور على أصول المنهج التفسيري، ودون مستند نقلي صحيح أو عقلي صريح، تعترضه جملة من الإشكاليات المنهجيّة والعلميّة منها:

1- إنّ كلام الله تعالى هو خطاب يحمل حقيقة شرعيّة، وليس مجرّد متن لغوي أو أدبي يجوز فيه التخمين عن مكامن المقصود ومُراد الخطاب، لأنّ خطاب القرآن يحتاج إلى بذل الطاقة في كشف مُراد الخالق بما يقتضيه هذا الخطاب من أحكام متعلّقة بأفعالنا، لذلك فهو عمليّة اجتهاديّة بمعنى أنّه « استفراغ المفسّر الوسع لتحصيل العلم بمعاني آيات كتاب الله تعالى بقدر الطاقة البشريّة»[460] باستعمال آليات الاجتهاد، وليس التوقف عند مجرّد خواطر الرأي، لبناء جملة من الأحكام الوهمية.

2- الغيبيات من مواضيع القرآن الكريم التي لا يُمكن أن يحكمها الرأي البشري، والعقل ذاته يحكم باستحالة أن يكون الإنسان محيطا برأيه بتفصيل ما وراء إدراكه ومعاينته، مثل عالم الملائكة، واليوم الآخر، وغيرها من الغيبيات التي تستدعي حقائقها من النقل الثابت، والتسليم بحُكم القرآن فيها.

3- حاجة الرأي إلى منهج علمي للتفكير وإلا تنازعه الهوى والمزاج، كما يحتاج أن يستند على مقدّمات شرعيّة وعقليّة للوصول إلى نتائج علميّة، وفقدان مثل هذا المنهج يجعل من العمليّة التفسيريّة عمليّة فوضويّة، تخضع للذاتيّة والمزاجيّة والعصبيّات المختلفة، والانحراف عن حُكم القرآن الكريم.

4- القول بالرأي المجرّد عن آليات الاجتهاد، هو خاطر ذهني يحتمل التوفيق ويحتمل الخطأ، المهم أن يعمل المفسّر على تحقيقه و« أن لا يجزم بأنّ ما يقدّمه من تفسير بالرأي هو مُراد الآيات، ولا يقطع بأنّ هذا مقصودها»[461] وعليه أن يعود لإخضاع استنتاجه لمنهج الاستنباط بعمليّة استقراء وتتبّع عبر أصول المنهج التفسيري للوصول إلى الأحكام.

5- الحشو والطول في مسائل الرأي والفكر البعيد عن مقصد التفسير « إنّ كتب التفسير المطولة تبعثر المعاني الساميّة منه، وكل معانيه ساميّة، في وسط مضطرب من الأقوال في علم الكلام ومذاهبه، وآراء الفقهاء واستدلال كل صاحب مذهب على مذهبه... والقرآن المعجز وراء ذلك مسوّر بغشاء من الجدل والاختلاف وتوجيه

---

[460]- أحمد سعد الخطيب. مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص41.

[461]- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. تعريف الدّارسين بمناهج المفسّرين. مرجع سابق، ص424.

الأقوال »[462] وتكون تلك التفاسير أقرب إلى الخواطر الفكريّة والآراء الكلاميّة والفلسفيّة بعيدا عن أي مسوّغ تفسيري، بما يشوّش على أحكام القرآن.

6- توظيف التفسير في صراعات الفرق ومذاهبها، أو في رؤى الفلسفات ومقالاتها، أو في إشارات الطرق ومراتبها، يشغل خطاب التفسير عن مقصده في بيان رسالة الرحمن للخلق، وهدايته للعالمين لما في حُكمه من خيرهم في الدارين.

7- القرآن الكريم هو حاكم، وحكمه متبوع، وليس محكوما أو تابعا، فيتم إتباعه والتسليم لحُكمه، وليس بتوظيفه وتأويل كلامه بما يوافق ويخدم الأفكار والأهواء والفلسفات البشريّة والنوازع النفسيّة، فالتفسير هو مدلول الخطاب وفق أصوله وقواعده وليس وسيلة لتكوين خطاب مواز يستقل بمراده ومقاصده وأغراضه لمصالح العصبيات والجماعات، وما تبتغيه من أحكام عصبية.

المبحث الثاني: اتجاهات التفاسير الحديثة للأحكام.

التفسير في العصر الحديث استمرّ على المناهج التراثية السابقة، مستفيدا من ذلك التراث في علم التفسير، ومن التراكم المعرفي والتفسيري لمجموع التفاسير، مُحاولا أن يمنح تفسيره روح العصر والإجابة عن إشكالاته الواقعيّة، في واقع عاش فيه العالم الإسلامي، والمجتمعات الإسلاميّة مرحلة انهيار وضعف، ثم مرحلة احتلال وهيمنة غربيّة على بلدانهم، ومرحلة تمزّق سياسي واجتماعي ومذهبي، ثم خرج هذا الواقع إلى واقع الدولة القطريّة وحدودها الموروثة من الاحتلال، في واقع يُعاني المسلمون من تخلّف حضاري وفكري وعلمي، وأهمّ المؤثّرات الحديثة على الحياة الإسلاميّة التي أثّرت على التفسير إلى جانب استمرار المؤثرات القديمة، مثل: الاختلاف الفقهي المذهبي، وتقاطع التفسير مع العلوم الدينيّة الأخرى، وغيرها:

1- تخلف المجتمعات الإسلاميّة الحضاري، وخضوعها للهيمنة الغربيّة، عقودا من الزمن، جعل مسألة الإصلاح وتغيير الأوضاع الإسلاميّة، والأمل في إعادة الأمجاد والريادة الإسلاميّة الحضاريّة، للالتحاق بمسيرة الحضارة الحديثة، دفع علماء البلاد الإسلاميّة إلى دعوة الأمّة إلى النهوض وإحياء ارتباطها بهويّتها للدفاع عن شخصيّتها واستعادة فاعليّتها، ومنهم المفسرين، الذين عادوا إلى كتاب الله لإعادة تجديد روح الأمّة من خلاله.

2- تعقيدات العصر وتطوّراته بما فرضه من نظم ومناهج وتطور علمي هائل، باكتشافات علميّة ونهضة صناعيّة واقتصاديّة متعدّدة الأوجه، وفي مختلف المجالات،

[462]- أبو زهرة، محمد. زهرة التفاسير. مرجع سابق، ج1، ص 18.

فرض على الفكر الإسلامي عموما، وعلى التفسير قراءة تفسيريّة للإجابة عن إشكاليات حديثة، وكشف أوجه الإعجاز العلمي في كتاب الله في الكون والآفاق والأنفس والتفاعل مع الفتوحات العلمية الهائلة.

3- التعامل مع نوازل ومستجدات العصر الحديث بما فرضته من أوضاع جديدة على جميع المستويات، الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة وغيرها، من أوجه الحياة الحديثة، دفع الاجتهاد الإسلامي للعمل على كشف أحكام الإسلام وإجاباته بمنظور الاجتهاد العلمي، بما فيه علم التفسير، فتصدّى المفسّرون بمجموعة من التفاسير الحديثة لتفسير آيات الله المباركة وفق هذا التأثير ومتطلباته.

4- إشكاليّة الأصالة والمعاصرة التي فرضت نفسها على الخطاب الإسلامي الحديث، بين قيم الدين ومتطلبات الحياة الحديثة، بين الثابت والمتغيّر في الاجتهاد الإسلامي، بين البدعة الضلالة والإبداع الاجتهادي المطلوب، بين الالتزام والتجديد، بين ظاهر الخطاب ومقاصده، بين نموذج الماضي المجيد ومتطلبات العصر الحديث من نظم ومناهج، وغيرها من الإشكاليات التي كانت محل دراسة ومقاربة علميّة من الفقه والتفسير وغيره للوصول إلى حقيقة الأحكام الإسلاميّة.

5- مناهج التأليف والبحث العلمي الحديث فرض على الباحثين المسلمين، بمن فيهم المفسّرين، لإعادة التأليف مستفيدين من منهجيات الكتابة والتأليف، ومحاولين إعادة التأصيل العلمي للعلوم الإسلاميّة لإعادة بعثها من جديد وفق منهج حديث، والنهل من التراث الإسلامي وتراكمه المعرفي، وإثرائه بما توصّل إليه الاجتهاد الإسلامي الحديث، خصوصا بما وفّرته وسائل الطباعة والنشر والتوزيع الحديثة، ووسائل التواصل المعاصرة.

حيث تنازعت التفسير الحديث مجموعة من الاتجاهات:

1-2: الاتجاه الإصلاحي في تفسير الأحكام:

وهو اتجاه حاول استنهاض العالم الإسلامي من خلال حركة إصلاحية ونهضويّة في مرحلة ضُعف وتخلّف دخلها العالم الإسلامي، لدفعه للحفاظ على هويّته من جهة ومواجهة الاحتلال والهيمنة، التي أصابت المجتمعات الإسلاميّة، مع حملة الاستعمار الأوروبي لبلدان العالم الإسلامي، وهو واقع التخلف والجهل والخُرافات والبدع، والرفع من أهميّة التفكير والعقل، فحملت اتجاهات التفسير الحديث نزعة علمية وعقلية

لمواجهة حالة التقهقر الحضاري للعالم العربي والإسلامي[463]، ويُمثّل هذا الاتجاه الرائد في عمليّة الإصلاح الديني، جمال الدين الأفغاني[464] الذي ترك تأثيرا على الفكر الإسلامي الإصلاحي بمتابعة تلاميذه لمنهجه الإصلاحي، وانتشار الفكر الإصلاحيّ في البلاد الإسلاميّة، الذي عمل على إحياء تجديد حركة الاجتهاد والنظر الإسلامي.

فموضوع الإصلاح الديني واستنهاض العقل الإسلامي لاستعادة مسيرته الحضاريّة في واقع التخلف والتشرذم والخضوع للهيمنة الأجنبيّة مع حملات الهيمنة الغربيّة على حواضر العالم الإسلامي، كان محور الحركة الإصلاحيّة التي عملت على نشر فكرها الإصلاحي بمختلف الوسائل العلميّة، والوسائل الدعويّة المختلفة، بما فيها العودة إلى فهم القرآن الكريم، من خلال العودة إلى تفسيره، من خلال جهود محمد عبده[465] ومحمد رشيد رضا[466] ، والحركة الإصلاحيّة في المغرب العربي، نموذجان للاتجاه الإصلاحي.

أ: المدرسة الإصلاحيّة في مصر:

ويُمثلها الأزهر الشريف ومحمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد رشيد رضا، ويعتبر تفسير المنار المنظور التفسيري لهذا الاتجاه، وعُرف بمحاولته التوفيق بين التراث الإسلامي والحياة العقليّة والعلميّة الحديثة، وامتدّ أثرها للتفاسير الأحدث عند علماء الأزهر وغيرهم، « وإنّ الطريقة المثلى التي توصل إلى الغاية في

---

[463]- ينظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن. المحتسب، عبد المجيد عبد السلام ، منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، الأردن، ط3، 1982، ص 124، 125.

[464]- جمال الدين الأفغاني، محمد بن صفدر، من رواد الإصلاح الديني الحديث، ولد بأفغانستان سنة 1254ه الموافق1838م، وأصدر مع محمد عبده مجلة العروة الوثقى بباريس، توفي سنة 1315ه الموافق 1897م، من مؤلفاته رسالة الرد على الدهريين. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج2، ص168، 169.

[465]- محمد عبده، مفتي الديار المصريّة، ومن دعاة الإصلاح الإسلامي، ولد بإقليم الغربية بمصر سنة 1266ه الموافق 1849م، الإمام الأزهري وصاحب جمال الدين الأفغاني، له مواقف في محاربة الطغيان والاحتلال في البلاد الإسلاميّة، وتوفي سنة 1323ه الموافق 1905م، كتب عن مجلس علمه محمد رشيد رضا تفسيره. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج6، ص252. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل، ج2، ص 566.

[466]- محمد رشيد رضا، عالم بالتفسير والأدب والتاريخ، من دعاة التجديد والإصلاح، ولد بقلمون لبنان سنة 1282ه الموافق 1865م، رحل إلى مصر ولازم محمد عبده، وأصدر مجلة المنار، وتوفي سنة 1354ه الموافق 1935م، له تفسير المنار الذي استفاد فيه من دروس محمد عبده في التفسير. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج6، ص126. وينظر: معجم المفسرين، نويهض، عادل ، ج2، ص539.

فهم القرآن، وتعرف معانيه، وإدراك دلائل إعجازه هي الاعتماد على النقل والعقل، فلا يصح الاقتصار على النقل وحده، ولا على العقل وحده، وإنّما النظر الأمثل هو أن يعتمد على العقل والرأي وعلى السماع من أقوال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في فهم القرآن»[467] فعملت على الجمع بين النقل والعقل والرأي، والانفتاح على أوجه الإعجاز العلمي في العصر الحديث، والتكيّف مع نظم ومناهج الحياة الحديثة ومظاهر النهضة العلميّة.

ومن رواد هذه المدرسة الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا، معتمدين على نظرة نقدية للتفاسير القديمة معتبرين «أنّ أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس، المنوّرة للعقول... ثم العناية إلى مقتضى حال هذا العصر، في سهولة التعبير ومراعاة أفهام صنوف القارئين، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعيّة وغيرها»[468] ولذلك حدّدا مقصدهما في التفسير أنّه « بيان سنن الله تعالى في الخلق ونظام الاجتماع البشري، وأسباب ترقي الأمم وتدليها وقوتها وضعفها»[469] فحاولت هذه المدرسة إعادة روح التفسير إلى واقع العصر ومواجهة متطلباته، وتوسيع مفهوم الأحكام إلى نظرة إصلاحيّة شاملة ذلك أنّ« الأحكام العمليّة التي جرى الاصطلاح على تسميّتها فقها هي أقل ما جاء في القرآن، وأنّ فيه من التهذيب ودعوة الأرواح إلى ما فيه سعادتها ورفعها من حضيض الجهالة إلى أوج المعرفة، وإرشادها إلى طريقة الحياة الاجتماعية، ما لا يستغني عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر»[470]ولكنها كغيرها من الاتجاهات واجهت مجموعة من الإشكاليات المنهجية والعلميّة نتيجة تأثرها بروح عصرها وبيئتها، وتعاملت هذه المدرسة بصرامة في رفض الروايات الإسرائيليّة وغير الثابتة خصوصا في مسائل غيبيّة أو تاريخيّة أو تتعلق بالأخبار، وأحيانا رفض ما يذهب إليه الجمهور في تفسير ظاهر الآيات، وتأويل تفسيرها بما يُناسب منهج هذه المدرسة...

كقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66)﴾[471]

حيث مع الإقرار بقول الجمهور في حقيقة مسخ العصاة من بني إسرائيل قردة وخنازير، يذهب التفسير إلى تأويل أن المسخ كان معنويّا « وذهب الجمهور أيضا أنّ

---

[467]- أبو زهرة، محمد. زهرة التفاسير. مرجع سابق، ج1، ص35

[468]- رضا، محمد رشيد. تفسير المنار. دار المنار، القاهرة، مصر، ط2، 1947.

[469]- المرجع نفسه، ص11.

[470]- - المرجع نفسه، ص 19.

[471]- سورة البقرة، الآيتان: 65، 66.

إلى أنّ معنى (كونوا قردة) إنّ صوَرهم مُسخت فكانوا قردة حقيقيّين والآية ليست نصّا فيه، ولم يبق إلا النقل ولو صحّ لما كان في الآية عبرة ولا موعظة للعصاة لأنّهم يرون بالمشاهدة أنّ الله لا يمسخ كل عاص فيُخرجه عن نوع الإنسان، إذ ليس ذلك من سُننه في خلقه»[472] وتفسيره في ذلك « وحديث المسخ والتحويل وأنّ أولئك قد تحوّلوا من أناس إلى قردة وخنازير إنّما قصد به التهويل والإغراب... »[473] وليس حقيقة المسخ والتحوّل، كما ذكر ابن كثير عن مجاهد[474].

ومثله كالتعليق في سياق تفسير قوله تعالى:

قوله تعالى ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)﴾[475]

«قالوا كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، والله لم يقل ذلك ولا قاله رسوله صلّى الله عليه وسلم ولا هو مما يعرف بالرأي ولم يثبته تاريخ يعتد به والروايات عن مفسري السلف متعارضة...»[476] مضيفا « وأنت ترى لا دليل في الآية على أن الرزق كان من خوارق العادات وإسناد المؤمنين الأمر إلى الله في مثل هذا المقام معهود في القديم والحديث، قال الأستاذ الإمام ما مثاله مبسوطا: إنّ القرآن نزل سائغا يسهل على كل أحد فهمه من غير حاجة إلى عناء ولا ذهاب في الدفاع عن شيء خلاف الظاهر، فعلينا أن لا نخرج عن سنته ولا نضيف إليه حكايات إسرائيليّة أو غير إسرائيليّة لجعل هذه القصّة من خوارق العادات»[477] مع أن سياق الآيات قد يحتمل ذلك، ولكن ميول المدرسة العقليّة وتأثير الحياة العلميّة الحديثة جعلها تختار في تفسير مثل هذه الآيات خلاف التفاسير المعهودة.

ب: المدرسة الإصلاحيّة في المغرب العربي:

ويُمثّلها جامع الزيتونة وجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين: التي لعبت دورا في الحفاظ على هويّة الشعب الجزائري، ومحاربة واقع التجهيل والخرافة نتيجة الاحتلال

---

[472]- رضا، محمد رشيد. تفسير المنار، ج1، ص 344.

[473]- المرجع نفسه، ج1، ص345.

[474]- ينظر: تفسير ابن كثير، ابن كثير، مرجع سابق، ج1، ص 291.

[475]- سورة آل عمران، الآية 37.

[476]- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص293.

[477]- المرجع نفسه، ص293.

الفرنسي، ويُعتبر تفسير عبد الحميد بن باديس[478] (تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) المنظور التفسيري لهذه المدرسة، وعملت هذه المدرسة على الجمع بين المنقول والمعقول، مستفيدة من التراث التفسيري، ومجتهدة في إصلاح الحياة الإسلاميّة الواقعيّة، يقول ابن باديس في تفسيره « معتمدين في ذلك على صحيح المنقول، وسديد المعقول، مما جلاه أئمّة السلف المتقدّمون أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون، وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمّة»[479] ثم ذكر مراجع مختلفة مثل تفسير الطبري، وتفسير الكشاف للزمخشري وغيرهما، « ولا يكتفي ابن باديس بهذا القدر بل يتوسع في توضيح هذه الآية بإيراد الآيات الكريمة المناظرة لها في المعنى، والأحاديث النبويّة التي تؤيّدها [...] فقد أعاد إلى الأذهان الحاجة الملحة، بل الضرورة لعرض الإسلام عرضا شاملا مأخوذا من مصادره الأساسيّة، حتى نتمكن من مواجهة ما طرأ على حياتنا من زيف يرجع إلى ظروف التخلف الاجتماعي والسياسي على مر الزمن، ولذلك فإنّه عندما ينتهي من شرحه للمناسبة والمفردات والتراكيب النحويّة والمعنى الإجمالي للجملة القرآنية حتى يطوف في أجواء الآية الكريمة »[480] وكان حضور وتوظيف الموضوع واضحا في تفسير ابن باديس، فيستطرد في الآيات المفسرة في جلب الآيات المناسبة والأحاديث المبيّنة ويشرح موضوعها، خصوصا أن أصل تفسيره كان عبارة عن دروس.

إنّ نشر الوعي الإسلامي ومحاربة مظاهر الخلل الذي أصاب سلوك الأفراد وفي نظرة إصلاحيّة كانت تعتبرها هذه المدرسة سبيلا لتحرّر المجتمع والحفاظ على شخصيّته الإسلاميّة، سواء الإصلاح العقائدي أو الاجتماعي، من خلال التفسير، وعلى رأس ذلك صفاء العقيدة الإسلاميّة في توحيد الله تعالى، ومحاربة مظاهر الجهل والخرافة التي تنتشر في حالة الضعف من طرق دينيّة، جاء القرآن ليشدّد على جوهر أحكام التوحيد، ويقول الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسيره « إذا علمت هذه الأحكام

---

[478]- عبد الحميد بن باديس رئيس جمعيّة العلماء المسلمين في الجزائر، ورائد الإصلاح فيها، ولد سنة 1305ه الموافق 1887مدرس في الزيتونة بتونس، وعاد إلى الجزائر ليقود جمعيّة العلماء في الحفاظ على هويّة الشعب الجزائري والدفاع عنه، والمشاركة في الحركة الوطنية حتى توفي في قسنطينة سنة 1359ه الموافق 1940م له العديد من المقالات والقصائد نشرت سابقا في إصدارات جمعية العلماء. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج3، ص 289.

[479]- ابن باديس، عبد الحميد. تفسير ابن باديس في مجالس التذكيرمن كلام الحكيم الخبير. مرجع سابق، ص41.

[480]- طهاري،محمد. الحركة الإصلاحيّة في الفكر الإسلامي المعاصر (الشيخ عبد الحميد بن باديس). دار الأمّة، الجزائر، الجزائر، ط1، 1999، ص33، 34.

فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقا في هذا الضلال، فتراهم يدعون من يعتقدون فيهم الصلاح من الأحياء والأموات يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإخفاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون ويذهبون إلى الأضرحة التي شيّدت عليها القباب»[481]، وهكذا في إطار هذا المنهج الإصلاحي يتوسّع إلى الإصلاح الاجتماعي، بداية من الأسرة.

والإصلاح الاجتماعي هو جزء من حركة الإصلاح والتجديد في وعي المجتمع الجزائري الذي كان يعاني من حركة تجهيل ومسخ حضاري مضادّة من طرف الاحتلال والاستيطان الفرنسي، فنجده مثلا يتوقف مطوّلا عند مسألة أسريّة تتعلق بحُكم برّ الوالدين...

في قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (24)**﴾[482]

فهو يستطرد في الحديث عن برّ الوالدين، فيستشهد بآيات قرآنيّة في الموضوع وأحاديث نبويّة، بما يدل على محوريّة الموضوع في تفسيره[483] وأهميّة الإصلاح الاجتماعي في فكر جمعيّة العلماء المسلمين بوصفه أحد أبعاد الإصلاح.

كما يعتبر تفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير) من أجلّ التفاسير التي تملك تلك الروح الإصلاحيّة والتجديديّة، ويبسط ابن عاشور منهجه في عنوان تفسيره الأصلي (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد) فهو منهج تجديدي وتنويري يناسب الاتجاه الإصلاحي، وزاد في مقدّمات تفسيره بما يناسب هذا المنظور كون « المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانيّة»[484]« غرض المفسّر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتمّ بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن... في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله. »[485] بنظرة

---

[481]- ابن باديس. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. مرجع سابق، ص 158.

[482]- سورة الإسراء، الآية 24/23.

[483]- ينظر: تفسير ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، عبد الحميد، مرجع سابق، ص66 - 70.

[484]- بن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 38.

[485]- المرجع نفسه. ج1، ص42.

مقاصديّة وإصلاحيّة، مع الاهتمام بأغراض السُوَر في تفسيره، وربط المعاني والأحكام بمقاصدها، ومقاصد الشريعة الكليّة في حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض والمصالح المرعية في الخطاب القرآني، و هذه المدرسة التي هي جزء من الحركة الإصلاحية والتجديدية في العالم الإسلامي، فإنها تميّزت بطريقة ومنهجية مقاصدية في تفسير القرآن الكريم[486] وخاصة المفسر المقاصدي الطاهر بن عاشور علما « أنّه ينتمي إلى المدرسة المالكية المغربية، ومعلوم ما لهذه المدرسة من تميّز وملامح خاصة...لا سيما في مجال ومقاصد الشريعة التي بلغ فيها الشاطبي شأوا عظيما، وهذه النزعة المقاصدية، وإن خبت لفترة من الزمن، لكنها ظلت كامنة القوة، منتظرة الحركات الإصلاحية التي بدأت بشائرها من المغرب العربي»[487] فغلب عليها المنظور المقاصدي والإصلاحي الأكثر عمقا وتجديدا.

2- 2: الاتجاه الحركي في تفسير الأحكام:

والذي تبلور مع ظهور الاتجاهات السياسية الحديثة، فنشأت الحركات السياسية التي تدعو إلى العودة إلى تطبيق الأحكام الإسلاميّة في الحياة السياسية والاجتماعية في مواجهة التأثيرات الغربية على الحياة الإسلاميّة، في إعادة لصياغة مفهوم الحاكميّة، ومقاومة مظاهر النظم والمناهج التي صبغت الحياة الحديثة، ويعتبر تفسير سيد قطب[488] في ظلال القرآن أحد نماذج هذا الاتجاه، معتبرا أن ابتعاد المسلمين عن الالتزام بالأحكام الإسلاميّة في كل شؤونهم هو مظهر من مظاهر الجاهليّة الحديثة، « ثم وقعت تلك النكبة القاصمة ونُحي الإسلام عن القيادة، نحي عنها لتتولاها الجاهليّة مرّة أخرى، في صورة من صورها الكثيرة»[489] ولذلك فهو يرى أن الخروج من هذه الجاهليّة الحديثة هو الحاكميّة، في تحكيم الشريعة الإسلاميّة على مناحي الحياة كلّها.

فالرجوع إلى الالتزام الكلي بأحكام الشريعة والحياة ضمن المنهج الرباني هو الخروج من جاهليّة الواقع « إنّه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشريّة في كتابه الكريم، إنّه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها والتحاكم إليه وحده في

---

[486]- رشواني، سامر عبد الرحمن. الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور. مرجع سابق، ص 84.

[487]- المرجع نفسه، ص 87.

[488]- سيد قطب، بن إبراهيم، أديب ومفسّر ومفكر مصري، ولد في أسيوط بمصر سنة 1424ه الموافق 1906م، تعلّم بالقاهرة وتخرّج من دار العلوم، قام بنشر أفكاره من خلال كتاباته، التي تعبّر عن مواقفه السياسية والفكريّة، وأُعدم سنة 1387ه الموافق 1966م، من أشهر مؤلفاته تفسيره، في ظلال الإسلام. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج3، ص 148. وينظر: معجم المفسرين، نويهض،عادل ، ج1، ص219.

[489]- قطب، سيد. في ظلال القرآن. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط14، 1987، ج1، ص16.

شؤونها»[490] ويعتبر هذا الاحتكام ضروريا ولا اختيار فيه، لأن الواقع بقيمه ومفاهيمه التي أصبحت سائدة يشكل حالة متجدّدة للجاهليّة، وهذا المنظور، وفي تلك الظروف التي عاشها من سجن وصراع مع النظام السياسي، الذي رفع الشعارات القوميّة والاشتراكيّة، كتب سيد قطب تفسيره، الذي هو مثال عن هذا الاتجاه في حركة التفسير الإسلامي الحديث، بكل إضافاته وملابساته و إشكالياته التي ميّزت وجها من أوجه مؤثرات الواقع الحديث على التفسير، وأهمّها تعامل المسلمين مع الأحكام الشرعيّة في واقعهم الحالي، وأحكام النظم والمناهج والتنظيمات الحديثة، وعلى رأسها أسس النظام السياسي في المجتمع الإسلامي، فهو يرى أن الإسلام ليس مسئولا عن واقع نتيجة أنظمة ونظريات خارجة عن حاكميّته، وفي ظل مجتمع غير ملتزم بأحكامه، وواقع بعيد عن حُكمه، وهي نظرة صارمة تميّز بها في تفسيره.

فهذه الصرامة في منظوره، جعلته يرى أنّ « الإسلام ليس مسئولا عن إيجاد حلولا فقهية أو غيرها لمشكلات في مجتمع غير إسلامي، سبّب وجودها أنّه لم يعرف الإسلام، فلابد من قيام هذا المجتمع، أما قبل قيام هذا المجتمع فالعمل في جعل الفقه والأحكام التنظيمية هو مجرد خداع للنفس باستنبات البذور في الهواء ولن ينبت الفقه الإسلامي في الفراغ»[491] وهذا المنظور للتعامل مع واقع لا يرى له صلة بالأحكام الإسلامية، أصبح يمثل حاجزا بين الواقع والتفسير عند سيد قطب، لأنه يشترط واقع معيّن قبل تحميل التفسير تقديم مقاربة للعصر أو اقتراح الحلول لمشكلاته.

والجاهليّة حالة تعيشها المجتمعات في نظر هذه المدرسة عندما تبتعد عن تلك الحاكميّة للشريعة، ومشاكلها هي نتيجة ذلك الواقع، والعودة إلى أحكام الشريعة الإسلاميّة هي المدخل للتغيير، هو الموضوع المحوري والجوهري في الاتجاه الحركي، ومن الناحية الموضوعيّة المنهجيّة فقد اشتهر تفسير الظلال بالاهتمام بالمحاور الموضوعية للسُور بالخصوص حيث « إنّ لكل سورة شخصية مميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان، يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيس أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص»[492] فكان لمضمون السورة العام حضوره المنهجي في الظلال مع كل سورة، يسعى المفسّر إلى تقديم خلاصة موضوعيّة عن السورة، تمثّل الحُكم العام للسورة، يسميها المحور الموضوعي للسورة.

---

[490]- المرجع نفسه، ص15.

[491]- أبو زيد، وصفي عاشور. في ظلال سيد قطب، لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري. صوت القلم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص 112.

[492]- قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص 28.

فهو عند تفسير كل سورة يقدّم لها بمعنى إجمالي لها يختزل محورها الموضوعي، ففي مستهل تفسير سورة الكهف يقول: « أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط في موضوعاتها، ويدور حولها سياقها، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة... »[493] وفي سورة النور مثلا يقول « هذه سورة النور، يُذكر فيها النور بلفظه مستقلا بذات الله، ويُذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح، ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة، وهي آداب وأخلاق نفسيّة وعائليّة وجماعيّة، تُنير القلب فتُنير الحياة، ويربطها ذلك النور الكوني الشامل أنّها نور في الأرواح وإشراق في القلوب»[494] قبل أن يبدأ في تفسير مقاطع السورة ضمن رؤيته التفسيريّة الشاملة، فموضوع السورة الإجمالي هو مدخل لتفسيرها التفصيلي، فأصبح موضوع السورة الدلالي العام أحد تجليّات التفاسير الحديثة.

2-3: الاتجاه العلمي في تفسير الأحكام:

التطوّر العلمي الذي شهده العصر الحديث أبان عن وجه من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الذي هو أحد حقائق التنزيل التي رسّخت مفهوم الإعجاز القرآني، ومع كل التحفظ والاحتراز الذي واجه تناول مثل هذه المعطيات العلميّة في تناول الإعجاز القرآني أو التفسير لخطابه الكريم، وقف المفسّرون من التفسير العلمي موقفا مختلفا بين متحفّظ وآخر متحمّس، فمن تحفظ اعتبره تفسيرا من الرأي «وهو من بدع التفاسير، ولا حق بالتفسير بالرأي المذموم، فهو لا يتخرج على لغة، ولا على أثر»[495] فهو من أوجه الإعجاز وليس من التفسير، ولكن مع الوقت وبسبب أهميّة تناول هذا الوجه ألإعجازي على المستوى الدعوي وفهم الآيات القرآنيّة والتدبّر في آيات الله المكتوبة في اتساق مع آيات الله في الكون والحياة، انسجاما وتماشيا مع دعوة الإسلام إلى التفكر انتشر هذا النوع من التفسيرات للآيات و أوجه الإعجاز العلمي فيها.

فهذا الاهتمام بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم فسح المجال لظهور اتجاه في التفسير يعنى بهذا الجانب، و« في التفسير العلمي للآيات الكونيّة نوظّف كل المعارف المتاحة من الحقائق والثوابت العلميّة»[496] إنّ التفسير بالاستعانة باكتشافات العلم

---

[493]- المرجع نفسه، ج4، 2255

[494]- المرجع نفسه، ج4، 2485.

[495]- الجديع، عبد الله بن يوسف ا. المقدّمات الأساسيّة في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 391.

[496]- زغلول راغب محمد النجّار. من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم. دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص 31.

الحديث أحد ملامح التفسير الحديث، « والمُراد به تفسير الآيات التي تتحدّث عن الكون وخلق الإنسان ونحو ذلك، بما توصّل إليه العلم الحديث من اكتشاف واطّلاع على حقائق لم يهتد إليها عموم النّاس من قبل»[497] كون هذه الاكتشافات العلميّة ما هي إلا وجه من أوجه آيات الله في الآفاق والأنفس.

يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾[498]

فاعتبار السياق العلمي في التفسير يخدم إثبات إعجاز القرآن وشموليته الزمنيّة، ويخدم استنباط المعاني الحقيقيّة للخطاب القرآني، وأنّه تفسير عصري، وأحد أوجه الإعجاز التي تخدم التفسير، وتكشف دلالته وفق حقائق العلم وما وصل إليه الإنسان من اكتشافات علميّة، سبق إليها الخطاب القرآني وجاء العلم الحديث لإثباتها وكشف حقيقتها.

فالتفسير العلمي لا يمكن التعامل معه بإفراط أو تفريط، بسبب تنوّع أوجه هذه الاكتشافات العلميّة، فجزء منها هو حقائق يقينيّة، تؤكدها المعاينة، وحقائق لا تخضع لاحتمال الخطأ أو الظنّ، فهذه لا يُمكن القفز عليها، والادّعاء بوجوب حماية حقائق التنزيل منها، وهناك حقائق ظنيّة ونظريات لم تخضع للمعاينة أو اليقين، وهذه لا يُمكن التعجّل في جعلها أساسا للتفسير، والحقيقة أن التحفظ من الاكتشافات يُشكل ذات الإشكاليات من التعجّل في تبنيها، فإذا كان التحفظ بسبب أن التعجّل قد يجعل التفسير في حالة تغيّر الحقيقة العلميّة محلّ اضطراب، فإنّ التحفّظ كذلك يفوّت على التفسير حقيقة علميّة معاينة، بينما يبقى التفسير في معناه القديم الغريب بمعطيات العلم اليقيني، والذي لا يتطلب سوى عمليّة تفسيريّة جديدة.

ومن أمثلة التعجّل في مسألة التفسير من نظريات غير ثابتة:

في سياق تفسير قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ (67) ﴾**[499].

نجد في تفسير المنار « وأمّا علم تحضير الأرواح فإنّه من هذه الآية استخراجه، أنّ هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أوّلا ثم

---

[497]ـ الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص390.

[498]ـ سورة آل عمران، الآية 53.

[499]ـ سورة البقرة، الآية 67.

بسائر أوروبا ثانيا»[500] ثم استطرد حتى اعتبر أنّ الأنبياء في تلك القصص الواردة في سورة البقرة كطير إبراهيم، وصاحب الحمار الذي أعيدت حياته، شكل من أشكال استحضار الأرواح، وهذا لشدّة التأثر بمثل هذه النظريات، واعتبارها علميّة لا تحتمل التكذيب[501] وجعلها أساسا في تفسير الآيات.

وكمثال عن التحفظ الشديد الذي يؤدّي إلى الخطأ في التفسير هو اعتماد رأي تفسيري قديم عن أن الأرض مسطحة وليست كرة، فمسالة كرويّة الأرض عند نفى بعض المفسرين كرويتها بسبب ظاهر الآيات

كقوله تعالى : ﴿**وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)** ﴾[502]

فلا يمكن القفز على مئات الآيات الكونيّة وغيرها ممّا تصلح لمثل هذا التناول العلمي « ففي القرآن الكريم آلف وثلاثمئة آية تتحدّث عن الكون، وعن خلق الإنسان، وهذه الآيات تقترب من سدس القرآن، وإذا كانت آيات الأمر تقتضي الطاعة، وآيات النهي تقتضي الترك، فماذا تقتضي آيات الكون؟ إنّها تقتضي التفكّر»[503] فلا يمكن التمسك بتفاسير قديمة تنفي كرويّة الأرض أو النقل عنها مع أنّه « جاء ذكر الأرض في أربعمائة وواحد وستين (461) موضعا من كتاب الله... وفي هذه الآيات إشارات إلى العديد من الحقائق العلميّة عن الأرض»[504]التي فاتت كثيرا من المفسرين، «ولذلك فإنّ القرآن الكريم يتحدّث عن هذه الحقيقة بطريقة غير مباشرة، وبصياغة ضمنيّة لطيفة، ولكنها في نفس الوقت بالغة الدقة والشمول والإحكام، وجاء ذلك في عدد من آيات القرآن الكريم التي تتحدّث عن تكوّر كل من الليل والنهار على الآخر، وولوجه فيه، وانسلاخه منه، وعن مدّ الأرض وبسطها، ودحوها وطحوها، وعن كثرة المشارق والمغارب فيها»[505] بما يستنبط منها كرويّة الأرض.

---

[500]ـ رضا، محمد رشيد. تفسير المنار. مرجع سابق، ج1، ص

[501]ـ ينظر: المرجع نفسه، ص

[502]ـ سورة الغاشية، الآية 20.

[503]ـ محمد راتب النابلسي. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، آيات الله في الآفاق. دار المكتبي، دمشق، سورية، ط2، 2005، ص11، 12.

[504]ـ النجار، زغلول راغب محمد. الأرض في القرآن الكريم. دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص78.

[505]ـ المرجع نفسه، ص 239.

يقول تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)﴾[506]

ولذلك فإن الاتجاه العلمي في التفسير خصوصا بمنهج موضوعي سيثري التفسير ويجدّد التفسيرات الموروثة ويخدم الكشف عن أوجه الإعجاز العلمي في القرآن في هذا العصر، حيث أصبحت الحقائق العلميّة جزءا من التفكير والثقافة الإنسانيّة « وما أحوج علماء المسلمين إلى إدراك قيمة الآيات الكونيّة في كتاب الله فيقبلوا عليها بالتحقيق العلمي المنهجي الدقيق بعد فهم عميق لدلالة اللغة وضوابطها وقواعدها، ولأساليب التعبير فيها، وفهم أسباب النزول، ومعرفة بالمأثور من تفسير الرسول صلّى الله عليه وسلم، وجهود السابقين من المفسرين، ثم تقديم ذلك الإعجاز العلمي إلى الناس كافة»[507] بوصفه أسلوبا دعويا وبوصفه مدخلا تفسيريا للتفكر والتدبّر في آيات الله البيّنات.

وأوجه الإعجاز العددي أو الرقمي في القرآن الكريم أحد الأوجه العلميّة التي عمل هذا الاتجاه على كشفها وتناولها، معتبرا هذا المجال في البحث القرآني مناسبا « لأسلوب الجيل بلغة العصر، فنحن في جيل الأرقام وعصر العد والإحصاء، وسيجد كل باحث ودارس في القرآن الكريم. . أن موضوعاته، في ألفاظه.. بل في حروفه. من أوجه الإعجاز العددي تساويا..أو تناسبا.. أو توازنا.. بما يجعله يقدم للعالمين..آية حديثة..على إعجاز القرآن الكريم»[508] وأصبح هذا الوجه الإعجازي يستقطب الباحثين في الدراسات القرآنيّة، وتوسّع مع عصر الحواسيب والرقمنة، حيث سهلت عمليّة الإحصاء والاستقراء لمعرفة عدد الألفاظ، ومن ذلك « جاء ذكر السموات السبع في القرآن الكريم في سبع آيات [...] هذا التكرار القرآني في الإشارة إلى سبع سموات في سبع آيات (وهو أمر معجز في حدّ ذاته) لابد أن يكون القصد منه التحديد والحصر، لا مجرّد التعبير عن التعدّد والكثرة ـ والله تعالى أعلم بما خلق ـ»[509] ومثل هذا البحث الرقمي لا يفيد فقط من ناحيّة إعجاز النظم القرآني، ولكن في دعم دلالة وبلاغة الخطاب، وإعجازه الدلالي الذي يساهم في عملية تفسيرية معاصرة.

---

[506]ـ سورة الزمر، الآية 5.

[507]ـ النجّار، زغلول راغب محمد. السماء في القرآن الكريم. دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص92

[508]ـ نوفل، عبد الرزاق. الإعجاز العددي للقرآن الكريم. ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، دس، ص183.

[509]ـ النجّار، زغلول راغب محمد. السماء في القرآن الكريم. مرجع سابق، ص143.

2- 4: الاتجاه البياني في تفسير الأحكام:

هذا التفسير الذي يستند على الدلالة اللغويّة والبلاغيّة وصور البيان المختلفة استمرّ في العصر الحديث « فهو التفسير الذي يبيّن أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام، تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى»[510] فلم تتوقف مثل هذه البحوث والتفاسير في إثراء تفسير القرآن الكريم، وإحياء تلك العلاقة الدلاليّة بين النظم البياني ومراد الخطاب، ومنه استنباط الأحكام والمقاصد القرآنيّة، وعادت الدعوة إلى التفسير البياني مع إعادة تجديد مناهج اللغة والبلاغة العربية، ومن روادها أمين الخولي بمصر، وجاءت تلميذته عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ لتحاول تطبيق ذلك الاتجاه في التفسير ومتابعة جهوده.

وعملت على تطبيق منهجها في تفسيرها البياني، واصفة هذا المنهج الذي تسلكه « على منهج دقيق محرّر، ينفذ من وراء الحُجُب التي أسدلتها التأويلات المذهبيّة والطائفيّة، والأذواق الأعجميّة، إلى الجوهر الكريم في ذروة نقائه وجلال أصالته»[511] موضّحة خصوصيّة منهجها البياني بقولها: «حرصت فيها، ما استطعت، على أن أخلص لفهم النص القرآني فهما مستشفا روح العربيّة ومزاجها، مستأنسة في كل لفظ، بل في كل حركة ونبرة، بأسلوب القرآن نفسه، ومحتكمة إليه وحده»[512] كما استعانت بالمنهج الموضوعي في الوصول إلى دلالة الأسلوب، كتمايز الدلالة بين ألفاظ: الإنسان، الإنس، الناس «فاستقراء هذه الألفاظ في كل مواضع استعمالها القرآني يشهد بأنّ لكل منها ملحظا خاصّا في الدلالة، إلى جانب الملحظ الدلالي المشترك فيها جميعا بحكم تقارب مادتها اللغويّة في الأصل، فالناس لعامّة الجنس... ويأتي لفظ الإنس في القرآن في ثمانيّة عشر موضعا، كلها مع الجنّ فشهد ذلك بأنّ دلالة الإنسيّة، بما تعني من نقيض الوحشيّة، هي المتعيّنة في الإنس، أما الإنسان فإلى جانب كونه من الناس، ومن الإنس نقيض الجان، يتميّز بدلالة خاصّة على الإنسانيّة، وتتضح هذه الدلالة آيات الإنسان في القرآن وعددها خمسة وستّون آية، في سياق الأهليّة لاحتمال التكليف،

---

[510]ـ السمرائي، فاضل صالح. على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، الإمارات العربية، ط1، 2002، ج1، ص 07.

[511]ـ بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. التفسير البياني للقرآن الكريم. دار المعارف، بيروت، لبنان، ط7، ج1، ص17.

[512]ـالمرجع نفسه. ج1، ص 17.

والابتلاء بالخير والشرّ، والتعرّض للغواية وما يلابس ذلك من غرور وطغيان»[513] وكل لفظ ضمن سياقه البياني المناسب.

وهذا التفسير مثلما يهتم بالسياق اللغوي والأسلوب البياني فهو يهتم باللفظ القرآني، لأن المعنى والدلالة في القرآن تنطلق من بلاغة اللفظة ذاتها، ويظهر الإعجاز البياني منها، من حيث دلالتها مفردة أو مركبة، أو ضمن سياقها كاختيار كلمة ربّ في سياقه المناسب « وكذلك ينتقي القرآن كلمة (ربّ) في مكان احتياج الموقف إلى الربوبيّة، ولا يضع غيرها من أسمائه الحسنى عزّ وجلّ، فقد اطّرد ذكر هذه المفردة في حال الدعاء حيث يكون المرء في ضعف»[514] وهكذا في كل ألفاظ الأسماء الحسنى في الآيات القرآنيّة، وغيرها مثل اختيار كلمة الوالدين في سياق البرّ« ولذا كان في القرآن خط عام لا يتخلف وهو جين يذكر الإحسان إلى الأب والأم والبر بهما يذكر بلفظ (الوالدين) ولا يذكره بلفظ الأبوين، تذكيرا للإنسان بأمر الولادة»[515] وهكذا تقوم اللفظة في النظم القرآني مقاما دلاليا يخدم مراد الحُكم المقصود والتدبّر فيه.

ومثل استعمال ألفاظ مخصوصة لمعنى خاص ومحدّد فهناك «خصوصيات في الاستعمال القرآني كاستعمال الريح للشر والرياح للخير، والغيث للخير والمطر للشر، والعيون لعيون الماء والصوم للصمت والصيام للعبادة وغير ذلك»[516] فأضاف هذا الاتجاه لثراء التفسير وعمق معانيه، بما في ذلك الاستعمال اللفظي في القرآن الكريم، كما اهتمّ بالموضوع القرآني بيانيا ودلاليا، وكان أكثر الاتجاهات عناية ودعوة للمنهج الموضوعي في التفسير.

هذا التوجّه الحديث كان أكثر توظيفا للجانب الموضوعي في القرآن الكريم وتبنّيه صراحة، فنجد مثلا عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) تذكر ذلك في شرح منهجها في تفسيرها البياني « والأصل في منهج هذا التفسير... هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تجدد الدلالة اللغويّة لكل ذلك... وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة»[517] وقد ساعد توظيف الرؤية الموضوعيّة في رصد وتتبّع ألفاظ وأساليب القرآن الكريم في الموضوع الواحد للوصول إلى دلالات

---

[513]- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. التفسير البياني للقرآن الكريم. ج2، ص 81، 82.

[514]- ياسوف، أحمد. جماليات المفردة القرآنية. دار المكتبي، دمشق، سورية، ط2، 1999، ص 44.

[515]- السمرائي، فاضل صالح ا. على طريق التفسير البياني. مرجع سابق، ج1، ص309.

[516]- المرجع نفسه، ج1، ص 12.

[517]- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. التفسير البياني للقرآن الكريم. ج1، ص 17.

ومعاني تخدم عمليّة التفسير والفهم، و تكوين نسق ونظم لأسلوب القرآن الكريم، وخصائصه البيانية.

2-5: القرآن الكريم والمناهج الأدبيّة الحديثة في التفسير:

انتشرت في السنوات الأخيرة، في الوسط الأكاديمي والفكري، دعوات لتطبيق المناهج الألسُنيّة الحديثة على القرآن الكريم، للوصول إلى قراءة معاصرة له، وكرَدّ فعل على التفسير التقليدي وموقف من التراث الإسلامي، المتهم بالجمود وعدم مواكبة المعاصرة ومُتطلبات الحداثة، وبدأت بعض الدراسات تُطبق في أقسام الأدب والفلسفة... وغيرها لتطبيق المناهج الحداثية على تفسير القرآن الكريم، واعتبار الآيات والسور القرآنية نصوصا لغوية يمكن تطبيق هذه المناهج لفهمها وتفسيرها.

لقد ظهرت في القرن العشرين وما بعده مدارس لسانيّة عملت على تجاوز المدارس الأدبيّة التقليديّة، لبناء نظريات ومناهج لدراسة اللغة، والتعامل مع النصوص اللغويّة، بمختلف أجناسها الأدبيّة، وبدأت مع جهود اللساني السويسري « دي سوسير» ثم توسّعت لمدارس ومناهج واتجاهات متعدّدة، من الشكلانيّة الروسيّة، والنقد الجديد الأمريكي، مرورا بالبنيويّة، والسيميائيّة، والتفكيكية، والظاهراتيّة، وغيرها من المسميات إلى مدرسة القراءة والتلقي الجماليّة في ألمانيا، اختزلت اتجاهات الحداثة وما بعد الحداثة... فتأثّر كثير من النقاد والمفكرين بهذه المدارس، إضافة إلى المدارس الفكرية والأيديولوجيّة التي عمّت العالم بأفكارها وفلسفاتها، فدافع هؤلاء المفكرون والنقاد عنها، ونقلوها إلى الوسط الأكاديمي العربي، بداعي مواكبة هذه المناهج الأدبيّة لروح العصر، والتعامل مع النصوص الأدبيّة بشكل منهجي، يهدف إلى تعميق المعنى وإنتاجها على شكل جماليات دلاليّة، بمعزل عن مراد الكاتب، لأنّ الأولويّة للنص والمتلقي، ولانفتاح النص على المعاني والدلالات، وسلطة المتلقي في فعل القراءة.

فهناك من عمل على نقل التفسير من العلوم الإسلاميّة ومناهجها، إلى مجال تحليل الخطاب الأدبي، وأعلن تطبيق مناهجه اللسانيّة على الخطاب القرآني، كتطبيقه على أيّ نص أدبي، محاولين القفز على طبيعة النص القرآني، وعلى علميّة المناهج الإسلامية من أصول وقواعد، مؤسسين لتصور يخصهم كون «إنّ النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي والمقصود بذلك أنّه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عام[518]»، ومن خلال الزعم بعصرنة وأنسنة، النص التي تقفز على اعتبار أن النص القرآني هو نص حاكم، وحتى لغير المؤمنين به يعرفون أن القرآن الكريم جاء لإصلاح

[518]- أبو زيد، نصر حامد. مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص 24.

ذلك الواقع وتغيير قيمه الثقافية، وإصلاح واقع العرب الجاهلي وفق توجيهات الأحكام الربانية التي يحملها الخطاب القرآني.

يقول تعالى: ﴿**وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)**﴾[519]

والاعتذار بهذا التصور بالخلط بين مفهوم التفسير والخطاب الديني، فيقول مثلا محمد أركون في كتابه «القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني»«وسوف تكون قراءتنا ألسنيّة أو لغويّة أولا لأنها تهدف، بقدر الإمكان، إلى تبيان القيم اللغويّة المحضة للنص، ولكنها ستكون نقديّة، أيضا، بمعنى أنّ كل ما سنقوله لن تكون له إلا قيمة استكشافيّة أو افتراضيّة في نظرنا»[520] وهو الذي بدأ تطبيق هذا المنهج الأدبي على الخطاب القرآني منذ السبعينيات[521] معتبرا أن التفسير سجين التفسير التقليدي « مما آل بعد انغلاق الفكر الإسلامي داخل التفسير التقليدي الموروث عن الطبري ومن نقل عنه حتى يومنا هذا»[522] ويرى أن متلقي القرآن عليه أن يكون محيطا بمثل هذه المناهج النقديّة « والإحاطة بالأرضيّة المفهوميّة الخاصّة باللسانيات والسيميائيات الحديثة مع ما يُصاحبها من أطر التفكير والنقد الإيستمولوجي»[523] وهكذا عمل هؤلاء على اقتراح هذه المناهج لقراءة أخرى، للقرآن الكريم، منتفضين في وجه التفسير الموروث، بوصفه قاصرا عن التعامل مع القرآن الكريم في عصرنا الحديث، وهذا أوجد تحفظات واعتراضات حتى من داخل هذا الوسط المستخدم لمثل هذه المناهج[524] و أثار مجموعة من المواقف النقدية ومجموعة من التساؤلات.

1- هذه المناهج الأدبيّة هي مناهج ذات سياقات تاريخيّة وثقافيّة وإيديولوجيّة وفلسفيّة وليست مجرّد مناهج أدبيّة قامت في المجال الأكاديمي العلمي، للدراسة اللغويّة والأدبيّة، وإنما هي تُعبّر عن موقف فلسفي وسياسي كانت مواكبة للمراحل التاريخيّة

---

[519]- سورة المائدة، الآية 49-50.

[520]- أركون، محمد. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص121.

[521] : المرجع نفسه، ص 5.

[522]- المرجع نفسه، ص 9.

[523]- المرجع نفسه، ص 5.

[524]- ينظر: نقد النص، حرب،علي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.

التي مرّت بها أوروبا «فالحداثة الغربيّة جاءت نتاج ثقافة غربيّة، والمصطلح النقدي الحداثي إفراز للفلسفة الغربيّة خلال ثلاثمائة عام من تطوّرها... فما بالنا بالنسخة العربيّة التي نقلت النتائج الأخيرة للفكر الغربي دون أن تكون لها مقدّماته المنطقيّة واستخدمت مصطلحا نقديا يجمع بين غرابة النحت وغربة النقل إلى لغة جديدة»[525]بما أنتج نسخة عربيّة مشوّهة، من الناحيّة المفهوميّة ومن الناحيّة الاصطلاحية، كان ضحيّتها الدرس الأدبي نفسه، والدرس اللغوي بالخصوص.

2- الفروق الجوهريّة بين القرآن الكريم والنص البشري، فلا يمكن الموازنة بين كلام الله المعجز مع كلام بشري غير معجز، وبين خطاب حقيقي يقيني مع كلام خيالي ظنّي، وبين كلام ملزم حاكم مع كلام غير ملزم وغير حاكم، فالخطاب القرآني هو خطاب منتج لحكم تعبّدي للمتلقي « من جهة قصده في وضعها للإفهام، ومن جهة قصده في وضعها للتكليف بمقتضاها، ومن جهة قصده في دخول المكلّف تحت حُكمها»[526] فكيف يمكن التسوية بين الخطابين.

3- الفرق بين غاية التفسير في البحث عن مراد الله تعالى، والوصول إلى حقائق القرآن الكريم، و التسليم لأحكامه، وغاية النقد الأدبي هو دراسة نقديّة للنص الأدبي، تميل للانتصار إلى مراد الناقد أو المتلقي أكثر من المؤلّف ومراده في الخطاب، ومراد المؤلف يصبح مسألة ثانويّة في قراءة المتلقي وفهم معانيه.

4- تنوّع واختلاف هذه المناهج، ونقدها لبعضها البعض، يفقدها صفة العلميّة، فهي لم تتوصّل إلى منهج ثابت لدراسة النص الأدبي، فكيف تكون معيارا للخطاب القرآني؟ « والحق أنّ من بين النتائج المهمّة المستخلصة أنّه ليس بمستطاع منهج نقدي واحد أن يستوعب قيم العمل الأدبي كلها»[527] فهي نتاج تاريخي تسلسلي من مجموعة من المناهج التي تعاقبت على نقد بعضها البعض، استغرقت أكثر من قرن في توالدها، دون أن تصل إلى منهج جامع أو ثابت، بعضها كان نسقيا يتمحور حول بنية النص ومتنه وعلاقاته الداخليّة، وبعضها كان سياقيا يتناول عوامل خارج عن النص في إنتاج المعنى، وبعضها تجاوز المؤلف مدّعيا موته، وبعضها اقترح مجموعة من الإجراءات في الممارسة النقدية...

---

[525]- حمّودة، عبد العزيز. المرايا المحدّبة من البنيويّة إلى التفكيك. المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1989، ص 8.

[526]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، ج2، ص 5.

[527]- هويدي. صالح. المناهج النقديّة الحديثة - أسئلة ومقاربات. دار نينوى، دمشق، سورية، ط1، 2015، ص 166.

5- أكثر هذه المناهج الحديثة مبني على محوريّة النص والمتلقّي، وقد لا يهمّه مراد المخاطب، فموت المؤلف هي أحد شعارات النقد الحديث، «وكأنّ النص النقدي أصبح غاية في حدّ ذاته وليس وسيلة لإضاءة النص. . . وكأنّ نفي القصديّة يتسق مع فكر النقد الجديد والنظريّة الموضوعيّة المناديّة بتحليل النص بعيدا عن كل من الشاعر والمتلقي»[528] بينما في التفسير فإن مقاصد الخطاب، ومراد الله عزّ وجلّ، هو محور العمليّة التفسيريّة، بغرض التعبّد.

6- كثرة المصطلحات والاختلاف حولها، وكثرة الاتجاهات والآليات الإجرائية، تجعلها عمليّة هلاميّة، ليس لها ضابط، وليس لها مرجعيّة محدّدة يعود إليها الناقد للاحتكام، ولكن هي عمليّة توليد اصطلاحي مستمر في الساحة النقدية، فتحوّل المصطلح غاية وليس وسيلة للدراسة، وزاد المسألة تعقيدا مسألة الترجمة إلى اللغة العربيّة، واختيارات النقاد العرب.

7- بساطة ومظهريّة كثير من الإجراءات الدراسيّة في التعامل وقراءة النصوص الأدبيّة لا ترقى إلى مستوى الدراسة العميقة التي تتميّز بها المدرسة الإسلاميّة، سواء اللغويّة أو اللسانيّة أو الأصوليّة، لذلك فإن مثل هذه الآليات لا تضيف أشياء جوهريّة في القراءة القرآنيّة، لأنها انتهت إلى كونها متاهة نقديّة لغويّة تهدف إلى البحث عن غايات نفعيّة خارج الغايات القيميّة للغة[529].

8- الإضافات العلميّة أو اللغويّة أو المنهجيّة أو الفلسفيّة التي يمكن أن تكون ذات قيمة معرفيّة فهي لها نظائر في الأصول العلميّة الإسلاميّة، كما لها نظائر في المساهمات اللسانيّة العربيّة والإسلاميّة، التي تناسب الخطاب القرائي أو التفسيري أو المنهجي الإسلامي، أكثر من مصطلحات ومفاهيم لا تزيد الخطاب التفسيري إلا مزيد من الإشكاليات المعرفيّة والمفهوميّة، وهذه في الحقيقة إشكاليّة عامّة، فلكل علم أو فن، مناهجه ومصطلحاته ومفاهيمه، فنقلها إلى مجال علمي آخر سيثير إشكاليات كثيرة، على مستوى المصطلح والمفهوم والإجراء والمنهج والغرض العلمي...

هذه المناهج تثير الاختلافات والإشكاليات من داخل النقد الأدبي ذاته، «إنّ هذا التصور وما يطرحه من تطلّعات يجعلنا نتساءل عمّا نحن بصدده، أهو تحوّل في اتجاهات النقد الأدبي ينقله من جهة إلى أخرى؟ أم هو تحوّل للنقد ذاته من حالة سلفت

---

[528]- حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدّبة من البنيويّة إلى التفكيك، ص 50.

[529]: ينظر: الموسوعة الأدبيّة، الأحمر، فيصل. و دادوة،نبيل. دار المعرفة، الجزائر، الجزائر، ط1، 2008، ج1، ص256.

إلى حالة جديدة تحمل تغييرا في الحيويّة إضافة إلى تغيير الوجهة»[530]ومنه فإنّ مثل هذه الدراسات لا يمكن أن تصنّف ضمن التفسير أو تكون بديلا عنه، ولكن هي محاولات ضمن القراءة الأدبيّة والفكريّة للقرآن والإسلام، ولكن لا يمكن التعويل عليها، أو الإدّعاء بأنّها مناهج علميّة للتفسير القرآني، فهي أبعد ما تكون عن ذلك، لأن أوّل ما تصطدم به مثل هذه المناهج هو خصوصيّة الخطاب القرآني ومقاصده وأوجه إعجازه، كما أنّها تبدو قاصرة مقارنة بالمنهج الإسلامي وأصوله الكليّة وقواعده وفلسفته كما يأتي في المباحث اللاحقة.

_ إشكاليات الحُكم وموضوعه في التفاسير التحليليّة:

التفاسير القديمة أو الحديثة التي اعتمدت على المنهج التحليلي الترتيبي في تفسير سُوَر القرآن الكريم، فرض عليها موضوع الحُكم المقصود في تلك المواضيع المتعلقة لتناول الموضوع وآياته وأحكامه المتعلقة به عند كل آية أو آيات تتناوله، فإذا أخذنا مثلا حُكم الخمر وموضوعه نجد التفاسير تتوقف عند كل آية من الآيات التي تتناول الخمر لإعادة تناول حُكم الخمر وموضوعه، والعودة بالتذكير إلى الآيات ذات العلاقة، سواء السابقة أو اللاحقة، فنجد المفسّر يتناول حُكم الخمر وموضوعه وفق ترتيب الآيات في المصحف، ففي سورة البقرة، في **قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) ﴾**[531]

ويستشهد المفسّر بالآيات حسب ترتيب التحريم، ثم يعود إلى الحُكم نفسه وموضوعه في سورة النساء، في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً (43) ﴾[532]

ثم يعود إلى الموضوع في سورة المائدة...

---

[530]ـ الغذامي، الغذامي، عبد الله. الخطيئة والتكفير من البنيويّة إلى التشريحيّة. الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة، مصرن ط4، 1998، ص 60.

[531]ـ سورة البقرة، الآية 219.

[532]ـ سورة النساء، الآية 43.

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ (91) ﴾[533]

ثمّ في سورة النحل... **في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) ﴾**[534]

وهذا بسبب هيمنة الرؤية الفقهية على التفسير في التشديد على الحُكم الفقهي بعيدا عن سياق الآيات، مما يجعل إشكالية حدود الفقه وحدود التفسير مستمرة، وهكذا بالنسبة لحُكم الطلاق أو غيره من الأحكام، فنجد المفسّر متردّدا بين منهجه التحليلي والمنهج الموضوعي الذي فرض نفسه من حلال موضوع الحُكم الذي تتعلق به آيات أخرى، فأقله يشير المفسّر إلى ذلك عادة.

ـ تداخل التفسير مع تحليل مواضيع علوم أخرى بسبب استطرادات المفسرين الفقهيّة أو اللغويّة أو العلميّة، أحد الإشكاليات التي تواجه التفاسير التحليليّة، ومع ما يُحقّقه من ثراء معرفي، فإنّه يُغرق التفسير ومقاصده في معارف وعلوم وآراء مختلفة تؤثر على مراد الخطاب ومضمونه المقصود، فأصبحت التفاسير التحليليّة هي مجالا لاستعراض مجموعة من العلوم والأفكار والآراء... علما أنّ « التفسير إنما هو شرح وبيان للقرآن الكريم فما كان فيه بيان، فهو تفسير، وما كان خارجا عن حدّ البيان، فإنّه ليس من التفسير، وإن وُجد في كتب المفسّرين»[535] فتنسج غشاء على خطاب القرآن الذي جاء بلسان عربي مبين.

ـ صعوبة الوصول إلى المواضيع بسبب تشتّتها وتفرّقها وطول التفاسير التحليليّة، يجعل القارئ بحاجة إلى عمليّة موضوعيّة للتفسير لإعادة تشكيل الفائدة الشرعيّة أو الحكم العام الذي ينتج عن مجمل الخطاب في الموضوع، ويمكن إعادة تحقيق هذه التفاسير التحليليّة نفسها بمنهج موضوعي لتسهيل الاستفادة منها في إثراء التفسير والفكر الإسلامي الحديث، كما يسهل نقدها أو تقويمها.

---

[533]ـ سورة المائدة، الآيتان 90، 91.

[534]ـ سورة النحل، الآية 67.

[535]ـ الطيّار، مساعد بن سليمان. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر، مرجع سابق، ص 64.

ـ لأسباب تاريخيّة تعود إلى نشأة التفسير، وإلى أسباب منهجيّة في الالتزام الصارم أو النموذجي بمنهج أصولي، مستفيدا من أصول العلوم الدينيّة المختلفة، وبسبب التفسير الفردي الذي عكس شخصية المفسّر، بقي التفسير ضمن توجّه معيّن أثري أو فقهي أو لغوي... وربما يحتاج التفسير إلى عمل مؤسساتي أو جماعي للإحاطة بكل تلك الأبعاد التي يمكن إفادة التفسير والحُكم من خلالها.

إنّ مثل هذه الإشكاليّات تدفع إلى التوجّه نحو أعمال تفسيريّة بمنهج موضوعي، والعودة بالتفسير إلى أصوله العلميّة الحاكمة، بوصفه عمليّة اجتهاديّة استنباطيّة، مرتبطة بمناهج الأصول في العلوم الدينيّة، وفق منهجيّة إجرائيّة تناسب المنهج والرؤية الموضوعيّة، التي هي أكبر من جمع الآيات في الموضوع المشترك لتفسيرها، وإنّما هو عمليّة تفسيريّة متكاملة يكون محورها الموضوع ضمن أبعاد الخطاب القرآني ومستوياته المتنوّعة والعميقة وأوجه الإعجاز فيه، التي تبدأ من القرآن كلّه بوصفه موضوعا للتفسير، والنظر إليه وتدبّره وفق مقاصده الكبرى.

الفصل الثالث

منهج التفسير الموضوعي للأحكام

- المبحث الأوّل: القرآن والوحدة الموضوعيّة
- المبحث الثاني: سياقات التفسير الموضوعي.
- المبحث الثالث: أصول التفسير الموضوعي.

الفصل الثالث: منهج التفسير الموضوعي للأحكام.

المبحث الأوّل: القرآن والوحدة الموضوعية.

1-1: الوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم.

الحديث عن موضوع للقرآن الكريم، يُحيلنا إلى السؤال: هل القرآن هو كلام واحد، أو جسم واحد ليكون له موضوعا عامّا؟ لأنّنا عندما نعتبر القرآن مَتنا واحدا، ذلك كونه كلام الله عزّ وجلّ الذي له مصدر واحد، ويُمثّل رسالة عامّة واحدة، هي رسالة الإسلام، حيث «إذا تأمّلت في القرآن الكريم وجدت منه جسما كاملا تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه، ولمحت فيه روحا عامّا يبعث الحياة والحسّ على تشابك وتساند بين أعضائه، فإذا هو وحدة متماسكة متآلفة... ما جعله كتابا سويّ الخلق حسن السّمت»[536] في تناسق إعجازي لا خلل فيه.

يقول تعالى:﴿قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) ﴾[537]

إنّه نظم فريد وسبيكة واحدة ونسق فريد، وكونه كذلك فهو على مستوى المعنى والدلالة في نسق مُترابط خال من التناقض أو الاختلاف، وهذا النظم القرآني المترابط، ليس فقط بسبب بنيته اللغوية والبيانيّة، ولكن كذلك بسبب نسقه الدلالي المبين، الذي يجمع بين إعجاز اللفظ والبيان، وبين إحكام المعنى والمضمون، وبين تعدّد مواضيعه ومجالاته ووحدة مقاصده وكليّاته، فهو بنيان مرصوص من سوَره وآياته، ومن جُمله وألفاظه، ومن معانيه ودلالاته، ومن أحكامه وأغراضه، ومن أمثاله وقصصه... في نسق من نظم لغوي مبين وحكيم.

فالترابط الدلالي داخل الخطاب القرآني يُحيل إلى مقاصد كبرى لمعاني القرآن الكريم «حتى أن كثيرا منه لا يُفهم معناه حقّ الفهم إلا بتفسير موضع آخر وسورة أخرى، ولأن كل منصوص عليه فيه من أنواع الضروريات مثلا مقيّد بالحاجيات، فإذا كان كذلك فالبعض متوقف على البعض في الفهم، فلا محالة أن ما هو كذلك فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار»[538] لذلك له كليّات ومقاصد عامّة، كما أنّ له غاية كبرى تُشكل وحدة موضوعيّة، ينبني عليها الخطاب القرآني، ويقوم عليها الحُكم الربّاني الحكيم.

---

[536]- الزرقاني. محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج2، ص 248.

[537]- سورة الزمر، الآية 28.

[538]- الشاطبي. الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 272.

والقرآن الكريم مادام « استقرّ الرأي لدى علماء القرآن على أنّ القرآن الكريم يعدّ كلّه نصّا واحدا يعتمد بعضه على بعض ويُحيل بعضه إلى بعض»[539] كما ثبت من إعجازه وبيانه ودراسة آياته وسُوَره حقيقة القول « إنّ القرآن الكريم نقرؤه من أوّله إلى آخره فإذا هو مُحكم السرد دقيق السّبك متين الأسلوب قويّ الاتصال أخذ بعضه برقاب بعض في سُوَره وآياته وجُمله يجري دم الإعجاز فيه كلّه من ألفه إلى يائه كأنّه سبيكة واحدة»[540] تجتمع معانيه وحكمه على كليّات ومقاصد ويهدينا لغرض واحد، يُجيب على سؤال الخلق والوجود، «لأنّ المقصود من إرسال الرسل، وإنزال الكتب نصب الشرائع، والمقصود من نصب الشرائع جمع الخَلق على الحق، والمقصود من جمعهم تعريفهم المَلك وبما يُرضيه، وهو مقصود القرآن»[541] وغاية الوجود وغرضه، وهو المقصود والغرض الذي جاء القرآن لهداية البشر إليه وإلى سبيله، وهو المحور الموضوعي للقرآن الكريم.

وموضوع القرآن الكريم يعود بالجُملة إلى مقصد الخلق ووجوده في هذه الدنيا، والغاية من ذلك معرفة الخالق والإيمان به وعبادته والالتزام بما شرعه:

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) ﴾[542]

ومقصد الرسالة وهو هداية الخلق إلى صراط الله المستقيم بتوحيده والتسليم لحُكمه بما يُخرجهم من الضلال ويُسعدهم في دنياهم وأخراهم، ويُحقق مصالح معاشهم ومعادهم.

يقول تعالى: ﴿إن هذا القرآن يَهدي للتي هي أقوم﴾[543]

جاء القرآن الكريم لهذا المقصد، وخاتما لما قبله من الكتب والرسالات ومُهيمنا عليها، «لأنّ المقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب نصب الشرائع، والمقصود من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق، والمقصود من جمعهم تعريفهم الملك وبما

[539]- رشواني، سامر عبد الرحمن. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. مرجع سابق، ص 61.
[540]- الزرقاني. محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص 53.
[541]- البقاعي، برهان الدين. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق، ص21.
[542]- سورة الذاريّات، الآيتان: 56، 57.
[543]- سورة الإسراء، الآية 09.

يُرضيه وهو مقصود القرآن »[544] فمعرفة الله تعالى تقتضي معرفة سبيله وهديه، وصراطه المستقيم، من قوله وحُكمه.

فالعبد هو المفتقر إلى تلك المعرفة الربانيّة وتلقي رحمته لبلوغ سعادته ونجاته « وذلك أن القرآن الكريم أتى للتعريف بمصالح الدارين جلبا لها، والتعريف بمفاسدها دفعا لها... فالكتاب أتى بها أصولا يُرجع إليها، والسُنّة أتت بها تَعريفا على الكتاب، وبيانا لما فيه منها»[545] ومن أجل ذلك أقام الشريعة للناس، وأنزل الكتاب تبيانا لها، ونذيرا وتذكيرا وهديا لهذا المقصد «والقرآن ليس كتابا فنيّا مقسّما على قضايا معيّنة، ثم تنقطع فيه الرؤية الشاملة، بل هو يعرض الكون وهو يبني العقيدة، وهو يعرض الكون يُربّي الخلق، ويمزج بين الجميع بطريقة مدهشة، فالنظر في الكون والواقع والتاريخ يقود إلى الإيمان، ويؤصّل التوحيد»[546] فكانت أجزاء نظمه وأغراضها يخدم بعضها بعضا، ويعضد بعضها بعضا، لتقود جميعها إلى مقصد معرفة الله الخالق وسبيل مرضاته.

وما ذكره العلماء من المضامين الكبرى للقرآن الكريم ما جاءت إلا لخدمة هذا المقصد، الذي ذكرته عاما الآيات الكريمة:

يقول تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)**﴾[547]

ويقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)﴾[548]

ويقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾[549]

---

[544]- البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق، ص21.

[545]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج4، ص 18.

[546]- الغزالي، محمد. كيف نتعامل مع القرآن، مرجع سابق، ص 41.

[547]- سورة البقرة، الآية 179.

[548]- سورة البقرة، الآية 185.

[549]- سورة النساء، الآية 26-28.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)﴾[550]

تعدّد أساليب التعبير عن أغراض ومحاور القرآن الكريم، جُملة أو تفصيلا، تتوازى في سبيل واحد، «أمّا من جهة الغرض، فلأنّ الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقيّة التي لا تفنى»[551] أمّا من حيث مضامين كليّاته فهي متنوّعة لخدمة هذا الغرض، ومن بين هذه المضامين التي قال بها العلماء فإنّ « المقصود من القرآن كلّه تقرير أمور أربعة: الإلهيات والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر»[552] أو غيرها من المضامين « باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله، وعلى التعبّد، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخرج من هذه الأمور»[553] ويُمكن تقسيم مواضيع القرآن إلى أقسام كبرى حيث« واعلم أن مجموع مادّة القرآن ترجع إلى ثلاثة أقسام:

- العقيدة...
- التذكير...
- الشرائع...

وهذه القسمة أصلها **الحديث الصحيح المتواتر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**[554]»[555] ومحور سورة الإخلاص توحيد الله عزّ وجلّ، والذي ينفي عنه أن يكون لهله شريك أو ولد أو كفؤا، بما يتعلق بالعقيدة، وهي أحد

---

[550]ـ سورة المائدة، الآية 6.

[551]ـ السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج6، ص 2273.

[552]ـ الرازي. محمد فحر الدين. تفسير الفخر الرازي، التفسير الكبير. مرجع سابق، ج1، ص 25.

[553]ـ الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. . تحقيق: الموجود، عادل أحمد عبد، و: معوّض، علي محمد، مكتبة العبيكان، الرياض، السعوديّة، ط1، 1998، ج1، ص 411.

[554]ـ صحيح البخاري، الحديث رقم : 47، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، الحديث رقم: 811.

[555]ـ الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 393.

أقسام موضوع القرآن، وهذه المضامين تخدم بالجملة مقاصد وكليّات الشريعة، وهي مقاصد وكليّات القرآن الكريم.

إنّ مقاصد القرآن الكريم هي مقاصد الشريعة الإسلاميّة، والعلماء استنبطوا تلك المقاصد الكليّة من تتبّع آيات الله في كتابه، فهو مصدرها وأصلها: « فإذا رجعنا إلى رجوع الشريعة إلى كليّاتها المعنوية وجدناها قد تضمّنها القرآن على الكمال، وهي الضروريات والحاجيات والتحسينيات، ومكمّل كل منها»[556] ولذلك فكليّاتها هي كليّات القرآن الكريم، التي تعود إليها أحكامها ومعاني آياتها، وغايات سُوَرها ومواضيع خطاب القرآن لإدراكها ولذلك « لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كلّيّات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها، أن يتّخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مرّ الأيام والليالي نظرا وعملا»[557] فيجد في القرآن ذلك البنيان المُحكم المترابط الذي يدعو إلى الصلاح والإصلاح لما فيه خير الناس في عاجلهم وآجلهم، فيهتدون بهديه لبلوغ الفلاح، وبلوغ مقاصده الكبرى في حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض، فينعمون بعبوديتهم لله ويتحرّرون من كل عبوديّة لسواه، وفي حُكمه مصلحة لهم في الدنيا والآخرة.

2-1: الخصائص الموضوعيّة للأحكام المكية والمدنية.

إنّ وجود مقاصد كبرى للقرآن الكريم، وكليّات المصالح الشرعيّة، واشتماله على محور موضوعي لنظمه بوصفه جسما واحدا، لا يتعارض مع وجود مضامين موضوعيّة لأجزائه وسُوَره، ومحاور دلاليّة عامّة، تخدم في النهاية مقصده العام، وتدور في فلكه الموضوعي، بانسجام واتساق، كاتساق الكون في حركته، فقد يكون هناك محور دلالي لمجموعة من السُوَر مثل السُوَر التي تبدأ بالحروف «كثيرا من هذه السُوَر إذا تأمّلته فهو من أوّله إلى آخره مبني على لزوم حُجيّة القرآن، والتنبيه على وجه معجزاته»[558] فهناك قاسم دلالي مشترك لجزء من القرآن، أو مجموعة من السُوَر.

ومن تلك الخصائص الدلاليّة لموضوعات المكي من جهة والمدني من جهة أخرى، باعتبار أن « المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان خارج مكة، والمدني ما نزل بعد

---

[556]- الشاطبي. أبو إسحاق. الموافقات. المرجع السابق، ص 212.

[557]- المرجع نفسه، ج3، ص 21.

[558]- الباقلاني، أبو بكر. إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص 202.

الهجرة وإن كان بغير المدينة»[559]والمعيار الزمني للتعريف هو الأنسب لموضوع الدراسة، بسبب أنّ الهجرة النبويّة كانت الحدث الفاصل بين مرحلتين للدعوة الإسلاميّة، وكل مرحلة تميّز الخطاب القرآني فيها بمضمون مناسب لمسيرة الدعوة، ورحلة المسلمين في ترسيخ هذا الدّين، بين النصف الأوّل من الدعوة، ونصفها الثاني ولذلك «كل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وكل ما نزل بعدها فهو مدني»[560] والفرق بينهما موضوعي وليس مجرّد معيار زمني «إذ أنّ الفارق بين المكي والمدني موضوعي، لا مكاني [...] وهكذا أكثر القرآن المكي يتعرض لإثبات العقيدة ومحاولة من ينكرونها من عبدة الأوثان، أمّا السُّوَر المدنيّة وآياتها، فإنّها تبيّن الأحكام الفرعيّة، وأحوال أهل الكتاب مع أهل الإيمان، وتنظيم الدولة الإسلاميّة»[561] فهناك تمايز موضوعي، وتناسب دلالي بين مرحلة الدعوة، وهي المرحلة المكيّة، وبين مرحلة ترسيخ الكيان الإسلامي، وهي المرحلة المدنيّة.

المرحلة المكيّة مثّلت مرحلة التبليغ، والتأسيس لبنيان دين الله، في مجتمع جاهلي كانت له عاداته وعقائده، لذلك جاء الخطاب حول القضايا ذات الصبغة العقديّة والإيمانيّة، والتعريف بالخالق الواحد، وتفنيد عقائد الشرك والكفر، واثبات البعث، « وغالب المكي أنّه مقرّر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله:

أحدها: تقرير الوحدانيّة لله الواحد الحقّ...

والثاني: تقرير النبوّة للنبي محمد، وأنّه رسول الله إليهم جميعا. . .

والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة...»[562] وهي المحاور الموضوعيّة للقرآن الكريم في المرحلة المكيّة، « فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمور، ويتبع ذلك الترغيب والترهيب، والأمثال، والقصص، وذكر الجنّة والنار، ووصف يوم القيامة، وأشباه ذلك»[563] فهي مرحلة ترسيخ العقيدة الإسلاميّة، ومخاطبة الفكر والعقل والفطرة في الإنسان لدفعه إلى تشرّب معاني

---

[559]- الشايع، محمد بن عبد الرحمن الشايع. المكي والمدني في القرآن الكريم. مركز تفسير للدراسات القرآنيّة، الرياض، السعودية، ط1، 1997، ص13.

[560]- البقاعي، برهان الدين. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. مرجع سابق، ج1، ص161.

[561]- أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير. مرجع سابق، ج1، ص75.

[562]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 268- 269.

[563]- المرجع نفسه. ج3، ص 269.

العقيدة، والتعرف على الخالق الكريم، وعلى صدق نبوّة خاتم النبيين، والتفكر في ملكوت الله، وإدراك أباطيل العقائد والمفاهيم الجاهليّة وزيف أحكامها.

فتميّز الخطاب المكي بهذه المواضيع، ومن أهمّها:

1- الدعوة إلى توحيد الله عزّ وجلّ وعدم الإشراك به.

2-تأمّل خلق الله والتدبّر في مخلوقاته وفي الآفاق الكونيّة المحيطة.

3- الإيمان بالقرآن وبالرسل والأنبياء وباليوم الآخر.

4- إعجاز القرآن الكريم، وترسيخ أنّه كلام الله عزّ وجلّ.

5- مواجهة وكشف ضلال الجاهليّة والشرك.

6- التعريف بقصص الأنبياء والأمم السابقة للاعتبار وتثبيت المؤمنين.

7- الدعوة إلى فضائل السلوك وآداب الأخلاق والنهي عن الظلم والفواحش.

والمرحلة المدنيّة هي مرحلة لبناء الكيان الإسلامي، بعد أن تشكّلت نواته ممّن آمن بالإسلام، وهاجر به من الطغيان، وناصره وتآخى تحت ظلاله، وعاهد على الوفاء لرسالته، فكان لزاما أن تنتظم تلك النواة البشريّة لدين الله في كيان منظّم يستطيع حمل أعباء نشر الإسلام والدفاع عنه، وقد تشبّعت بروح العقيدة، ويقين الإيمان، وروح وقناعات الدين الإسلامي، فكان في المدينة مستعدا بفضل ذلك لمرحلة جديدة في الدفاع والتبليغ والالتزام بما يقتضيه هذا الدين من تسليم لأحكامه وحياة وفق منهجه، وانفكاك عن عادات وأعراف ومفاهيم كانت سائدة في الجاهليّة، فلم يكن الانتقال إلى المدينة مجرّد انتقال مكاني أو زماني، ولكنه انتقال من مرحلة إلى أخرى، ومن مدرسة تربويّة إلى مدرسة تنفيذيّة، فجاء الخطاب القرآني مناسبا للمرحلة من حيث موضوعاته ومن ذلك:

1- أحكام العبادات وترسيخ قواعد الإسلام.

2- وحدة الأمّة الإسلاميّة وتآخي المسلمين.

3- أحكام التشريعات المنظمة لحياة المسلم في مختلف النواحي.

4- التزام حكم الله العليم، وممارسة الشورى بين المسلمين.

5- كشف ظاهرة النفاق وملابساتها، والتنبيه لخطرها.

6- مجادلة أهل الكتاب وبيان التحريفات التي مسّت الأديان السابقة.

7- وضع تشريعات السلام والعلاقات الدوليّة وقيم الجهاد وبيان أحكامه.

وخُلاصة التمييز بين مضامين القرآن المكي والقرآن المدني « وأقرب عبارة توجز موضوعات المكي والمدني، أنّ موضوعات المكي أغلبها في العقيدة، والمدني غالبها

في الشريعة»[564] وذلك أنّ المرحلة المكيّة هي لغرس عقيدة التوحيد، وغرس الإيمان بالإسلام والإعداد العقدي والنفسي والفكري للمسلم، ليكون جاهزا لاستقبال أحكام الدين، وأعباء الدعوة، ومتطلبات الدفاع عنه، ولذلك كان الخطاب القرآني المدني يحمل صفة التشريع للأحكام، بعد أن اكتملت صفة العقيدة، وقناعات الإيمان في المرحلة الأولى قبل الهجرة، وهذا التمييز ليس ضروريا فقط في فهم منطلقات ومقاصد كل خطاب مرحلة، ولكن كذلك في العمليّة التفسيريّة التي عليها أن تُراعي المجال أو السياق أو النسق أو النظم الدلالي للخطاب المفسّر، سواء كان آية أو آيات أو سورة أو جزء من القرآن، فمعرفة مرحلة نزوله تُعين على فهم مقاصده ضمن هذه الرؤية الدلاليّة، سواء للقرآن الكريم كله، أو للمكي والمدني كما سبق شرحه.

والمحور الموضوعي لكل من المكي والمدني هو جزء من الرؤية الموضوعيّة للتفسير، في معرفة أغراضه وحُكمه وتطوّر مفاهيمه وقيمه وأحكامه، فتُفهم الآيات ضمن مرحلة الدعوة ومقتضياتها، ومرحلة التنزيل ومناسباتها، وسيرة الرسول وأنوارها، بما يمنح للمفسّر المرجع التفسيري والمنطلقات المقاصديّة في التنزيل والتشريع و فهم أحكام القرآن.

1-3: الوحدة الموضوعية للسورة.

السُّورة التي هي وحدة القرآن الكريم، تربط بين آياتها علاقة دلاليّة، ومن معانيها المنزلة « فسُميّت السورة من القرآن بذلك، لأنّها منزلة بعد منزلة فسميّت السورة من القرآن لشرفها ومنزلتها»[565] فالسورة هي وحدة النظم القرآني بعد الآية، وهي كذلك وحدته الدلاليّة، ضمن موضوع القرآن الكلي، وضمن السياق القرآني المكي أو المدني، ولذلك على المفسّر« أن يجعل السورة القرآنية هي وحدته الموضوعية، فينظر إليها نظرة شمول وإحاطة، مهما تعدّدت موضوعاتها، وتباينت مناسبات نزولها»[566] فهي جزء من نظم القرآن المتجانس، وهي بُنية ونظم تملك كذلك هويّتها الدلاليّة فإنّ «النظر الخاص في السورة القرآنية من حيث كلّيّتها ونظمها، لا من حيث الدلالة التفصيلية

[564]- الشايع، محمد بن عبد الرحمن. المكي والمدني في القرآن الكريم. مرجع سابق، ص 53.

[565]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 13.

[566] العمري، أحمد جمال. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني. مرجع سابق، ص70.

لآياتها»[567] يمنحنا نظرة كليّة للمعنى الدلالي الكلّي، قبل المعاني التفصيليّة المتضمّنة فيها.

وسياق السورة هو جزء من آليات التفسير« فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر، فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصاد على بعض الآية على استفادة حُكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها»[568] ولذلك فإنّ سياق السورة هي جزء من العمليّة التفسيريّة، بما يخدم استنباط المعاني وفق منهج علمي موضوعي، يقوم بالعمليّة التفسيريّة ضمن منظور كلي ينسجم مع حكم القرآن في مضمون خطابه.

والتفاسير الحديثة اهتمّت بمقاصد السور ومحاورها الكبرى، محاولة التماس الرابط الموضوعي بين أجزاء السورة وآياتها، بمنهجيّة متدرّجة حيث يتم « مراعاة الوحدة الموضوعيّة للسورة بتحليل مضمونها، ثم تجزئته إلى مقاطع، مما يحصل به تقريب للبعيد، وربط للمعاني»[569]في تناسبها وترابطها، بين آياتها، وبين استهلالها وختامها، وبين ما قبلها وما بعدها...

من أمثلة الدلالات الكبرى للسُوَر، ووحدتها الموضوعيّة:

في سورة الفاتحة، وسورة الفاتحة كانت أكثر السور اهتماما لمواضيعها العامّة بسبب أنّها تُلخّص أغراض القرآن الكريم، ومواضيع خطابه، «هذه سورة الفاتحة تأمّل كيف تترابط وتتناسق في حسن تخلّص من معنى إلى معنى، ومن مقصد إلى مقصد»[570] فهي أمّ الكتاب وفاتحته، ومدخل القرآن وخلاصته.

ففي الفاتحة: « استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة، وباستحقاق العبادة والاستعانة، بالسؤال في المنّ بإلزام صراط الفائزين والإنقاذ من طريق الهالكين مختصا بذلك كله ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم لإفراده بالعبادة وهو مقصود الفاتحة »[571] وهكذا يمكن تلخيص محاور السُوَر ومضامينها الأساسيّة حيث « يُمكن أن يقال أنّ لسورة الفاتحة محورا واحدا هو بيان

[567]- رشواني، سامر عبد الرحمن. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. مرجع سابق، ص 243.

[568]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 267.

[569]- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في علوم القرآن. ص 387.

[570]- الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. ج2، ص249.

[571]- البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق، ص21

طريق العبودية لله وحده، كما يمكن أن يُقال أنّ للفاتحة عدّة محاور هي المحاور التي يدور عليها القرآن الكريم كلّه بسُوَره المكيّة والمدنيّة»[572] فيوجد محور موضوعي، تدور حوله مجموعة من المقاصد والغايات.

ومضمون موضوع الفاتحة مرتبط بما يأتي بعده « فإذا هي وما بعدها ترتبط بالفاتحة ارتباط المفصّل بالمجمل، فالهداية إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، تشرحها سورة البقرة وما وليها من سور القرآن، حيث جاءتنا بتفاصيل هذه الهداية، في بيان كامل، وعرض شامل»[573] فتترابط السوَر في نظم دلالي، ولذلك فإنّ النظر في أي سورة لا يتمّ بمعزل عن تناسبها بما قبلها وما بعدها، لأنّ السور تتناسب وتتناسق في نسق إعجازي واحد.

ـ **سورة البقرة** على طولها فقد اجتهد العلماء في الوصول إلى أغراضها الدلاليّة الكبرى أو العامّة « فسورة البقرة مثلا كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام، بحسب ما بثّ فيها، منها ما هو كالمقدّمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكّد والمتمّم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال»[574]« سورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحُكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم»[575] وهكذا تتوالى السُوَر بمضامين متكاملة.

إنّ سورة النساء تفتتح **بقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (1) ﴾[576]**

وهو استهلال مناسب لموضوع السورة « وسورة النساء هي سورة الإنسانية، ففيها عيّن القرآن الكريم العلاقات الإنسانية التي تربط الناس بعضهم ببعض، وما ينبغي أن تنهجه المجتمعات الفاضلة في جعل العلاقة الإنسانية الأصيلة تسير في مجراها الطبيعي الذي رسمه ربّ العالمين بمقتضى الفطرة، وفيها ما حدّه الله تعالى العلاج

---

[572]ـ مسلم، مصطفى وآخرون. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مرجع سابق، ج10، ص15.

[573]ـ الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج2، ص 249.

[574]ـ الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 267.

[575]ـ السيوطي، جلال الدين، أسرار ترتيب القرآن، مرجع سابق، ص 76.

[576]ـ سورة النساء، الآية 1.

للانحراف الذي ينحرف به ذووا الأهواء من الآحاد والجماعات»[577] بعيدا عن منهج الحق، وسبيل الرشاد الذي يهدي القرآن إليه.

ومن السُوَر التي كان محورها القصص القرآني والتي جاءت لتحمل تلك الأحكام القرآنيّة في الخلق والوجود «**سورة مريم**، مضمونها: تحقيق عبادة الله وحده، وأنّ خواص الخلق هم عباده، فكل كرامة ودرجة رفيعة في هذه الإضافة، وتضمّنت الردّ على المغالين الذين زادوا في النسبة إلى الله حتى نسبوا إليه عيسى بطريق الولادة، والرد على المفرّطين في تحقيق العبادة وما فيها من الكرامة، وجحدوا نعم الله التي أنعم بها على عباده المصطفين... فهذه السورة سورة المواهب، وهي ما وهبه الله لأنبيائه من الذرية الطيّبة، والعمل الصالح، والعلم النافع»[578] وكذلك سورة يوسف وغيرها من القصص القرآني.

يقول تعالى فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) ﴾[579]

ويقول تعالى في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)﴾[580]

و تتوالى مقاصد السُوَر إلى السُوَر القصيرة ومسك ختامها **سورة الإخلاص**« ومقصودها: بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد، للإخلاص في التوحيد، بإثبات الكمال، ونفي شوائب النقص والاختلال، المثمر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات الاعتقاد في جميع الأحوال، وعلى ذلك دلّ اسمها الإخلاص»[581] فيكون في السُوَر القصيرة المعنى الإجمالي أكثر وضوحا، بينما يحتاج إلى تدبّر وتأمّل في السُوَر الطوال.

وهكذا فإن وجود محور دلالي في السُوَر يتصل بالهداية إلى الطريق المستقيم، وهو الطريق إلى معرفة الله تعالى وعبادته، ثم هناك مقاصد كليّة للقرآن الكريم والشريعة الإسلاميّة، ثم هناك دلالات أو علامات دلاليّة عامّة للقرآن الكريم، وللسوَر كذلك

[577]- أبو زهرة، محمد. زهرة التفاسير. مرجع سابق، ص1563.

[578]- ابن تيميّة. دقائق التفسير. مرجع سابق، ج3، ص338.

[579]- سورة يوسف، الآية 7.

[580]- سورة يوسف، الآية 111.

[581]- البقاعي، إبراهيم بن عمر. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. مرجع سابق، ج3، ص280.

علاماتها الدلالية، ومحاور معانيها، وكلّ هذا في نظم كلام الله عزّ وجلّ، في نظم ونسق بلاغي مبين، لا خلل فيه ولا اختلاف، محكم البنيان، حكيم المعنى، هذه النظرة الكليّة للقرآن الكريم، ولسُوَره المباركة، تأتي ضمنها وخلالها مواضيع القرآن، التي تحتاج إلى منهج موضوعي في التعامل وتفسير القرآن الكريم « فيُتتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم ويستخرج الآيات التي تناولت الموضوع من خلال الآيات الكريمة، فينسق بين عناصره»[582] وهكذا يُمايز بين موضوع وآخر، ويربط بين مضامينها، ليستنبط معانيها وأحكامها بطريقة علميّة منهجية.

فالنظر إلى موضوع الآية أو جُملة من الآيات ضمن سياقها الموضوعي جزء من موضوع السورة والمقاربة الموضوعيّة، وهناك آيات جامعة لموضوع معيّن وهي كذلك محدّدات موضوعيّة في القرآن الكريم، فهي معالم قرآنيّة لمقاصد عامّة تكمل النظر الموضوعي للقرآن الكريم، وهي علامات للطريق المستقيم في حياة الإنسان وفهم أحكامه، مثل:

قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) ﴾[583]

أو قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) ﴾[584]

إنّ النظر الموضوعي لا يبدأ فقط من خلال جمع الآيات المناسبة للموضوع، وإنّما هو منهج متكامل يبدأ من منظور موضوعي في القرآن الكريم، ثمّ لمكيّه أو مدنيّه، ثم لسُوَره قبل الآيات المباشرة في الموضوع، واستعمال آليات مساعدة ووسيطة لتفسير علمي ومنهجي، وفق أصول وقواعد منهجيّته.

المبحث الثاني: سياقات منهج التفسير الموضوعي للأحكام.

إنّ التفسير ليس مجرّد عمليّة آليّة لشرح نص مكتوب، وإنّما هو عمليّة علميّة واجتهاديّة، تحتاج إلى معارف متعدّدة ومتداخلة، وتتمّ ضمن سياقات دلاليّة، وفق أصول وقواعد نقليّة ولسانيّة وعقليّة، خصوصا أنّ موضوع التفسير ليس مجرّد نص

[582] مسلم، مصطفى. مباحث في التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص27.

[583]- سورة النحل، الآية: 90.

[584]- سورة النحل، الآية 97.

لغويّ أو أدبي بشري، وإنّما هو كلام إلهي معجز ومبين ومتعبّد بتفسيره وحاكم، لأنّ الاستنباط الدلالي منه ينتج عنه أحكام وقيم تترتّب عليها علاقة تعبّديّة بين المتلقّي والمخاطب، وعليه«فإن علم العربية، أو علم الناسخ والمنسوخ، وعلم الأسباب، وعلم المكي والمدني، وعلم القراءات، وعلم أصول الفقه، معلوم عند جميع العلماء أنها مُعينة على فهم القرآن»[585] الفهم العميق والذي يبذل الجهد الأقصى في فهم مراده، و استيعاب مقاصده.

وهذه السياقات التي نحتاجها في عمليّة التفسير تقتضيها طبيعة وخصائص الخطاب، بوصف الخطاب المعجز والمبين، يفسّر بعضه بعضا، وبوصف بيانه ممّن حمل أمانة تبليغه وبيانه، وبوصف لغته ولسانه العربي، فلا يمكن فهمه إلا وفق هدا اللسان، ووفق أصول استنباطية تتطلبها دلاليّة الخطاب، ووفق ارتباطاته بسياقه التنزيلي والدعوي من سيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ليس فقط بسبب ارتباطه التاريخي بتلك الظروف والمراحل والأحداث، ولكن بوصفها نماذج حياتيّة للحياة البشريّة والإنسانيّة، ومن بين هذه السياقات المساعدة على فهم القرآن ومن ثمّ تفسيره:

2-1: سياق تنزيل الحُكم (التفسير وأسباب النزول).

سبب أو مناسبة النزول « هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدّثة عنه أو مبيّنة لحُكمه أيّام وقوعه، والمعنى أنّه حادثة وقعت في زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم، أو سؤال وجّه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتّصل بتلك الحادثة»[586] ولذلك فإنّ الحادثة أو الواقعة التي ارتبطت بنزول تلك الآيات تُساعد على فهم دلالات تلك الآيات، وتُمهّد دلاليا لمقصد الآيات، فتكون تلك الحادثة أو المناسبة نموذجا تجري عليه فيما بعد المناسبات المماثلة والمدى الدلالي لمعنى الآيات« قد جرت عادة المفسّرين أن يبدؤوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث في أنّه أيها أولى: البداءة به لتقدّم السبب على المسبّب، أو المناسبة، لأنّها المُصحّحة لنظم الكلام، وهي سابقة على النزول»[587] وفي الحقيقة هذه السياقات هي مصاحبة لعمليّة الفهم والتفسير.

فهي جزء من سياق المناسبة، لأن المناسبة هي أشمل من سبب النزول، ذلك أنّ «ليس شأن النزول كما قيل تسامحا، سببا لنزول آية أو سورة بل هو شأن الناس

---

[585]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص237.

[586]- الزرقاني. محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج1، ص 89.

[587]- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. مرجع سابق، ج2، 2316.

وأمرهم الذي كان محلا للكلام»[588] ولذلك فإنّ فهم سياق التنزيل يتجاوز السبب المباشر أو المناسب إلى التأمّل وتدبّر في سياقه التاريخي والاجتماعي، والنظر في سياق الدعوة والسيرة النبويّة، فذلك المناخ الإنساني الذي نزلت فيه الآيات هو الذي يُمثّل سياق التنزيل، فهو حالة حياتيّة (اجتماعيّة وإنسانيّة ودعويّة. . .) تمثل نموذجا للحياة البشريّة، يأتي الوحي في سياقها، يتطلب منّا فهم خطابه ومقاصده من خلال الربط بسياق الحياة البشريّة والدينيّة للإسلام وهديه.

و سياق التنزيل الواقعي لا يجب أن يغيب عن ذهن المفسّر، « ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمّات في فهم الكتاب بلا بُدّ، ومعنى معرفة السبب مُقتضى الحال»[589] لذلك « من الظلم الفادح للقرآن الكريم أن يحاول أحد تفسيره وهو ذاهل عن الجوّ الذي اكتنف نزول الآيات، فإنّ تاريخ النزول وسببه جزءان لا يمكن تجاهلهما في تكوين المعنى وإيضاح القصد، بل لا يمكن تجاهلهما في تربية الناس بالقرآن وأخذهم بآدابه»[590] والقرآن جاء للحياة البشريّة الواقعيّة، التي تصنعها مثل تلك الوقائع والأحداث، التي نزلت بأسبابها أو بمناسباتها الآيات، بمظاهرها المختلفة، في الحياة الدينيّة، والمعاملات البشرية المختلفة، كالزواج والطلاق والميراث... « فإنّ آيات القرآن وثيقة الارتباط بالظروف التي جاءت فيها، وفقه هذه الظروف جزء من فقه الهدايات السماوية التي تعلّقت بها وتعرّضت لها»[591] وهذا ليس للتوقف عندها، ولكن لفهم سياق التنزيل لفهم الدلالة والوصول إلى الحكم المناسب:

ومثال ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)** ﴾[592].

فالآية تحكي عن ثلاثة أشخاص وعن حالهم، فالمفسّر المنقطع عن سبب النزول، قد يضيق به هامش التفسير، لارتباطه بحادثة معيّنة في السيرة، ومثل هذه الآيات شديدة الارتباط بالحدث وتعلّقها به كثيرة في القرآن الكريم «فإنّك ترى أن الآية تحكي عن أشخاص ثلاثة تخلّفوا عن الجهاد حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت، لا شك أن

---

[588]- الفراهي، عبد الحميد. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، مرجع سابق، ج1، ص 25.

[589]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج3، 215.

[590]- الغزالي، محمد. نظرات في القرآن، مرجع سابق، ص15.

[591]- المرجع نفسه، ص 15.

[592]- سورة التوبة، الآية 118.

الإنسان عند ذلك يُسائل نفسه، من هم هؤلاء الثلاثة؟ ولماذا تخلّفوا؟ ولأيّ سبب ضاقت الأرض والأنفس عليهم؟»[593] وهذه الأسئلة المعلّقة بمعرفة سبب التنزيل، وسياقه العام، الذي يفتح لنا دلالة ومعنى الآية، المرتبطة بهؤلاء الثلاثة وقصّتهم، وسبب اختصاصهم دون غيرهم، ممّن أشارت لهم السُورَة، وهي تتكلم عن ظاهرة النفاق والمنافقين ومكائدهم ضد الدعوة الإسلاميّة، بما فيه خذلانهم عن نصرة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

إنّ هؤلاء الثلاثة المذكورين في الآية بعددهم « والتعريف في الثلاثة، تعريف العهد فإنّهم كانوا معروفين بين الناس، وهم كعب بن مالك من بني سلمة، ومُرارة بن الربيع العمري من بني عمرو بن عوف، وهلال بن أميّة الواقفي من بني واقف، كلّهم من الأنصار وتخلّفوا عن غزوة تبوك بدون عذر، ولمّا رجع النبي صلّى الله عليه وسلّم من غزوة تبوك سألهم عن تخلّفهم فلم يكذبوا بالعذر، ولكنّهم اعترفوا بذنبهم وحزنوا، ونهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الناس عن كلامهم، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، ثم عفا الله عنهم بعد خمسين ليلة»[594] وتاب عليهم، بخلاف أولئك المنافقين الذين كانوا يكذبون عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويكيدون بقصد خذلان الدعوة الإسلاميّة، وإشاعة التفرقة بين المسلمين، والذين جاءت الإشارة إليهم في سياق السورة.

حيث المناسبة هي في سياق حياة الدعوة الإسلاميّة في بيئة اجتماعيّة تختلف في ولائها وحقيقة إيمانها، ليأتي ذكرها في سياق سورة التوبة « وسميّت سورة التوبة بهذه التسميّة لأنّ فيها التوبة على المؤمنين عامّة لمختلف طبقاتهم، والتوبة على الثلاثة الذين تخلفوا عن معركة تبوك خاصّة، وتعتبر أكثر سُوَر القرآن إيرادا لكلمة التوبة واشتقاقاتها، إذ تكرّرت في السورة سبع عشرة مرّة»[595] وتوظيف المناسبة في التفسير هو جزء من المقاربة الموضوعيّة لفهم مقصد السورة والآيات، من خلال رصد ظاهرة النفاق، وظاهرة التردّد الإنساني في لحظات حاسمة.

وكذلك مثل قوله تعالى: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ (122)**﴾[596].

---

[593] الخطيب، أحمد سعد. مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص330.

[594]- ابن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتوير. مرجع سابق، ج11، ص 51، 52.

[595]- مسلم، مصطفى وآخرون. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. مرجع سابق، ج3، ص190

[596]- سورة آل عمران، الآية 122.

فلا يُمكن معرفة المقصود من الطائفتين في الآية، وأيّ طائفتين مقصودتين؟ ومعنى الفشل الوارد ودلالاته العميقة، ومقصد الآية الكبير، إلا بمساعدة سياق التنزيل، وهو على خلفيّة النزاع بين الأوس والخزرج[597] ويُحيلنا هذا السبب إلى خطورة النزاع الداخلي الذي استخدم فيه كلمة الفشل وهو عاقبته، فسبب النزول فتح لنا المعنى الحقيقي، ولم يرتفع الغموض في أذهاننا إلا به.

والآية تصف حالة التردّد والخوف التي انتابت طائفة من بني سلمة وطائفة من بني حارث من الأنصار، في غزوة أُحُد...

كما جاء في الحديث « **وعن جابر بن عبد الله قال: نحن الطائفتان، بنو حارثة وبنو سلمة وفينا نزلت ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا ﴾ وما سرّني أنها لم تنزل والله يقول ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾**»[598] ومعرفة سياق التنزيل يمنحنا فهما أعمق للآية، ويُعين المفسّر على الوصول إلى مقصدها الدلالي « هذا مختصر من القصّة يتركب عليه تفسير الآية»[599] بمعرفة الطائفتين وأنهما من المسلمين، والواقعة المعنيّة، وسياقها من السيرة ومسار الدعوة، وملابساتها « فأشار إلى ما كان من تردّد وهمّ بالانسحاب، وشعور بالجُبن من قبل طائفتين من المؤمنين. . . فعصمهم الله مما همّوا به من ذلك، ومضوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لوجهه الذي مضى له»[600] فكان الله عزّ وجلّ وليّهما وناصرهما.

إنّ الاستعانة بأسباب النزول وسياقها، في فهم معنى خطاب القرآن، والسعي للوصول إلى مراد الله والكشف عن مقاصد الخطاب، ضروري لتوسيع المعنى بعد **ذلك** إلى المعاني العامّة والمقاصد الكبرى للخطاب حيث « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها»[601] خصوصا الآيات التي تحمل دلالات من واقع

---

[597]- ينظر: أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، الرشيد، عماد الدين محمد، دار الشهاب، دمشق، سوريا، 1999، ص23.

[598]- البخاري، كتاب التفسير، رقم 4554، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم 2505.

[599]- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص 501.

[600]- مسلم،مصطفى وآخرون. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مرجع سابق، ج1، ص509.

[601]- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد. أسباب النزول. تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 10.

النزول، أو تحمل مبهمات لا يفسّرها إلا معرفة ذلك الواقع الذي يمثّل سياق التنزيل «وما تتميّز به الآيات النازلة على سبب هو فيما تُحدثه معرفة أسباب نزولها من تأثير في فهم معانيها وبيان المراد منها»[602] ولكن هناك بعدين لابد من الإشارة إليهما:

الأوّل: يجب توسيع مفهوم سبب النزول ليكون ضمن سياق التنزيل التاريخي والاجتماعي، حتى في حالة عدم وجود سبب النزول المباشر، فإنّ السياق العام، والحياة الواقعيّة، ومرحلة الدعوة الإسلاميّة، وغيرها تمثّل سياقا للتنزيل مثل:

- مسار الحياة الجاهليّة وحالة تكوّن المجتمع الإسلامي، وهي حالة التغيير أو حالة ميلاد دينيّة ومدنيّة جديدة.

- مسار السيرة النبوية ومرحلة الدعوة الإسلاميّة ومراحلها بين مرحلة الدعوة ومرحلة بناء الأمّة.

- مسار الوحي ومقاصده، بين المرحلة المكيّة والمرحلة المدنيّة، وما تستوجباه من خصائص ومقاصد لكل مرحلة.

حيث كل هذه المسارات إلى جانب الحادثة أو الواقعة المباشرة وطبيعتها، تمثّل حالة سياق للتنزيل، وتُعبّر عن سياق التنزيل، الذي يُراعى في عمليّة التفسير، «ولا يُغفل سبب النزول ملابساتها الواقعة وما ترتبط به من بيئة وزمان ممّا يُسهل إدراك الحكمة التي جاء النص ليُراعيها»[603] في بناء معاني ودلالات الخطاب القرآني التي تُساهم في تحقيق مقاصد الوحي، فلا تُهمل الحادثة أو الواقعة، وهي سبب النزول المباشر، أو المناسبة، من جهة، ومن جهة أخرى لا يجب التوقف عند سبب النزول المباشر، وتضييق المعنى فيه، أو حصر الدلالة ضمنه، وإنّما جعله نموذجا لواقع التنزيل، في إطاره المناسباتي العام، ممّا ذكرناه من مسارات، السيرة والدّعوة والمجتمع لينطلق إلى كشف حقائق التنزيل ومقاصد الخطاب، والارتقاء في وعيه وفهمه لحقائق التنزيل.

ففي المثالين السابقين (الثلاثة/ الطائفتان) يجب الوصول إلى المعنى الموضوعي العام في أهمية النصرة وترك الخذلان عندما يكون الدّين والأمّة في خطر يتهدّدها، ويسعى أعداؤها للكيد في تفرقتها ونشر الهوان بين صفوفها، مما يستوجب على المسلم واجب الانتصار لدينه وأمّته، أي أنّ المعنى يتجاوز ويتوسّع أكثر من نموذج الواقع

---

[602]ـ الرشيد، عماد الدين محمد ، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص. مرجع سابق، ص28.

[603]ـ المرجع نفسه ، ص42.

التنزيلي، الذي يمنحه المنطلق المفهومي لتفسير الآية، لكي يصل إلى المعنى العام، ومقصد الخطاب في وضع الأساس القيمي في هذه الأمّة وهو الوحدة والانتصار، الذي يبقى أساسا قيميا في مختلف الأزمنة والأمكنة، في خدمة حفظ الدّين وحفظ النفس، وغيرها من مقاصد الشريعة، التي تزكّيها أدلّتها وأوّلها القرآن الكريم.

الثاني: ضمن سياق التنزيل يأتي سياق تطوّر الحُكم وفق مقتضيات سياق التنزيل، بما اصطلح عليه بمصطلح النسخ، والذي يحمل مفهوم « رفع الحُكم الشرعي بدليل شرعي متأخّر مثل تحريم الخمر بعد مراحل النهي عنه في الصلاة[604]، وهو كذلك يحتاج إلى رؤية موضوعيّة ضمن فهم سياق التنزيل، ومناسبة الحُكم وتطوّره حسب مقتضى الحال، بما يُحقّق الخيريّة والمصلحة، من تخفيف أو رفع حرج أو ترخيص... أو غيره، وليس فقط مجرّد انتقال من حُكم شرعي إلى حُكم شرعي آخر، لأنّ التوسّع في القول بالنسخ والقول أنّه مجرّد رفع حُكم شرعي لحُكم آخر قد يُفوّت حكم ومقاصد الخطاب، ومقاصد المنهج الدعوي والتربوي للقرآن الكريم في تربيّة المجتمع الإسلامي وتحقيق مصالحه و الحفاظ على مقاصد الأحكام وإقامة الشرائع.

والقول أنّ مئة وعشرون آية من آيات الدعوة نسختها آية السيف هو محل استدراك[605] لمثل هذا الفهم في النسخ، والقفز على منهجه وسياق التنزيل فيه « فأصبح النسخ أو الانتقال من حُكم بديل مماثل أو أشد أو أخفّ مظهرا أو صورة من صور التدرج في الإصلاح يتجاوب مع الامتثال البطيء لقبول منهاج الوحي السماوي في تنظيم شؤون الحياة»[606] فيظهر أن مراحل الحُكم القرآني خلال مراحل التنزيل، بين المكي والمدني، وتناسبه مع مسار الدعوة والسيرة، ومع حالة المجتمع الإسلامي والإنساني، يزوّدنا هذا النهج في وضع الأحكام وفهمها فهما جديدا يتجاوز الوقوف عند الحُكم النهائي بوصفه ناسخا وملغيا للأحكام السابقة، ولكن في منحنا منهجا تربويا وتشريعيّا في مواجهة الظواهر والآفات الاجتماعيّة وغيرها في حركة التغيير والإصلاح.

ومنهج التدرّج والإصلاح لتحقيق مقاصد الأحكام « من تدرج تشريع بعض الأحكام، ليجعلها الله أخف على النفس مما لو نزلت دفعة واحدة، وبالتالي تكون أدعى إلى القبول

---

[604]- ينظر: الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ج2، 933.

[605]- ينظر: كيف نتعامل مع القرآن، الغزالي، محمد. مرجع سابق، ص 84.

[606]- الزحيلي، محمد. أصول الفقه الإسلامي. مرجع سابق، ج2، ص 939.

والامتثال، ورحمة بالعباد ورأفة بهم»[607] لأنّ الحُكم في القرآن الكريم جاء لمقصد شرعي كلي «إنّ الأحكام الفقهيّة إنّما جاءت جوابا أو علاجا لمشكلات وحالات كان عليها الناس قبل أن يتهيئوا للانتقال إلى المرحلة التاليّة... لاستقبال الأحكام الجديدة، فالأحكام لم تنزل دفعة واحدة، ولكنّها نزلت خلال فترة بناء المجتمع الإسلامي.

فهل بالإمكان أن تُعمل هذه الآيات وتلك الحلول لمواجهة الحالات المماثلة، على الرغم من استقرار الحُكم النهائي؟»[608] وأخذ تدرّج الحُكم بوصفه منهجا إصلاحيا يمكن الإقتداء به كجزء من الإقتداء بالهدي القرآني، «فهل يُمكن لنا أن نستخدم الحُكم المرحلي، تربويا ودعويا مع استصحابنا وإيماننا بضرورة الوصول إلى الحُكم النهائي في نهاية المطاف»[609] ونفهم أحكام القرآن ضمن هذا النظم التشريعي في التربيّة والإصلاح، وبناء المجتمعات ومواجهة إشكالاتها وأوضاعها وحاجياتها، وفهم مقاصد ذلك من رفع الحرج والتخفيف واليسر وترويض النفس على تحمّل ما لم تألفه من مصالحها الدنيويّة والدينيّة، وتحقيق مصالحها عند الالتزام بالأحكام على الوجه المقصود من شرعها.

فهذا التدرّج في إطار مسار النسخ هو منهج تشريعي « ومن خصائص التشريع الإسلامي ومزاياه الطيبة أنّه لم يُوجب على المسلمين الشرائع دفعة واحدة، ولكن تدرّج بهم، وهذا هو مبدأ التدرج في التشريع، وقد جاء تحريم الخمر والربا على هذا النحو»[610] فالحُكم في القرآن الكريم عندما يأتي ضمن سياقه التنزيلي المتدرّج إلى صورته النهائيّة، فإنّنا خارج مفهوم النسخ، يهدينا إلى منهج تشريعي في بناء الأحكام وتأليف القلوب لها، وترويض الأنفس عليها، وترغيب الأخذ بها، وتربيّة النشء عليها، والتغلب على تداعيات التغيير والإصلاح الاجتماعي والتشريعي.

2-2: السياق اللغوي واللساني للحُكم:

إنّ القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، يتطلب لفهم خطابه، ومعرفة مقاصد معانيه، معرفة لسان لغته، وعُرف أصحابها في السماع والاستعمال، ممّا درجت عليهم أساليبهم في الكلام، في زمن التنزيل، واعتبار هذا السياق في المعنى والتفسير بسبب

[607]- العبيد،علي بن سليمان. تفاسير الأحكام. مرجع سابق، ج1، ص72.
[608]- الغزالي، محمد.كيف نتعامل مع القرآن، مرجع سابق، ص 97.
[609]- المرجع نفسه. ص 97.
[610]- الزخيلي، وهبة. التفسير المنير. مرجع سابق، ج2، ص 651.

أنّ «الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي»[611] فلم يخاطب الله تعالى من نزل القرآن بينهم إلا بلسانهم، بما يفهمون لغته، ويتأثّرون بنظمه، وقد مرّ ذلك في المدخل «لأن القرآن نزل بلغة العرب، فما كان الرجوع فيه إلا إلى لغتهم، فلابد من معرفتها أو معرفة أكثرها، إذ الغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق الفهم ليفتح بابه»[612] ولذلك فإنّ المعرفة اللسانيّة واللغويّة العربيّة هي أحد السياقات المعرفيّة التي تؤثّر في عمليّة التفسير، ويستعين بها المفسّر في فهم الخطاب، والوصول إلى دلالاته، ممّا أحاطت به الأفهام وهذا الفهم الأساسي المبني على تلقي الخطاب بلغته العربيّة المبينة والمعروفة عند أهلها والمكتسبين لها، هو الفهم الذي تنبني عليه العمليّة التفسيريّة.

فإنّ أيّ فهم تفسيري للقرآن الكريم، حتى ولو تجاوز المعنى اللغوي إلى حقيقته الشرعيّة أو حقيقته الدلاليّة القصديّة فإنّها تنبني أو تحتفظ بمنطلقها اللغوي، مثل الصّلاة، فهي حتى وإن كان لها معناها الشرعي المستقل أو الخاص، فإنها لا تفقد معناها اللغوي وهو الدعاء، بما يُعمّق معناها الشرعي ولا يعارضه «فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطى منه صهوته إلا من كان متبحّرا في علم اللسان، مُترقيا منه إلى رتبة الإحسان»[613] حتى يستطيع الارتقاء والربط بين المعاني والدلالات، وفهم مقاصد اللسان ونظم الخطاب. « فالحاصل أنه لا غنى للمجتهد في الشريعة عن بلوغ درجة الاجتهاد في كلام العرب، بحيث يصير فهم خطابها له وصفا غير متكلف ولا متوقف فيه في الغالب إلا بمقدار توقف الفطن لكلام اللبيب»[614] فتتّسع مدارك المفسّر، ويتعمّق فهمه، بذلك التدبّر في كلام الله تعالى، بين بيان خطابه المُعجز، ومُراد شرعه الحكيم.

ومن ذلك الجمع بين المعاني والدلالات اللغويّة، ومن أوجه ذلك الجمع في توجيه القراءات «وقد تكون القراءات مما يدل على كمال البلاغة وتمامها ضمن ذلك على سبيل المثال قراءة...

---

[611]- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 2287.

[612]- الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن. مرجع سابق، ص 155.

[613]- أبو حيّان الأندلسي. تفسير البحر المحيط. مرجع سابق، ج1، ص 109.

[614]- الشاطبي. الموافقات. مرجع سابق، ج4، ص 69.

قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)﴾[615] وقراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) ﴾

فقد جمع له بالقراءتين الحُكم والملك ذلك أنّ (مالك) من التملك و(الملك) هو الحاكم الأعلى، فجمع لنفسه تعالى كمال الأمرين ولا يمكن أن يكون ذلك بقراءة واحدة»[616] فيتم توظيف كل الأساليب البيانيّة واللغويّة في استنباط المعاني والأحكام بما فيها أوجه القراءات الصحيحة.

والأمثلة على أهميّة السياق اللساني واللغوي والبياني في التفسير كثيرة ومتنوّعة وأحيانا يكون المستند الوحيد للمعنى «وبضرب المثال تتضح هذه المسألة فعند: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (3)**﴾[617]،

لم يقع خلاف في أن تفسير شانئك: مبغضك، ذلك أنه لا يوجد لمعنى الشانئ في لغة العرب غير هذا المعنى... لذا لا يُمكن أن يحتمل التفسير قولا آخر فالتفسير اللغوي في مثل هذه المسألة، أشبه بأن يكون تفسيرا عقليا»[618] لا اختلاف فيه بسبب انحصار المعنى اللغوي ودلالته.

و التنوّع في المعنى اللغوي أو البياني يكون أحيانا سببا في تنوّع الحكم « ومن أشهر الأمثلة التي يمكن أن يمثّل بها اختلافهم في لفظ القرء، في قوله تعالى:

﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)**﴾[619]

فقد ورد في معنى القرء قولان كلاهما معتمد في اللغة: الحيض، الطهر»[620] فانسحب ذلك على الحُكم المستنبط.

وهكذا يقع الاختلاف في أصل واحد، بسبب محتملات المعاني الواردة على النص القرآني. «وإذا كان يحتمل أكثر من معنى فإن حمله على أحد هذه المحتملات يعتمد

---

[615]- سورة الفاتحة، الآية 3.

[616]- السمرائي، فاضل صالح. على طريق التفسير البياني. مرجع سابق، ص 09

[617]- سورة الكوثر، الآية 3.

[618]- الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. التفسير اللغوي للقرآن، مرجع سابق، ص 63.

[619]- سورة البقرة، الآية 228.

[620]- الطيار،مساعد بن سليمان بن ناصر. التفسير اللغوي للقرآن. مرجع سابق، ص 66.

على الرأي والاجتهاد، وبذا يكون داخلا في الاستدلال»[621] فتكون المعاني اللغويّة موجّهات اجتهاديّة تحتاج إلى قرائن أخرى لتحديد المعنى.

فالخطاب القرآني نزل بلسان عربي كما وصفه القرآن الكريم ذاته، ولذلك فمن البديهي أن يكون السياق اللغوي هو أحد مُعينات وأدوات الفهم، فمعرفة لغة الخطاب هي جزء من العمليّة التفسيريّة حتى في الخطاب العادي، فما بالك بالخطاب الموحى المعجز، الذي يتّسم نظمه بالإحكام وبلاغة الخطاب «النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه: الوجه الأول: علم اللغة اسما وفعلا وحرفا. . . »[622] وتكون هذه المعرفة معرفة لمستويات لغويّة تبدأ من اللفظ ثم تتوسّع للأسلوب بأوجهه المختلفة «يتوقف على معرفة الدلالات الوضعيّة، مفردة ومركبة، والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان، وحين كان الكلام ملكة لأهله لم تكن هذه علوما ولا قوانين»[623] ولكن أصبحت كذلك، فأصبح اكتسابها طريقا لذلك، ومعرفتها وسيلة له.

المعنى اللغوي ضمن اللسان العربي، وسياقه الدلالي زمن التنزيل هو منطلق المعنى، ليتوسّع إلى غيرها «الذي يجب على المفسّر البداءة به العلوم اللفظية، وأوّل ما يجب البداءة به منها تحقيق المفردات المفردة، فتحصل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعارف، لمن يُريد أن يُدرك معانيه»[624] ومن ذلك كليّة الخطاب « فلا يصحّ الاقتصار على بعض أجزاء الكلام دون بعض»[625] ومن ذلك أصل الاستعمال اللغوي عند العرب، « ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أصولها حالة التنزيل... أي دلالات اللسان العربي زمن نزول القرآن، وليس بحسب تحوّلاتها الدلالية واللسانية.

قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى**﴾[626]

فعُيّن هذا الكوكب لكون العرب عبدته، وهم خزاعة، ولم تعبد العرب من الكواكب غيرها، فلذلك عُنيت»[627] وهذا يقتضي معرفة الحقل اللساني العربي. « فإنّ ذلك من

---

[621]- الطيار،مساعد بن سليمان بن ناصر. التفسير اللغوي للقرآن. مرجع سابق، ص 63.

[622]- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ص 109.

[623]- ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. مرجع سابق، ص425.

[624]- الزركشي، محمد بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 173.

[625]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 267.

[626]- سورة النجم، الآية 40.

[627]- الشاطبي. أبو إسحاق، الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 219.

ألزم الأمور للمفسّر عموما، وللمفسّر البياني على الخصوص، فبالسياق تتضح كثير من الأمور، ويتضح سبب اختيار لفظة على أخرى، وتعبير على آخر، ويتضح سبب التقديم والتأخير والذكر والحذف، ومعاني الألفاظ المشتركة...»[628] وغيرها من أساليب البيان والبلاغة.

إنّ السياق اللغوي واللساني العربي، خصوصا عند افتقاد القرينة النقليّة للمعنى، يصبح ذا أهميّة في بلورة المعنى، ومن آليات العمليّة التفسيريّة حيث « السياق مرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكلّ ذلك بعُرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمّا»[629] وهذا الاستعمال اللغوي أحد أساليب الدلالة في أصول الفقه، لاستنباط المعنى واستنباط أمارة الحُكم الشرعي، ليس فقط لتلقي خطاب الله بوصفه متعبّدا بتلاوته، وإنما لاستنباط أحكامه، وبناء ما يستلزم منه من وضع أو تخيير أو أمارة أو علامة على حُكم، وهذا أجلّ ما تمنحه معرفة اللسان العربي في تفاعلها مع علوم الشريعة، فكان علم اللغة العربية ومازال صنو لعلوم الشريعة ومعرفة تفسير القرآن.

لأن «الاستدلال بالشريعة على الأحكام إنما هو من جهة كونها بلسان العرب لا من جهة كونها كلاما فقط»[630] وعليه كان التفسير باللغة أوّل التفسير وأصله، بعد التفسير بالوحي أو الأثر، الذي لعبت فيه اللغة أساسا لفهم الصحابة واجتهادهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، وهذا دليل أن اللغة كان في صلب فهم المعاني بعد التفسير الثابت المنصوص عليه، فهي مصدر الفهم، ومنبع التفسير، ولا يخرج التأويل عمّا تحتمله من المعاني، وتستسيغه الاحتمالات الدلاليّة يقول الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير بقوله: « إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم... وهي متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتّبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم. »[631]ومن خلال هذا التفاعل المعرفي بين علوم الشريعة

---

[628]ـ السمرائي ، فاضل صالح. على طريق التفسير البياني، مرجع سابق، ج1، ص 12.

[629]ـ ابن عبد السلام، العزّ. الإمام في بيان أدلّة الأحكام، تحقيق: رضوان مختار بن غربيّة، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 159.

[630]ـ الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. مرجع سابق، ج2، ص70.

[631]ـ ابن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. مرجع سابق، ج 1، ص 18.

وعلوم اللغة تراكمت المعارف عبر الأزمان والأجيال، فحفظت للأمّة دينها وتناقلت ميراثها العلمي من جيل إلى جيل، ورسمت طريقا ومسيرة للاجتهاد والبحث والدراسة، وبقي هذا التفاعل العلمي والمعرفي بين المعارف والعلوم، وأساسها علوم الشريعة وعلوم اللغة، بحرا للباحثين والمجتهدين، وعلى الله الهدى والتوفيق.

2-3: السياق الأصولي للحُكم:

إنّ أصول الفقه التي تُمثّل منهج الاستنباط الإسلامي، والتي أصّلت منهج استنباط الأحكام، من أدلّتها الشرعيّة، وأوّلها القرآن الكريم، «اعلم أنّ أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعيّة وأجلّها قدرا وأكثرها فائدة، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف»[632] فهي شديدة الارتباط مع التفسير، لأنّ استنباط الحُكم ما هو إلا نتيجة عمليّة تفسيريّة للدليل الشرعي، كون موضوع الأصول « أمران هما الأدلة الشرعيّة من كونها أداة الاستنباط، والأحكام الشرعيّة من حيث كونها نتيجة الاستنباط وأنّها تثبت بالأدلة، وهذه نظريّة جمهور الأصوليين وهي الراجحة، لأنّهم يقولون: موضوع أصول الفقه هو: الأحكام الشرعيّة من حيث ثبوتها بالأدلة»[633]، واستنباط المعنى ما هو إلا استنباط لتفسير الحُكم من الخطاب، بوصفه الفائدة الشرعيّة للخطاب التي ينبني عليها التكليف، وهذا التداخل بين العلمين، بوصف القرآن الكريم دليل للحُكم، منح للسياق الأصولي عند التفسير أهميّته و مرجعه في استنباط الدلالة.

ولذلك لا يُمكن لمنهج التفسير أن يكون خارج المنهج الأصولي الإسلامي العام، وإلا ضاعت المعاني، ووقعت العلوم الدينيّة في تناقض بين ما هو فقهي، وما هو تفسيري، وهذا مُحال، لذلك فإنّ المنهج الأصولي هو الجامع بين العمليّة التفسيريّة والعمليّة الفقهيّة الاستنباطيّة، وهذا ما يُستفاد منه في تأصيل أصول التفسير بناء على منهج أصول الفقه ومقاصده، حيث «تتّخذ العلاقة المعنوية المُمكنة بين الآيات التي مدارها حُكم واحد أو قضيّة واحدة صُوَرا متعدّدة، اعتنى علماء الأصول ببيانها

---

[632]- ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، دط، 2002، ص 424.

[633]- الزحيلي، وهبة. الوجيز في أصول الفقه. دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 2003، ص14.

والتأصيل لمنهج فهمها والتعامل معها»[634] والتي تشمل عمليّة التفسير، واستنباط المعنى من الدليل، ومستويات المعنى.

و ارتباط معاني القرآن الكريم بالأحكام، سواء بطريقة مباشرة مثل آيات الأحكام، أو بطريقة غير مباشرة، وتشمل الآيات الأخرى، سواء المتعلّقة بأحكام عقائديّة، أو بمعاني ودلالات تخدم في النهاية الأحكام المختلفة، ومقاصد الشريعة العامة، وهي مقاصد للأحكام الشرعيّة كذلك، ومنها القصص القرآني والمثل والخبر القرآني وغيرها، وعليه فإن استخدام الأصول والقواعد من أصول الفقه، من أهمّ ما يستعين به المفسّر لفقه وفهم كلام الله تعالى، ومدخله فهم المحكم لفهم المتشابه...كونه علامات دلاليّة لأصول الفهم للخطاب، فالخطاب القرآني ينبني على دلالاته من الآيات المحكمات التي هي مرجع الفهم و مرجعيّة الدلالة.

يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (7)** ﴾[635]

فالآيات المحكمات هي العلامات الموجّهة في النظم القرآني للعمليّة التفسيريّة «وعلى هذا لا غنى من تفسير المتشابهات بفضل المحكمات وهذا يرجع إلى تفسير القرآن نفسه بنفسه، والآية بأختها»[636] وهذا ضابط أصولي وغيره من الأصول والقواعد في الوصول إلى الدلالة، ومن ثمّ إلى الأحكام، التي لا يُمكن تحقيقها إلا بهذا العلم المنهجي في الاستنباط « وأما علم أصول الفقه فهو رأس هذه العلوم، لا يحلّ لمن لا يُحسنه أن يتقحّم الكلام في تفسير القرآن، فيه تعرف أصول درجات الأحكام وأدلّتها، والطرق إلى فهمها، والكليّات التي تعود إليها»[637] وبدونه تضيع حقيقة الأحكام، ولا تعرف على وجهها المقصود، ولذلك يحتاج المفسّر معرفة هذه الأصول والقواعد للتفسير، كمعرفة الأدلة وما يتعلّق بها وأوّلها القرآن، والأحكام الشرعيّة وما يخصّها والدلالات وآلياتها كحمل المجمل على المبيّن، والعام على الخاص، والمطلق على المقيّد، ومعرفة مقاصد التشريع وغيره من مباحث الأصول، التي تمنح للمفسّر أدواته

634- رشواني،سامر عبد الرحمن. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. مرجع سابق، ص 205.

635- سورة آل عمران، الآية 07.

636 الخطيب،أحمد سعد. مفاتيح التفسير. مرجع سابق، ج1، ص 33.

637- الجديع، عبد الله بن يوسف. المقدّمات الأساسية في تفسير القرآن. مرجع سابق، ص 311.

المنهجية و المعرفية في فهم الخطاب وإدراك المعاني و الوصول إلى الحُكم المراد بطريقه المنهجي.

فاستعمال المفسّر لهذه الأصول الفقهيّة ليس بغرض الغوص في استنباط الأحكام الفقهيّة الفرعيّة، ولكن لاستعمالها في استنباط المعاني والدلالات في حُدود ما يُناسب ما يحمله الخطاب القرآني، دون تجاوزه إلى الموضوع الفقهي التفصيلي، أو المذهبي، وذلك للاحتفاظ بموضوع التفسير وهو فهم كلام الله وخطابه بما يمنح للمفسّر فائدة شرعيّة يتجلّى فيها مُراد الخطاب وحُكمه، ليكون التفسير مرجع الفقيه وغيره للاستفادة في دلالة القرآن على الحُكم الفقهي عند الفقيه، أو في مجال العقيدة أو السلوك أو السياسة الشرعيّة أو الحقائق التاريخيّة... فالسياق الأصولي سياق مساعد في استخراج المعاني من الخطاب، والذي يتوقف عند حدود مضمونه، ليأتي مستوى آخر لاستنباط الأحكام الفرعيّة بالاستعانة بأدلة و أدوات أخرى.

2-4: السياق العلمي للحُكم:

احترام السياق العلمي من خلال اعتبار الحقائق العلميّة الثانيّة في عصر المفسّر وأوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، كما مرّ في الاتجاه العلمي في التفسير، وذلك من منطلق أنّه « يستحيل التصادم بين الحقائق القرآنيّة وبين الحقائق العلميّة لأنّهما من مشكاة واحدة، وينبغي أن يكون من المسلّمات في أذهاننا أن الحقائق القرآنيّة المتعلقة بأيّ جانب من جوانب الكون أو الإنسان والحيوان والنبات، إذا كانت قطعيّة الدلالة، لا يُمكن أن تصادمها حقيقة علميّة توصّل الجهد البشري إليها»[638] ولا يُمكن الاستناد إلى أقوال تفسيريّة قديمة أو حديثة تصطدم مع حقائق علميّة ثابتة، والمنهج الموضوعي أحد المناهج في تصحيح الأقوال التفسيريّة الظاهريّة لمصلحة تفسير علمي عميق.

وجود آيات كثيرة حول الأرض، جعل من تفسيرها وتدبّرها والتفكر فيها وفهم محتواها بما يناسب الحقيقة العلميّة في كرويّتها، خلاف قراءة ظاهريّة لآية سورة الغاشيّة: في **قوله تعالى:﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾**[639]

---

[638]- مسلم، مصطفى. مباحث في إعجاز القرآن. دار المسلم، الرياض، السعودية، ط2، 1996، ص174.

[639]- سورة الغاشيّة، الآية 18-20.

الذي جعل جُملة من المفسرين القدامى يرون أنّ« ظاهر الآية أنّ الأرض سطح لا كرة، وهو الذي عليه أهل العلم»[640] وإذا كان المفسّر القديم لم تثبت عنده الحقيقة العلميّة، فإن ثبوت الحقيقة العلميّة يجعل المفسّر يفهم الآية فهما جديدا مناسبا لها، « لأنّ جرمها مع إجماع المفسّرين على تكويرها، فإنّها ترى مسطحة أي من النقطة التي هي في امتداد البصر، وذلك يدل على سعتها وكبر حجمها»[641] وجاء التفسير العلمي والتفسير الموضوعي ليستحضر مجموع الآيات حول الأرض التي تكشف شكل الأرض من الآيات ذاتها « وجاء ذلك في عدد من آيات القرآن الكريم التي تتحدّث عن تكوّر كل من الليل والنهار على الآخر، وولوجه فيه، وانسلاخه منه، وعن مدّ الأرض وبسطها، ودحوها وطحوها، وعن كثرة المشارق والمغارب فيها مع بقاء قمة عظمى ونهايتين لكل منهما»[642] ومن تلك الآيات الكثيرة...

يقول تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)﴾[643]

وهي من الآيات التي تُشير إلى موضوع شكل الأرض خصوصا في سياق الحديث عن الكون والكواكب«ومن هنا كان التعبير القرآني بتكوير كل من الليل والنهار فيه إعلام صادق عن كرويّة الأرض، وعن دورانها حول محورها أمام الشمس، بأسلوب رقيق لا يفزع العقليّة السائدة في ذلك الزمان التي لم تكن مستعدة لقبول تلك الحقيقة، فضلا عن استيعابها، تلك الحقيقة التي أصبحت من البديهيات في زماننا»[644] فيكون تكوير الليل والنهار بسبب تكوّر المحل وهو الأرض، وهذا يبيّن أهميّة المنهج الموضوعي في معرفة الحقائق القرآنيّة، وأهميّة السياق العلمي في فهم حقائق القرآن وأحكامه في الكون والخَلق والحياة..

---

[640]- الثعالبي، عبد الرحمن. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تحقيق: معوّض، علي محمد و عبد الموجود،عادل أحمد، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج5، ص 583.

[641]- الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان، ج19، ص 202.

[642]- النجار، زغلول. الأرض في القرآن الكريم. مرجع سابق، ص239.

[643]- سورة الزمر: الآية 05.

[644]- النجار، زغلول. الأرض في القرآن الكريم. مرجع سابق، ص219.

المبحث الثاني: أصول منهج تفسير الأحكام.

إنّ التأصيل لمنهج علمي للتفسير ينبني على المنهج الإسلامي وفق ما كان المسلمون يدعونه بالأصول، لأنّ أصول العلوم في العلوم الإسلاميّة لعبت دور المنهج من حيث المصادر والقواعد والآليات للوصول إلى التحقيق العلمي، فدراسة هذه الأصول وفق المنظور المنهجي الإسلامي، خصوصا في أصول التفسير وأصول الفقه، يمنحنا آليات يستعملها المفسّر خلال عمليّته التفسيريّة، وهو يستنبط المعنى، وأطلقنا عليها اسم السياقات التفسيريّة، ومصادر للتفسير يأخذ منها المفسّر معارفه التفسيريّة وهي أصول أو مصادر التفسير.

والاختلاف في تلك المصادر ليس تنوع تناقض وإنّما هو تنوّع "حتى هذا الاختلاف. . ليس اختلاف تباين وتضاد بل اختلاف تنوّع وتعاضد وترادف، وبعض أنواع التفسير تعتبر أساسا للانطلاق منه إلى غيره فلا يستغني عنه المفسر الباحث في أي نوع من أنواع التفسير"[645] وهذه الأصول لو أنها اجتمعت في منهج تفسيري، لا يختلف عن منهج الأصول في استنباط الأحكام، لأنّ التفسير هو عمليّة أساسيّة لاستنباط الحُكم، وهو كذلك يشمل العمليّة الاستنباطيّة للأحكام، ولذلك فالمنهج لاستنباط المعنى أو استنباط الحُكم هو منهج واحد، يعتبر المصادر الكبرى للاستنباط، وهي القرآن الكريم، ثمّ السنة النبويّة الشريفة، ثم الإجماع في التفسير، ثم الاجتهاد المقاصدي، مستصحبا السياقات التي مرّت سابقا، فمنهج التفسير الموضوعي لا يكون خارج سياقات الاجتهاد الإسلامي ومنهجه العام.

1-3: تفسير القرآن بالقرآن:

وهو «بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أنّ اشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا من جلّ وعلا»[646]وهذا من أوجه الإعجاز...

يقول تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً (33) ﴾[647].

---

[645] - مسلم، مصطفى. مباحث في التفسير الموضوعي. مرجع سابق، ص52.

[646]- الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان. مرجع سابق، ج1، ص8.

[647]- سورة الفرقان، الآية 33.

ولذلك على المفسّر أن يبحث أولا عن أوجه التفسير في كتاب الله الكريم، فيفسّر القرآن بالقرآن، بتتبّع الآيات التي تناولت ذلك الموضوع، قيردّ بعضها لبعض، «لأن تفسير كلام الله تعالى بكلام الله أقرب إلى الصدق والصواب»[648] ولأنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم علّمنا ذلك «**روى البخاري: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم** فسّر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)**﴾[649] **فقال الغيب خمس / ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)**﴾[650] »[651]

فهو عليه السلام استعمل آية في تفسير آية.

وعليه فالأصل الأول للتفسير ومصدره الأساس هو القرآن الكريم نفسه « لابد في كل مسألة يُراد تحصيل علمها على أكمل الوجوه أن يلتفت إلى أصلها في القرآن، فإن وجدت على عينها أو ذكر نوعها أو جنسها فذاك، وإلا فمراتب النظر فيها متعددة»[652] وهناك آليات وأوجه لهذا التفسير باستعمال القرآن في العمليّة التفسيريّة منها:

ما يأتي تفسيره في القرآن الكريم، ليرفع إبهامه، أو يفصّل إجماله، أو يقيّد مطلقه... و يُكمل خبره أو قصّته، أو يعيّن مدلوله، وهكذا... بما يُفيد تفسيره، وأمثلته في القرآن الكريم كثيرة...

كقوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)** ﴾[653].

فبقيت الكلمات التي قالها آدم عليه السلام مبهمة، ولكن القرآن الكريم ذكرها في موضع آخر... **فذكر تفسيرها في سورة الأعراف** ﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا**

---

[648]- الرازي، فخر الدين. تفسير التفسير الكبير، مرجع سابق، ج10، ص42.

[649]- سورة الأنعام، الآية 59.

[650]- سورة لقمان، الآية 34.

[651]- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، الحديث رقم: 4404، ج2، ص 193.

[652]- الشاطبي. أبو إسحاق، الموافقات. مرجع سابق، ج3، ص 237.

[653]- سورة البقرة، الآية 37.

وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ (23) ﴾[654] أو كقوله تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾[655]

« ما رواه الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾**[656]. حيث « شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقالوا : أيّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) ﴾**[657] »[658]

وبهذا التفسير من القرآن الكريم ارتفع ذلك اللبس في فهم الظلم الوارد في الآية بما يشق على النفس.

أو كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)﴾[659]

«فإنه لم يبيّن هنا ما المراد بالعالمين، ولكنه وقع سؤال عنهم وجواب في موضع آخر...

وهو **قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ (24)﴾**[660]}[661]

«ومن أمثلته قوله تعالى:﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) ﴾**[662] فإنّه لم يبينه هنا مع أنه وقع سؤال وجواب في موضع آخر..

وهو قوله ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19) ﴾**[663]»[664]

---

[654]- سورة الأعراف، الآية 23.

[655]- سورة الأنعام، الآية 82.

[656]- سورة الأنعام، الآية 82.

[657]- سورة لقمان، الآية 13.

[658]- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، الحديث رقم:4403. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، الحديث رقم: 124.

[659]- سورة الفاتحة، الآية 2.

[660]- سورة الشعراء، الآيتان 23، 24.

[661]- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سابق، ج1، ص16,

[662]- سورة الفاتحة، الآية 4.

[663]- سورة الانفطار، الآيات: 17، 19.

3-2: تفسير القرآن بالسُنّة:

وهي كل ما صدر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم من قول أو فعل أو تقرير وهي من أدلّة الشريعة ومصادر الحكم، كما تذكر كتب أصول الفقه الإسلامي، وعليه فإنّ استنباط الأحكام والمعاني من القرآن الكريم لابد أن يستند على السنّة النبويّة، وهي مصدره وأصله الثاني بعد القرآن الكريم، علما أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي لا ينطق عن الهوى هو مبلّغ القرآن الكريم والمكلّف ببيانه للناس «وبيانه صلّى الله عليه وسلم وهو معصوم لا يساويه بيان غيره من البشر مهما بلغ علمه»[665] فهو لا ينطق عن الهوى..

يقول تعالى: ﴿ **مَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (4)**﴾[666]

ويقول تعالى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)﴾[667].

ومنه ارتبطت السُنّة النبويّة ببيان كتاب الله وتفسيره، « فإن السُنّة على كثرتها، وكثرة مسائلها إنما هي بيان للكتاب»[668]بطريق مباشر أو غير مباشر، « وهو عموم سُنّته صلّى الله عليه وسلّم القوليّة والفعليّة والتقريريّة ما يُفيد في بيان شيء من القرآن... فلا غنى للمفسّر عن النظر في عموم سُنّته وسيرته صلّى الله عليه وسلّم وما فيها من التطبيق العملي للقرآن الكريم»[669].

المنهج العلمي للتفسير يقتضي النظر في السُنّة النبويّة لفهم دلالات القرآن ومعانيه ومقاصده، «وهذا الطريق متفق على استعماله عند أهل العلم، وهو مقدّم عندهم على ما سواه من طرق التفسير... لكن بشرط أن تصحّ به الرواية»[670] فالسُنّة النبويّة أهم أصل منهجي للتفسير بعد القرآن ذاته، لأن الرسول الذي بلّغ هذا القرآن وكُلّف بتبليغ رسالته وشريعته هو أعلم الناس بمراد ربّه ومقاصد شرعه وحقائق الدين، ولا يُمكن أن يدّعي

---

[664]- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، مرجع سابق، ص17.

[665]- الجديع، عبد الله بن يوسف ، المقدمات الأساسية في التفسير، مرجع سابق، ص 300.

[666]- سورة النجم، الآية 3، 4.

[667]- سورة النحل، الآية 44.

[668]- الشاطبي، أبو إسحق. الموافقات. ج3، ص 232.

[669]- الباتلي ، خالد عبد العزيز. التفسير النبوي. مرجع سابق، ص 65.

[670]- الجديع،عبد الله بن يوسف. المقدمات الأساسية في التفسير، مرجع سابق، ص 303.

سواه ذلك « إن أصح الطرق في ذلك أن يفسّر القرآن بالقرآن... فإن أعياك ذلك فعليك بالسُنّة فإنها شارحة للقرآن وموضّحة له»[671] والتفسير فيها حُجّة.

حيث السُنّة بوصفها تفسيرا لمضمون القرآن الكريم ورسالة ربّ العالمين و«نظرا إلى أن الحديث شارح للقرآن يُبيّن مبهماته، ويفصّل مجملاته، ويُخصص عامّه»[672] ومن أمثلة ذلك:

بيان مبهمه كهيئة الصلاة والصيام والحج... وغيرها من العبادات التي جاء بيانها في السُنّة النبويّة الشريفة، بما يخدم التفسير في تفسيرها بوصفها مصطلحات شرعيّة، لها مدلولها العام، المرتبط بأعمالها وهيئتها التعبّديّة المخصوصة...

وتخصيص مجمله كإخراج ميتة البحر من قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)**﴾[673].

بقوله عليه السلام: هو الطهور ماؤه الحل ميتته[674]، بما يمنح دلالة أخرى لمفهوم ومعنى الميتة في الآية الكريمة.

- وتأتي السُنّة موضّحة لمشكل لفظي مثل الخيط الأبيض والأسود...

في قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[675].

---

[671]- ابن تيميّة، دقائق التفسير، مرجع سابق، ج1، ص 110.

[672]الزرقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ص 31.

[673]- سورة المائدة، الآية 3.

[674]- الموطأ، الإمام مالك، الحديث رقم: 46، مسند أحمد، الحديث رقم: 8720. سنن أبي داود، الحديث رقم: 83، سنن الترمذي، الحديث رقم: 69، سنن النسائي، الحديث رقم: 59.

[675]- سورة البقرة، الآية 87.

لقوله صلّى الله عليه وسلّم: « إنّما هو سواد الليل وبياض النهار»[676].

ومثل تعيين معنى الكوثر في قوله تعالى:﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1)**﴾.

« أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: فإنّه نهر وعدنيه ربّي عزّ وجلّ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم...»[677]

ومن أمثلة التفسير النبوي«﴿ **إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12)** ﴾[678]

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: انبعث لها رجل عزيز هارم متيع في رهطه مثل أبي زمعة»[679].

والسؤال: لماذا لم يفسّر النبي صلّى الله عليه وسلّم القرآن الكريم، ويترك لنا تفسيرا كاملا؟

1- إن القرآن الكريم كان مفهوما بسبب نزوله بلسان العرب ولغتهم، وكان العرب يمتلكون سليقتهم العربيّة التي تجعلهم يتلقّون خطاب القرآن بوعي وإدراك.

2- ورع الصحابة عن كثرة السؤال والتشدّد في الفضول فاستقبلوا الدين الجديد بفطرتهم السليمة.

3- كان التفسير بالقدر الذي يُناسب عصر النزول، وتنزّل الوحي. . .

4- ترك المجال لكل عصر أن يفسّر أهله القرآن الكريم واكتشاف أوجه إعجازه الذي يُناسب عصرهم.

5- التزام أحكام القرآن وتشرب معانيه ومقاصده كان أكبر تفسير للقرآن وأهم من التفسير النظري، لأن العمل هو مقصود الخطاب.

6- التفسير العملي للقرآن الكريم، من خلال سيرته عليه السلام والتزامه القرآني. 7- روح الإعجاز القرآني يستدعي التجديد في أوجه تفسيره وكشف معانيه ومقاصد أحكامه.

إذا كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم فسّر القرآن الكريم بقدر حاجة الصحابة واستفسارهم، وما يُناسب عصرهم، فإنّ السنّة في أقوالها وأفعالها وتقريراتها كانت

---

[676]- صحيح البخاري، كتاب الصيام، الحديث رقم: 1916. صحيح مسلم، كتاب الصيام، الحديث رقم: 1090. سنن أبي داود، الحديث رقم: 2349، سنن الترمذي، الحديث رقم: 2970.

[677]- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، الحديث رقم 4583، 4584. صحيح مسلم، كتاب الصلاة، الحديث رقم: 400. مسند أحمد، الحديث رقم: 6476. سنن أبي داود، الحديث رقم: 784.

[678]- سورة الشمس، الآية 12.

[679]- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، الحديث رقم: 4561. صحيح مسلم، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، الحديث رقم:2855.

أكبر تفسير للقرآن الكريم، وهذا التفسير العملي هو تفسير دلالي وتطبيقي وواقعي بما يمنحه ميزة الحقيقة المجسّدة والتي تقلّل مسألة الخلاف في الخطاب، وتمنح للمعنى روحه الحياتيّة، كما كان رسول الله يفعله كما قالت عائشة عنه « فإنّ خُلق نبي الله صلّى الله عليه وسلّم كان القرآن»[680] فيجد المسلم نفسه أمام قرآن مكتوب تتجسّد معانيه ودلالاته في حياة الرسول وسيرته «لأنّ الهدف من دراسة التفسير الحركة العمليّة التطبيقيّة التنفيذيّة بالقرآن، ولن نُحسن هذه الحركة إلا بعد الوقوف على حركة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه بالقرآن، ولا يتحقّق هذا إلا بدراسة السيرة النبويّة التي هي أوّل وانجح تفسير عملي للقرآن»[681] تتجاوز مسألة التفسير النبوي المباشر إلى تدبّر سيرته وفهمه للقرآن الكريم واقعيا.

إنّ توظيف السُنّة والسيرة النبويّة بما يخدم المعنى والمقصد الدلالي من الخطاب، «بمعنى أن يستفاد من السنّة النبويّة في بيان الموضوع الذي تضمنته الآية تقريرا أو تفصيلا، دون أن يكون في الحديث تفسير مباشر للآية»[682] ولكن يكون في سيرته ما يبيّن ذلك، لأنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم بسيرته يكون مجسّدا لأحكام القرآن ومعانيه ومقاصده من تلك المعاني والأحكام.

3-3: الإجماع في التفسير الموضوعي:

الإجماع « هو في اللغة يطلق على معنيين: أحدهما العزم التام. . . وثانيهما: الاتفاق»[683] والإجماع أصله من الجمع « والإجماع أن تُجمع الشيء المتفرّق جميعا، فإذا جعلته جميعا ولم يكد يتفرّق كالرأي المعزوم على المضي»[684]. . .

و في الإصلاح اشتهر في الفقه وأصوله بإجماع المجتهدين على حكم شرعي، وفي أصول الفقه « يُطلق على اتفاق المجتهدين من أمّة محمد بعد زمانه في عصر على

---

[680]- صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، الحديث رقم: 746، سنن أبي داود، الحديث رقم: 1342. سنن النسائي، الحديث رقم: 424.

[681]- الخالدي، صلاح عبد الفتاح. تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين. مرجع سابق، ص196.

[682]- الباتلي، خالد بن عبد العزيز. التفسير النبوي. دار كنوز إشبيليا، الرياض، السعودية، ط1، 2011، ج1، ص 60.

[683]- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. الكليات. تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص42.

[684]- ابن منظور، أبو الفضل محمد. لسان العرب. ج2، ص204.

حُكم شرعي»[685] وهو من أدلة الحُكم وأصوله بعد القرآن الكريم والسُنّة النبويّة، ولذلك فإنّ الإجماع في التفسير هو أحد أصول التفسير التي يحتاج المفسّر إليها في منهجه التفسيري.

وتأسيّا بمفهوم الإجماع في الأصول فإنّه يمكن تعريف الإجماع في التفسير على أساس إجماع المفسّرين المجتهدين « وإجماع المفسرين معناه اتفاق أهل التفسير من أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم في عصر من العصور على معنى آية أو آيات من كتاب الله عزّ وجلّ»[686] وهو الأصل الثالث بعد الكتاب والسُنّة في الوقوف على التفسير، واستنباط الحُكم منه « وأول الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر أو السُنّة أو إجماع الأمّة»[687] ويشمل الإجماع التفسير للمعنى «وكما يكون الإجماع على حُكم واقعة يمكن أن يكون على تأويل نص أو تفسير، أو تحليل حُكم النص»[688] كإجماع المفسّرين على تفسيرات كثيرة[689] أشار إليها المفسّرون والباحثون.

ومن أمثلة الإجماع في التفسير:

- الإجماع على قضايا لها علاقة بالتفسير وسياقاته مثل تحديد السور المكيّة أو المدنيّة، مثل كون « سورة البقرة مدنيّة بالإجماع، بل ورد أنّها أوّل سورة نزلت بالمدينة...»[690] أو كون سورة الأنبياء مكيّة أو سورة التوبة مدنيّة على جميع الأقوال[691]

_ إجماعهم على حقائق القصص القرآني، مثل إجماعهم على أن إبليس هو من أغوى آدم... من قوله تعالى: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا**

[685]- الكفوي، أبو البقاء أيوب. الكليات، مرجع سابق، ص42. ينظر: أصول الفقه، خلاف، عبد الله ، مرجع سابق، وأصول الفقه، الزحيلي، وهبة ، مرجع سابق، ص538

[686]- الخطيب، أحمد سعد. مفاتيح التفسير، مرجع سابق، ج1، ص42.

[687]- ابن عبد السلام، العزّ. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز. ص 220، منقول من الخطأ في التفسير، ص 110.

[688]- الزحيلي، وهبة. الوجيز في أصول الفقه، مرجع سابق، ص50.

[689]- ينظر : الإجماع في التفسير، الخضيري، محمد عبد العزيز بن أحمد ، دار الوطن، الرياض، السعودية،.

[690]- مسلم، مصطفى وآخرون. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. ج1، ص 24.

[691]- ينظر: المكي والمدني في القرآن الكريم، الشايع،محمد بن عبد الرحمن ، مرجع سابق، ص16.

اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) ﴾[692]. « وجميع المفسرين على القول بهذا بلا اختلاف»[693].

_ ومن الإجماع الذي كان مستنده المعنى والدلالة « وتشمل الآثار إجماع الأمّة على تفسير معنى، إذ لا يكون إلا من مستند كإجماعهم على المراد من الأخت في آية الكلالة الأولى هي الأخت لأمّ، وأنّ المراد من الصلاة في سورة الجمعة هي صلاة الجمعة، وكذلك المعلومات بالضرورة كلها ككون الصلاة مرادا منها الهيئة المخصوصة دون الدعاء، والزكاة المال المخصوص المدفوع»[694] وهكذا في كثير من المعاني والدلالات التفسيريّة لمعنى معيّن.

- ومثل إجماعهم في المقصود من بلد معيّن أو شخص معيّن، كالبلد المقصود من **قوله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2)﴾**[695] أنّه «مكة باتفاق من الأمّة، وذلك أنّ السورة مكيّة، وقد أشار له ربّه بهذا، وذكر له البلد بالألف واللام، فاقتضى ذلك ضرورة التعريف المعهود»[696].

- ومثله الاتفاق أنّ السُكر في الآية الكريمة هو سُكر الخمر قبل تحريمه...

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) ﴾[697]

« وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أنّ المراد بهذا السكر سُكر الخمر، وأنّ ذلك إبان كانت الخمر حلالا»[698] وهكذا فهناك أحكام ومعاني كثيرة محلّ إجماع.

وهذا يشمل الإجماع على الأحكام الفقهيّة التي كان من أدلتها القرآن الكريم، وهي كثيرة ومتنوّعة مثلما أجمعوا على تحريم الزواج أكثر من أربعة حيث « اتفقوا أن نكاح

---

[692]- سورة البقرة، الآية 36.

[693]- ابن عطية. المحرر الوجيز، ج1، ص254. تحقيق

[694]- ابن عاشور، الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. مرجع سابق، ج1، ص 25.

[695]- سورة البلد، الآيتان : 1-2.

[696]- ابن العربي، أبوبكر محمد. أحكام القرآن، مرجع سابق، ج4، ص399.

[697]- سورة النحل، الآية 67.

[698]- ابن العربي، أبو بكر محمد. أحكام القرآن، مرجع سابق، ص 553.

أكثر من أربع زوجات لا يحل لأحد بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»[699] أو غيره من الأحكام الفقهيّة المستنبطة.

_ إجماعهم على أحكام معيّنة مثل تحريم الزواج ممن ذكرتهم الآية الكريمة توقيفا، في الآية الكريمة...

في قوله تعالى:﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (23)**﴾[700]

والآية فيها بيان للمحرّمات من النساء « وقد أجمعت الأمّة على تحريم ما ذُكر في الآية، وإنّما صدر إجماعها عن التوقيف المذكور فيها وكذلك سائر الآي المحكمة التي اتفق الناس على حُكمها ومنها ما هو توقيف من النبي صلّى الله عليه وسلّم»[701].

و الإجماع أصل تفسيري لمنهج التفسير الذي يسعى أن يصل إلى معاني ومقاصد الخطاب القرآني وحمايتها من التفسير المزاجي، ولكن الإجماع لا يقف أمام التفسير المجتهد والمجدّد لحقائقه عندما يكون مستنده العلمي من القوّة والحجيّة التي تستطيع أن تكوّن حولها اتفاقا جديدا للمفسّرين بسبب قوّة الدليل، مثلما رأينا حول مسألة كرويّة الأرض التي انتقل فيها التفسير من رأي شائع في تفاسير قديمة إلى اتفاق عام مناسب للحقيقة العلميّة ولمنهج التفسير الموضوعي التي غابت عن بعض المفسّرين، ولكن يبقى الإجماع أحد ضوابط معاني التفسير الإسلامي.

3-4: التفسير الاجتهادي المقاصدي للأحكام:

إذا استنفذ المفسّر طاقته في تتبع التفسير من القرآن الكريم ثم السُنّة النبويّة ثم الإجماع، انتقل إلى الاجتهاد عن طريق الاستنباط بقواعد وضوابطه، متوخيّا مقاصد الشريعة والكليات التي اهتمت بها الشريعة وجاءت لتحقيقها، ولذلك آثرت استعمال مصطلح التفسير الاجتهادي المقاصدي لأنّه الأنسب خصوصا للتفسير الموضوعي،

---

[699]- ابن حزم. مراتب الإجماع، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص 72.

[700]- سورة النساء، الآية 23.

[701]- الجصّاص، أبو بكر. الإجماع، تحقيق: زهير شفيق كندي، دار المنتخب العربي، بيروتن لبنان، ط1، 1993، ص 155.

حيث يتناول المفسّر موضوعا تفسيريا لا شك أنّ استحضار مقاصد الشرع في جلب المصالح ودفع المفاسد له يساعده على كشف حقائق التنزيل «وأمّا المعاني التي تحتملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشدّ لأنها نتائج العقول»[702] من جُهد التفكّر والتدبّر والبحث عن مقاصد الخطاب.

فالخطاب جاء لتحقيق الخير والصلاح للبشر جميعا « فالحاصل أنه إنما يلزم في هذا الاجتهاد المعرفة بمقاصد المجتهد فيه... فالاجتهاد في الاستنباط من الألفاظ الشرعية يلزم فيه المعرفة بمقاصد ذلك المناط، من الوجه الذي يتعلق به الحُكم لا من وجه غيره وهو ظاهر»[703] والعمليّة التفسيريّة هي في النهاية عمليّة اجتهاديّة حيث « أنّ النظر المقاصدي يلزم المفسّر بالنظر الموضوعي التكاملي في السياق القرآني، وضم أطراف النصوص بعضها إلى بعض، واستقراء مدلولات المفردات القرآنيّة في مواردها المختلفة، وسياقاتها المتعدّدة»[704] فتكون العمليّة التفسيريّة عمليّة تدبّر وتفكر وعمليّة بناء لأثر القرآن في حياة الناس ونفوسهم، و تحقيق خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

و مقاصد الشريعة الإسلامية «هي الغايات التي أنزلت الشريعة لتحقيقها لمصلحة الخلق في الدارين »[705] ذلك أنها تكفل المصالح الدنيوية والأخروية، بما يُحقق للإنسانية مصالحها، و يرفع عنها الفساد والعسر والتطرف، ويشملها بالرحمة الربانية، ذلك أن « أحكام الشريعة كلها مشتملة على مقاصد الشارع، وهي حكم ومصالح ومنافع، ولذلك كان واجب على علمائنا التعرّف على علل التشريع ومقاصد ظاهرها وخفيّها، فإنّ بعض الحكم قد يكون خفيّا، وإنّ افهام العلماء متفاوتة في التفطن لها»[706] ومنها التيسير ورفع الحرج وغيرها من المقاصد التي ذكرتها الأدلة...

---

[702]- الزركشي، البرهان، ص 175.

[703]- الشاطبي. أبو إسحاق. الموافقات. ج4، ص 98.

[704] - الريسوني، قطب. النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبّر. مرجع سابق، ص501 .

[705]- القرني، عوض بن محمد ، المختصر الوجيز في مقاصد التشريع، (دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية1998م) ص:19.

[706]- ابن عاشور، الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية. دار النفائس، عمّان، الأردن، ط2، 2001، ص246.

يقول تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجعَلَ عَلَيْكُم مِن حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيْدُ لِيُطَهِرَكُم ولِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُم لَعَلَكُم تَشكُرُونَ﴾[707].

وهذه المقاصد هي جزء من مُراد الخطاب القرآني ونصب حُكمه، فما كانت أحكام الشريعة إلا لمقاصد وغايات و« أنها وُضعت لمصالح العباد استقراء»[708] وهذا يشمل تفاصيل الشريعة وجزئياتها، وأحكامها و هديها، وهي ثلاثة أقسام عند علماء المقاصد:

1: ضروريات 2: حاجيات ": تحسينيات.

1- **الضروريات:** فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة»[709] سواء من حيث وجودها وقيامها، أو من حيث منع إعدامها بدفع ما يؤدي إلى اختلالها أو تجاوزها، والضروريات التي اتفق عليها العلماء خمسة: وهي 1: حفظ الدين 2: حفظ النفس 3: حفظ العقل 4: حفظ النسل 5: حفظ المال. وتحت كل عنوان هناك مجموعة من المباحث التي توسّعت في العصر الحديث، حيث توسّعت مصالح النّاس، والتحديّات التي تواجههم وتهدّد مصالحهم، كما توسّعت مظاهر الفساد ومخاطره.

2- **<u>الحاجيات</u>:** وهي « أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب »[710]، فكل ما ييسر حياة الإنسان ويدفع عنه المشقة و الحرج والعسر والضيق فتقوم مصالحه المشروعة بأحسن وجه، وأوسع ظرف وأهون طريق، يكون ذلك من قصد الشارع واعتباره، فلا يغيب ذلك عن ذهن المفسّر في فهم القرآن واستخراج مدلول حُكمه.

3- **<u>التحسينيات</u>:** «وهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات»[711]. بما يُحسّن حياة الناس على الوجه الذي تطيب له القلوب وتألفه العقول وتطمئن وتستكين له الأنفس السويّة، ويناسب الفطرة البشرية، بما يليق بصورة المسلم وتحبيبه، والأخذ بجمال الأحوال وزينتها، و طيب الخواطر و ألفتها.

---

[707]- سورة المائدة، الآية:6.

[708]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، ج2، ص:5.

[709]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، ص:07.

[710]- المرجع نفسه، ص: 08.

[711]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، ص 09.

فالمقاصد من مباحث المفسّر وإلا فاته المعنى العميق «وأكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشارع في ذلك المعنى الذي اجتهد فيه، والوقوف دون أقصى المبالغة في البحث عن النصوص فيها»[712] باعتبار أن القرآن هو الجامع لمصالح الدنيا والدين « أنّ حق التفسير أن يشتمل على بيان أصول التشريع وكلياته فكان بذلك حقيق بأن يسمّى علما»[713] ومن هنا يأخذ التفسير طاقته البنائيّة وفائدته الجمّة في خدمة مصالح البلاد والعباد في الدارين.

ومقصد التفسير هو خادم لمقصد الشرع الذي جاء لمصلحة العباد في الدارين « إنّ مقصد الشريعة من التشريع هو حفظ نظام العالم وضبط تصرف الناس على وجه يعصم من الوقوع في المفاسد، وذلك إنّما يكون بتحصيل المصالح»[714] التي تعود بالجُملة إلى تلك المقاصد الكبرى التي تحدّث عنها علماء المقاصد، والتي هي في حفظ الدّين والنفس والعقل والمال والعرض، مع استنباط مقاصد عامّة منها تناسب عصرنا مثل الحُريّة أو الكرامة الإنسانيّة... وهي متضمّنة في النفس والعقل والعرض، والغرض من فهم المقاصد الكليّة ومقاصد الأحكام هو أن تُؤدّى بالوجه الذي لا يُفوّت مصلحة تشريعها ومُراد الشارع فيها « فإنّ في جمع مقصد الحكم الواحد فائدة وهي تحقيق ذلك الحُكم على أفضل الوجوه، كما أراد الله سبحانه شرعه»[715] وعادة تكون المقاصد ضمن خطاب الشارع، عند تدبّره والتفكّر فيه وفهم الحكمة من أحكامه.

المبحث الثالث: خطوات التفسير الموضوعي للأحكام:

إنّ التفسير الموضوعي هو منظور منهجي، ولذلك عند التفسير الموضوعي نقف عند مفهوم الموضوع الذي ليس مجرد تتبع للآيات التي تشترك في تناول موضوع معيّن بل هو معاني ودلالات ومقاصد ضمن مفهوم الحُكم العام، أو المقصد الكلي، وهذا يفتح لنا مجموعة من المجالات الموضوعيّة، تتضمن فيها المواضيع بداية من القرآن نفسه الذي يمثل الموضوع العام، من خلال مقاصده التي هي مقاصد الشريعة وكلياتها ومصالحها العامة، ثم يأتي المجال العام للموضوع، الذي ينتمي إلى مجال دلالي أوسع من الموضوع المفسَّر وضمن الموضوع العام، الذي هو القرآن، كأن يكون الموضوع

712- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، ج4، ص 101.
713- ابن عاشور، الطاهر . التحرير والتنوير، ص17. تحقيق
714- الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي، ص 1520.
715- الشاطبي. أبو إسحاق. الموافقات، ج2، ص 490.

ضمن خطاب الأسرة، مثلا، أو السياسة الشرعيّة أو العبادات... وهكذا، ثم نصل في النهاية إلى الموضوع المباشر، وفق آليات وخطوات إجرائية، وعليه تجتمع عندنا من الناحيّة الفنيّة التطبيقية، ثلاثة مفاهيم للموضوع، تمثّل كلها الرؤية الموضوعيّة، والمنهج الموضوعي:

1- الموضوع العام للحُكم المقصود بالتفسير.

2- الموضوع الإطار للحُكم المقصود بالتفسير.

3- الموضوع المباشر للحُكم المقصود بالتفسير.

فينطلق المنظور الموضوعي من رؤية واسعة، ودائرة شاملة شمول وسعة القرآن الكريم، في حُكمه على الوجود والكون، والحياة والموت، والدنيا والآخرة، في مقاصد أحكامه، وتحقيق مصالح العباد، وغاية الوجود في إرضاء ربّ الوجود، وتحقيق مفهوم العبودية لله عزّ وجل.

3-1: الموضوع العام للحُكم المقصود بالتفسير:

وهو موضوع القرآن نفسه، من خلال مقصده العام في الهداية والبيان، ومن خلال مقاصده الكبرى، فلا يُمكن تفسير أيّ موضوع أو فهمه في القرآن الكريم بعيدا عن مقاصد الشريعة الإسلاميّة وكلياتها ومعالم الهداية في التنزيل المبين، واستحضار المقاصد القرآنيّة في المنظور الموضوعي هو جزء من مفهوم التفسير الموضوعي، وتبعا لها سياق الآيات في النظم القرآني العام، وسياقها التنزيلي سواء المكي أو المدني، ثم سياقها في السورة ضمن محور السورة الدلالي، وسياق الآيات ما قبلها وما بعدها وهذا ضمن رؤية عامة للموضوع صمن نظم الخطاب القرآني، ونظمه الدلالي، التي تحيطه مقاصد القرآن وكليّات الشريعة التي يستصحبها المفسّر في عمليّته التفسيريّة بوصفها المعالم الدلاليّة الكبرى للوصول إلى الحقائق والأحكام، ذلك أنّ « المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمّة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحُه صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه»[716] وغيرها من المصالح.

وهذا باب من أبواب مرونة الشريعة وسعتها، واعتبار للعقول التي تفكر فيما يصلح في تدبير الشؤون وتصريف الأمور، بما يتناسب وذوق العرف، وإيلاف العادات وما تستسيغه العقول المنيرة بما يخدم الكليات والمقاصد لأنها أصل لباقي المصالح وبما أن

[716]- ابن عاشور، الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلاميّة، مرجع سابق، ص 273.

هذه المقاصد هي مقاصد عامة وشاملة، عامة لجميع البشر وشاملة لجميع الميادين تبعا لعموم وشمول الشريعة، «مقاصد الشارع في بث المصالح في التشريع أن تكون مطلقة عامة، لا تختص بباب دون باب، ولا بمحل دون محل ولا بمحل وفاق دون محل خلاف »[717] ولذلك من اللازم أن تراعى هذه المقاصد في التفسير، والتسليم بالحُكم لا يناقض معرفة وفهم مقصده والمصلحة فيه، بل هو الحرص على أدائه بالوجه الذي يُحقق مقصده في التسليم به، ومُراد أدائه، ولذلك وجب أن ينظر فيه على علله ومقاصده، فإنما جاءت الأحكام لتحقيق مصلحة أو دفع مفسدة، وتقاس كل مصلحة بميزان وترتيب الكليات، من زاوية حفظها أو من زاوية دفع إعدامها، وجودا أو عدما، فترد المصالح إلى الأسس المقاصدية لهذه الكليات لأنها أصل المصالح وميزان ترتيبها، وتحت هذه المصالح الكليّة تأتي مصالح تبعيّة في خدمة غايات الأحكام في مجالها، ضمن السياق في النظم القرآني بمختلف مستوياته:

فيجتمع عندنا ثلاثة مستويات للموضوع العام:

1: مستوى موضوع القرآن الكريم بوصفه الموضوع العام للموضوع المعيّن للتفسير.

2: مستوى السياق القرآني الذي يشمل:

أ: سياق المكي أو المدني.

ب: سياق السورة.

3: مستوى سياق الآيات: المرتبطة بالآيات المتعلّقة بموضوع التفسير الذي نبحث فيه، ضمن سياق الخطاب.

فهذه السياقات هي سياج الدلالة للموضوع الإطار والموضوع المباشر، لا يُمكن فهم خطاب الموضوع دون هذا الفهم العام.

3-2: الموضوع الإطار للحُكم المقصود بالتفسير:

وهو المجال الذي ينتمي إليه الموضوع، فلا يُمكن تفسير الآيات المتعلقة بموضوع معيّن، دون فهم الخطاب القرآني للموضوع الإطار الذي ينتمي إليه الموضوع المباشر محل التفسير، من خلال « الثمرات العامة والأهداف الكلية والغايات الجامعة التي تدل

[717]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموفقات. ج2، ص:39.

عليها جملة متعدّدة من الآيات القرآنيّة»[718] التي لها علاقة بالموضوع الإطار الذي ينتمي إليه موضوع البحث، فلا يُمكن فهم موضوع فرعي من مواضيع الأسرة والزواج، دون معرفة خصائص وحُكم القرآن والإسلام عموما في الأسرة ومقاصدها الشرعيّة إنّ الزواج الذي يُؤسّس لميلاد الأسرة في تكوينها واستمرارها، من خلال ذلك الرباط الوثيق الذي وصفه الله تعالى بالميثاق الغليظ...

في قوله: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً (21)﴾[719]

فالزواج يأخذ وجهه الشرعي والقانوني من خلال عَقده التوافقي، إنّ منطلق التصوّر العام للعلاقة الزوجيّة، وهي علاقة بين ذكر وأنثى، كونها علاقة إنسانية تتمثّل التكريم الإلهي وحكمة الزوجيّة في الخلق، والنظم الاجتماعي للإنسان المنسجم مع غاية الاستخلاف والتعمير، الذي جاء مصحوبا بالتكليف « وقد ورد النص بها تكليفا على الأمّة كلها رجالا ونساء، ويتدرّج هذا التكليف تحت أصل إسلامي أوضح وأظهر – وهو التسوية بين الرجال والنساء في الكيان البشري وفي التكليف والحساب والعقاب»[i]. وهذا البناء الأسري الذي يُراد له أن يبنى على أساس من الخير و التقوى والعمل الصالح.

يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)﴾[720]

إنّ هذا الأساس الإسلامي و المرجع الشرعي الذي يبني عليه الإسلام أحكامه المتعلقة بأحكام الأسرة عموما، والمبنيّة على هذا التكريم الإسلامي لطرفي الأسرة الرجل والمرأة، ضمن التكريم العام للإنسان، وهو تكريم يشمل الذكور والإناث، وهو تأكيد على تكريم المرأة، التي أخذت منها أعراف وتقاليد المجتمعات التي سقطت، شرقا وغربا، في نظرة دونية للمرأة، فجاء الإسلام ليضع ذلك التساوي الإنساني بين الذكور والإناث، معلنا عن وحدة الخلق ووحدة المصير...

---

[718]- مفتاح، هبا تامر. مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ بن عاشور، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد 29، 2011، ص29. [718]

[719]- سورة النساء، الآية 21.

[720]- سورة النحل، الآية 97.

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (1)﴾[721]

وهذا الأصل الإنساني المشترك في النشأة وفي أصل التكليف وفي غاية الخلق، أناط بكليهما مسؤوليّة الاستخلاف. إنّ الإسلام لم يتوقف عن دهذا التأسيس المهمّ في حياة البشريّة، ولكنه استمرّ في وضع معالم المجتمع الإيماني الذي تتضافر فيه وتتآلف إرادات الرجال والنساء على حدّ متكافئ في التكليف، الذي يندمج فيه المجتمع الإسلامي بذكوره وإناثه في حركة عقائدية وحضارية مستمرّة، لترسيخ القيم والمبادئ الساميّة، التي تُعبّر عن مقاصد الشريعة في تحقيق المعروف ودفع المنكر.

يقول تعالى﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) ﴾**[722]

و هي تعبير عن إرادة بشريّة في الارتقاء إلى تمثّل قيم الصلاح والإصلاح، وتمثّل قيم الالتزام بأحكام الشريعة الربانيّة التي عملت أحكام الوحي بناء هذا الصرح الأسري وحمايته، بما رأت فيه خدمة للمصالح والمقاصد الأسريّة التي ابتغتها أحكام الشريعة.

إنّ فهم تلك المنطلقات والأسس يمنحنا فهم المقاصد، التي بسببها كانت تلك العناية باعتبار تلك العلاقة الزوجيّة دلالة على آية من آياته في الخلق. « ولذلك كانت هذه الرابطة الأسريّة مشروعة لتلك الغايات الكبرى « فإنّه مشروع للتناسل على القصد الأوّل، ويليه طلب السكن والازدواج، والتعاون على المصالح الدنيويّة والأخرويّة. . . ومستجلب لتولّي التراحم والتواصل والتعاطف، الذي يحصل به مقصد الشارع الأصلي من التناسل»[723] والحفاظ على استمرار الوجود الإنساني ورعايته بهذا النظام الأسري الحكيم.

والعلاقة الزوجيّة بوصفها أساسا للرابطة الأسريّة ككل علاقة معرّضة للاهتزاز، ومواجهة ما يُزعزع رباطها، وانفكاك علاقتها، بما يعترضها من التنازع أو الخلاف الذي يُهدّد استمرارها، ويُفوّت مقاصدها الكبرى سبق مناقشتها «وعند ذلك يتبيّن أنّ نواقض هذه الأمور مضاد لمقاصد الشارع بإطلاق، من حيث كان مآلها إلى ضدّ

---

[721]ـ سورة النساء، الآية 1.

[722]ـ سورة التوبة، الآية 71.

[723]ـالشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. ج2، ص294، 295.

المواصلة والسكن والموافقة»[724] ممّا يعتريها من التنازع والخلاف والشقاق والنشوز ورغبة الطلاق والانفصال. . .

ولذلك أحاطت الشريعة هذا الكيان الأسري بمجموعة من الحلول والمعالجات التي تصون كيانه ونظامه، وتتفادى تهاويه وانهياره، ولم يكن الطلاق إلا أبغض الحلال، وآخر الحلول، بعد استنفاد وسائل الوقاية من الوقوع فيه، ومن تلك الآليات التي عملت على حماية الرابطة الزوجيّة والبناء الأسري من الصمود والاستمراروالعمل والحرص على مواصلة ذلك الكيان الأسري للبقاء :

1: ما حدّه الشرع من الإحسان في العلاقة الأسريّة، وما وضعه من أحكام للحقوق والواجبات، والأحكام الأسرية التي ترتبط بالموضوع.

2: أحكام المراجعة والصلح بين الأزواج، بما يحفظ الكيان الأسري واستمراره، وتلافي الوقوع في الطلاق والانفصال.

3: : أحكام النشوز التي تُعالج حالة من حالات الشقاق والتفكك الأسري، بمجموعة من الأحكام المتعلّقة بها.

فأي موضوع من فقه الأسرة من الواجب استحضار هذه المعاني الكبرى والمقاصد العامّة للموضوع في تناول الموضوع المباشر، وهكذا في كل مجال دلالي، يبحث المفسّر في مقاصد الشريعة وغايات الخطاب في ذلك المجال بما يُناسب المصالح التي قصدها القرآن في تحقيقها والمفاسد التي يريد درأها في أحكامه، فيملك المفسر ملكة فقه مقاصد الخطاب واستنباط فوائده الشرعيّة، ليستقيم مُراد الخطاب مع مُراد نصب الشرائع ومُحكم التنزيل.

3-3: الموضوع المباشر للحُكم المقصود بالتفسير:

وهو الموضوع المعيّن بالبحث والتفسير، بعد إحاطته بمقاصد ومصالح الموضوع العام والموضوع الإطار، يصبح الموضوع فيه أكثر مباشرة وتركيزا، ويتم البحث فيه وفق المنهج الموضوعي بمجموعة من الخطوات الإجرائيّة والمنهجيّة قبل ممارسة العمليّة التفسيريّة، ونجملها في:

أ – اختيار وتحديد الموضوع ومعرفة مجاله وموضوعه الإطار.

ب- جمع الآيات المتعلقة بالموضوع، وترتيبها حسب التنزيل أو الترتيب:

[724]- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات، ج2، ص295.

ج ـ جمع حسب التنزيل ويفيدنا في فهم سياق التنزيل وتدرّج الحُكم وفهم مراتب تشريعه وحكم ومقاصد ذلك.

– جمع حسب الرسم (الترتيب في المصحف) ويُفيدنا في فهم سياقات الخطاب في السورة والآيات ومقاصد ذلك.

د: تفسيرها وفق سياقات وأصول التفسير السابقة.

إنّ من أشهر أمثلة ذلك آيات تحريم الخمر:

إنّ تحريم الخمر الذي يتعلق بمجموعة من المصالح والمقاصد، تُقارب مقاصد الشريعة الإسلاميّة كلها في حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض جاء حُكمه في مجموعة من الآيات القرآنيّة الكريمة، في سياقات متنوّعة، ووفق ترتيب تنزيلي حكيم، في بيئة كان الخمر جزء من مشروباتها المألوفة، فجاء القرآن الكريم بمنهج تشريعي وتربوي في بناء المجتمع الإسلامي المنشود. . .

أ: ترتيبها حسب الرسم في المصحف: الذي يُفيدنا في فهم سياق الخطاب في النظم القرآني

تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) ﴾[725]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌمِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوامَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً (43) ﴾[726]

حيث « لما نهى الله سبحانه فيما مضى عن الشرك، ورغّب في امتثال الأمر واجتناب النهي، نهى هنا عن الصلاة التي هي عبادة لله وحده لا شريك له في حال السكر وحال الجنابة، والخطاب موجّه للمؤمنين قبل السكر ليجتنبوه، وذلك حتى يكون الإنسان في صلاته كامل القوى العقليّة، وطاهرا من الأنجاس أو الأرجاس والأخباث

[725]ـ سورة البقرة، الآية 219.

[726]ـ سورة النساء، الآية 43.

الماديّة والمعنويّة»[727] فهي في سياق هيئة الصلاة من طهارة وحضور نفسي وعقلي لأهميّة الصلاة وغرس مقصدها في بناء شخصيّة المسلم روحيا وسلوكيا... مع ما يناسب سورة النساء ومقصدها في بناء الإنسان السويّ. . . وهي سورة الإنسان في كينونته المشتركة من حيث الخلق والوجود، ثمّ في علاقاته وتضامنه وقيمه التي تتجلّى فيها قيمة الإحسان والخيريّة...

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ (91) ﴾[728]

وهي الآية التي حملت حُكم الخمر بالتحريم النهائي وبيان مقاصد وحكمة ذلك، في سياق النهي عن مجموعة من سلوك الجاهليّة التي لا تناسب مقصد الدين الجديد في بناء مجتمع متآلف قريب من الله تعالى. . . وفي سياق النهي عن مثل هذه الأعمال في مقابل عمل الإنفاق وأوجهه المشروعة[729].

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) ﴾[730]

مع أنّ كل آية لها سياق يخدم موضوع أو مقصد غير الحُكم الفقهي المتعلق بالخمر مثلا في المثال السابق، فالآية الأخيرة هي في سياق النعم من النبات، « وهو ماُيتخذ من أشربة من ثمرات النخيل والأعناب وهي بعض منافع النبات المذكورة عقب بيان بعض منافع الحيوانات في الآية المتقدمة. . . أي ولكم أيضا عبرة وعظة فيما تشربونه من أشربة متنوّعة من ثمرات النخيل والأعناب كالخل والدبس والخمر أو النبيذ المسكر قبل تحريمه، وما تأكلونه من ثمار طازجة على طبيعتها»[731] فهناك تقاطع بين موضوع السياق وموضوع الحُكم، وكذلك تناسبه مع سورة النحل...

ب: ترتيبها حسب التنزيل:

---

[727]- الزحيلي، وهبة. التفسير المنير. ج4، ص 86.

[728]- سورة المائدة، الآيتان 90، 91.

[729]- ينظر: التفسير الموضوعي لسُوَر القرآن الكريم، مسلم، مصطفى. ج1، ص268.

[730]- سورة النحل، الآية 67.

[731]- الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، ج7، ص 485.

إنّ « تحريم الخمر مرّ بأربع مراحل تدرّج فيها التشريع لينقل الناس من الأخفّ إلى الأشدّ تدريجيا، وتلك سياسة تربويّة ناجحة. . . فنزل في الخمر أربع آيات في مكة، لمعالجة الإدمان، على الخمر وتخليص الناس من هذا الداء العضال»[732]

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) ﴾[733]

« والتفاوت في الوصف بين (السكر والرزق الحسن) يوصف الرزق بالحسن في حال أكل الثمرة غير متخمرة دون السكر يؤذن بالتفرقة بينهما وبتقبيح السكر، ويمهد لتحريم المسكرات، وهي أوّل آية نزلت تعرّض بالخمر أو المسكر»[734] وأوّل مرحلة من مراحل تحريم الخمر.

ثم قوله تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219) ﴾[735]

وهي آية تضع ميزان المصالح والمنافع في مقابل المضار والمفاسد وتختم بدعوة للتفكر في ذلك، وهو نوع من التهيئة والتربيّة للمسلم في استقباح شرب الخمر قبل تحريمه الصريح...

ثم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً (43) ﴾[736]

« ومعنى الآية يا أيها المؤمنون لا تصلّوا حال السكر حتى تعلموا ما تقولون في الصلاة، وقد كان هذا تمهيدا لتحريم السكر تحريما باتا، وكان نزول الآية في المرحلة

---

[732]ـ الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، ج1، ص 641.
[733]ـ سورة النحل، الآية 67.
[734]ـ الزحيلي، وهبة. التفسير المنير. ج14، ص 485.
[735]ـ سورة البقرة، الآية 219.
[736]ـ سورة النساء، الآية 43.

الثالثة من مراحل التدرّج في تشريع تحريم الخمر»[737] وهي مرحلة تشريعيّة في تثبيت الحُكم.

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ (91)﴾[738]

نهى الله تعالى عن شرب الخمر « إنّ الخمر، وكل شراب مسكر، والقمار بمختلف أنواعه، والأصنام التي تذبح القرابين عندها، والأزلام قداح الاستقسام تفاؤلا وشؤما، قذر سخطه الله وكرهه، وهو من عمل الشيطان أي تحسينه وتزيينه، فاتركوا هذا الرجس، رجاء أن تفوزوا وتفلحوا بتزكيّة أنفسكم، وسلامة أبدانكم، والتوادّ فيما بينكم»[739] ومجمل مصالح النهي على هذه الآفات...

فالتفسير الموضوعي هو رؤية منهجيّة علميّة تسعى إلى مقاربة دلالات ومعاني الخطاب، والوصول إلى مقاصده في الحُكم وفوائده الشرعيّة، لأداء مُراد الحُكم تكليفا في الاعتقاد والقول والفعل بما يُحققه على وجهه الأكمل، ويُحقق مصالحه في إرضاء الله عزّ وجل، ومنها سعادة الإنسان، ويمتاز التفسير الموضوعي بمنهج متدرّج، يجمعها رابط الموضوع...

_ جمع الآيات التي لها علاقة موضوعيّة من حيث الموضوع العام، أو الموضوع الإطار، لأنّها تفيد المعنى الحقيقي، وتمنح للمفسّر رؤية واسعة وشاملة عن الموضوع، للتعمّق وفهم أحكام الموضوع.

_ استخدام المنهج الموضوعي بداية من استحضار تلك السياقات واستعمال تلك الأصول في الفهم واستنباط المعني، والتعامل مع الآيات في الموضوع بوصفها خطاب القرآن وحُكمه في المسألة التي تتعلق بالموضوع، والحذر من تلك الانتقادات والملاحظات التي اكتنفت التفاسير من استطرادات وتطويل وخروج من موضوع التفسير إلى مواضيع أخرى بعيدا عن مراد الخطاب وفهم مضمونه.

---

[737]ـ الزحيلي، وهبة. التفسير المنير. ج5، ص 87.

[738]ـ سورة المائدة، الآيتان 90، 91.

[739]ـ الزحيلي، وهبة. التفسير المنير. مرجع سابق، ج3، ص38.

_ المراجعة والتدقيق والتحقيق لأن التفسير هو عمليّة اجتهادية في تفسير كلام الله تعالى بما يجعلها عمليّة علميّة بما تقتضيه من أمانة الأداء وصدق المُراد وإخلاص النيّة والاستغفار من خطأ الأداء البشري.

خاتمة

خاتمة

القرآن الكريم هو كلام الله المُبارك المُعجز المُبين، المنزّل على سيّدنا محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، المكتوب في المصاحف، والمتواتر إلينا، المتعبّد بتلاوته، دليل هداية العباد للصراط المستقيم، وهو محور العقيدة والحياة الإسلاميّة ودليل أحكامها الأعلى، التي تنبني عليه حياة المسلم بكل مظاهرها في كل عصر، وتتجدّد علاقة المسلم مع القرآن الكريم مع كل جيل، فيكون كل جيل حريصا على فهم وتفسير القرآن الكريم، ساعيا لبلوغ معانيه ومُراد خطابه، للالتزام بأحكامه، وبالنظر إلى أهميّة تفسير القرآن الكريم في حياة وعقل وفكر المسلم وأثره على الأحكام التي تحكم عقائده وسلوكه لابد من تأصيل منهجي علمي لتفسير القرآن الكريم.

أهمية الإشارة إلى خاصيّة البيان ومقصد الهداية في مفهوم القرآن، يكون ضروريا في موضوع التفسير ومقصده ومُراد خطابه العام، ويأتي التأصيل لمنهجيّة علمية في تفسير القرآن الكريم عموما، والتفسير الموضوعي خصوصا، يمنح للعمليّة التفسيريّة آليات معرفيّة وعقليّة وتقنيّة للبحث والدراسة، قصد تقديم تصوّر لنسق ونظم علمي للوصول إلى مُراد الخطاب القرآني، الذي جوهره الحُكم المراد من الخطاب، كما الحُكم جوهره الخطاب الذي يحمله، فالاهتمام بأصول وقواعد ومنهجيّة البحث والتأليف في التفسير هي جزء من عمليّة تلقي الخطاب القرآني التي تستوجب حالة من الحضور النفسي والعقلي والعلمي والمعرفي، وصرامة علميّة، من وجه أن الخطاب هو كلام الله المُعجز، فيحتاج إلى قلوب وعقول حاضرة، وإلى عمليّة تدبّر وتفكر وافرة، بما يليق بكرامته وجلال قدره، وحُكمه على خلقه، وجلال التعامل مع خطابه بوصفه كلام الله عزّ وجلّ.

تفسير القرآن الكريم ليس مجرّد عمليّة تفسيرية لنص لغوي، أو مجرّد عمليّة أدبية يحكمها الانطباع والهوى والمزاج الشخصي، ولكنّها عمليّة علميّة واجتهاديّة حقيقيّة لها علاقة بمقصد الوجود البشري، ومقصد بعثه وعاقبة أمره، التي هي سبيله في هدي القرآن الكريم، والحاجة إلى التأصسل المنهجي لخدمة التفسير ومقصوده، وتحريره من الزوائد والأخطاء البشريّة في عمليّة التجديد والإحياء المستمرّة، التي وصلت إلى العصر الحديث عند إحياء التواصل مع خطاب القرآن الكريم وإعادة تجديد تفسيره واكتشاف أوجه إعجازه المتجدّدة، لأنّ القرآن هو كلام الله الحاكم والحكيم، دليل هداية الخلق إلى الطريق المستقيم.

تمايز اختصاصي كل من الأصول والفقه، جعل هذا التمايز في مفهوم الحُكم عند كل منهما، فأمّا الأصوليون فاعتبروا الحُكم عَلما على خطاب الشارع ذاته، وأما عند

الفقهاء فإنّ الحُكم هو أثر ذلك الخطاب بصيغته الشرعية، المتعلق بأفعال العباد، بينما بقي المفسّرون ينتقلون بين المفهومين حينا، ويبتعدون عنهما حينا آخر، بحسب صرامة التزامهم بالمناهج الأصوليّة أو الفقهيّة، كما أنّ الأحكام الموجودة في القرآن الكريم أكبر من أن يشملها منهج فقهي بسبب انحصار الحُكم عند الفقهاء والأصوليين في مفهوم الحُكم الفقهي... بينما يتوسّع مفهومه في التفسير ليشمل مضمون الخطاب.

يقول تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ (37)﴾[740]

فمفهوم الحُكم المناسب للتفسير هو الأثر الدلالي، أي هو تلك المعاني والدلالات التي نوظفها في فهم خطاب القرآن، أي الفوائد الشرعية المستقاة من الخطاب، وهذا المفهوم ليس استدراكا لتعريف الأصوليين، ولكنه مفهوما أقرب لماهيّة التفسير ومفهومه، لأنّ التفسير هو الذي يبحث في الخطاب القرآني الذي له آفاقا كثيرة وأوجها متعدّدة للأحكام، والحُكم الفقهي هو جزء من مفهوم الحُكم في القرآن الكريم.

إنّه يشمل أحكام العقيدة كما يشمل أحكام العبادات والمعاملات، كما يشمل أحكام السياسة الشرعيّة وأحكام الحقوق، من منطلق أن للأحكام تعلق بالقلوب والأبدان والجوارح والحواس والأموال والأماكن والأزمان فليس في كتاب الله ما هو خارج عن التدبّر والتفكر والتناسب والترابط مع منهج الله في الهداية، حتى وهو يعرض القصص والأمثال أو يسوق المواعظ والتذكير فهو في منهجه ليرسّخ تلك الأحكام من عقائد وعبادات وسلوك وغيرها، ولذلك يرتبط مفهوم الحُكم بماهيّة الخطاب ومضمونه والمُراد والقصد منه، والقصد من التفسير هو فهم خطاب الحُكم.

يقول تعالى:﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (9)﴾[741]

والقرآن الكريم في هداية البشر يحافظ على مصالحهم ودفع المفاسد عنهم، فالقرآن الكريم يهدي لما فيه الخير والصلاح، وما يحقق مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة، تجنّبا للضلال والزيغ والظلم... ولا يكون ذلك إلا بفهم القرآن والتفكر فيه وتدبّر معانيه... وإذا كانت أصول التفسير التي تؤسس منهجه، من منطلق أنّه علم يبحث في معاني القرآن الكريم، واستنباط فوائده الشرعيّة بأدلته الإجمالية، فإن التفسير يستعمل هذه الأصول في الوصول إلى المعاني والدلالات، والتفسير الموضوعي هو أحد مناهج البحث فيه التي تناسب فهم دلالة الخطاب.

---

[740]- سورة الرعد، الآية: 37.

[741]- سورة الإسراء، الآية 9.

التفسير الموضوعي للأحكام هو منهج تفسيري لا يقوم فقط على جمع الآيات الكريمة المتعلّقة بموضوع واحد، ولكنّه رؤية موضوعيّة في القرآن الكريم، يكون أساسها الموضوع، لأنّه لا يعتمد فقط على الترتيب الوارد في المصحف، ولا الترتيب حسب النزول، وإنما حسب علاقة الآيات بالموضوع، ثم حسب علاقتها مع بعضها البعض، وقبل ذلك حسب النظر الموضوعي للقرآن الكريم وسُوَره وسياق الآيات، وفق منهجيّة تعتمد على سياقات وآليات وأصول وقواعد يلتزم بها المفسّر للوصول إلى الفوائد الشرعيّة للخطاب في موضوع معيّن والذي يمثّل حُكمه فيه، فالموضوع هو جوهر التفسير، وأحكام القرآن فيه هي غايته.

تفسير القرآن الكريم الذي صيغ بوصفه أحد العلوم الدينيّة عبر مجموعة من المراحل والعصور، ساهمت في إثرائه والتأليف فيه مجموعة من العوامل والاتجاهات العلميّة التي تداخلت مع مؤثرات تاريخيّة وبيئية وسياسيّة... كما ساهمت الميول والنزعات الفرديّة للمفسّر، سواء كانت علميّة أو فكريّة، في تنوّع واختلاف اختيارات ومناهج التفسير خلال مجموعة من الاتجاهات، التي تراكمت عبر العصور وتفرّعت، فكان التفسير أحد الميادين الدينيّة والعلميّة التي ألهمت العلماء بمختلف اتجاهاتهم وتخصّصاتهم العلميّة.

تأثر التفسير بتلك العوامل التاريخيّة، وذلك التراكم المعرفي في التأليف في مباحثه، والنزعات الفرديّة للمفسّرين، تنوّعت مناهج وطرق التفسير، وشكلت مجموعة من اتجاهاته، حيث تميّز كل اتجاه بمنهجه الخاص، فوجد في التفسير مجالا للانتصار لاتجاهه ومذهبه، أو مجالا لإثراء مساهماته عبر معارفه واختصاصه العلمي، فبين دلالة الرواية ودلالة الدراية، وبين دلالة العقل ودلالة اللغة، وبين دلالة السلف ودلالة التجديد، تفرّعت تلك الاتجاهات قديما وحديثا... إنّ التفاسير القديمة أو الحديثة التي اعتمدت على المنهج التحليلي الترتيبي في تفسير سُوَر القرآن الكريم، فرض عليها موضوع الحُكم تناول تلك المواضيع المتعلقة لتناول الموضوع وآياته وأحكامه المتعلقة به عند كل آية أو آيات تتناوله، ممّا جعلها تكرّر تفاسيرها وتحشوها بالاستطرادات الفقهية والفكرية فتوسّع التفسير إلى مجالات ليست منه، وإلى مباحث ليست من مقاصده.

مفهوم التفسير الموضوعي يتجاوز جمع الآيات في موضوع الحُكم الواحد، إلى دراسة تأخذ بعين الاعتبار مفهوم الموضوع في سياقات مختلفة، منها سياق الدعوة الإسلاميّة، فالمحور الموضوعي مثلا لكل من المكي والمدني هو جزء من الرؤية الموضوعيّة لتفسير الأحكام، في معرفة أغراضها وتطوّر مفاهيمها وقيمها وأحكامها الفرعية، فتُفهم الآيات ضمن مرحلة الدعوة ومقتضياتها، ومرحلة التنزيل ومناسباتها،

وسيرة الرسول وأنوارها، بما يمنح للمفسّر المرجع التفسيري والمنطلقات المقاصديّة في التنزيل والتشريع، ومعرفة تلك المقاصد والأغراض في مراحل التنزيل القرآني، وداخل سياق النظم القرآني جزء من عمليّة التفسير الموضوعي، وفهم مقتضيات ومقاصد أحكامه.

الاهتمام بمقاصد السوَر ومحاورها الكبرى، بمحاولة التماس الرابط الموضوعي بين أجزاء السورة وآياتها، بمنهجيّة متدرّجة حيث يتم مراعاة الوحدة الموضوعيّة للسورَة بتحليل مضمونها، والربط بين أجزائها، بين استهلالها وختامها، وبين ما قبلها وما بعدها، والبحث فيما يجمع بين مضامينها، للوصول إلى أغراضها ومعانيها ومقاصد القرآن فيها... قبل تفسير الآيات المنتشرة في القرآن الكريم التي يجمعها موضوع البحث الذي يتناوله التفسير، فالتفسير ليس مجرّد عمليّة آليّة لشرح نص مكتوب، وإنّما هو عمليّة علميّة واجتهاديّة، تحتاج إلى معارف متعدّدة ومتداخلة، وتتمّ ضمن سياقات دلاليّة، وفق أصول وقواعد نقليّة ولسانيّة وعقليّة، خصوصا أنّ موضوع التفسير ليس مجرّد نص لغويّ أو أدبي بشري، وإنّما هو كلام إلهي معجز ومبين ومتعبّد بتفسيره وحاكم، لأنّ الاستنباط الدلالي منه ينتج عنه أحكام وقيم تترتّب عليها علاقة تعبّديّة بين المتلقّي والمخاطب.

هذه السياقات التي نحتاجها في عمليّة التفسير تقتضيها طبيعة وخصائص الخطاب، بوصف الخطاب المعجز والمبين، يفسّر بعضه بعضا، وبوصف بيانه ممّن حمل أمانة تبليغه وبيانه، وبوصف لغته ولسانه العربي، فلا يمكن فهمه إلا وفق هدا اللسان، ووفق أصول استنباطية يتطلبها دلاليّة الخطاب، ووفق ارتباطاته بسياقه التنزيلي والدعوي من سيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ليس فقط بسبب ارتباطه التاريخي بتلك الظروف والمراحل والأحداث، ولكن بوصفها نماذج حياتيّة للحياة البشريّة والإنسانيّة، ومن بين هذه السياقات المساعدة على فهم القرآن ومن ثمّ تفسيره:

التأصيل لمنهج علمي للتفسير لفهم حُكم في القرآن الكريم ينبني على المنهج الإسلامي وفق ما كان المسلمون يدعونه بالأصول، لأنّ أصول العلوم في العلوم الإسلاميّة لعبت دور المنهج من حيث المصادر والقواعد والآليات للوصول إلى التحقيق العلمي، فدراسة هذه الأصول وفق المنظور المنهجي الإسلامي، خصوصا في أصول التفسير وأصول الفقه، يمنحنا آليات يستعملها المفسّر خلال عمليّته التفسيريّة، وهو يستنبط المعنى، وأطلقنا عليها اسم السياقات التفسيريّة، ومصادر للتفسير يأخذ منها المفسّر معارفه التفسيريّة وهي أصول أو مصادر التفسير، وهذه الأصول لو أنها اجتمعت في منهج تفسيري، لا يختلف عن منهج الأصول في استنباط الأحكام، لأنّ التفسير هو عمليّة أساسيّة لاستنباط معنى الحُكم، وهو كذلك يشمل العمليّة الاستنباطيّة

للأحكام، ولذلك فالمنهج لاستنباط المعنى أو استنباط الحُكم هو منهج واحد، يعتبر المصادر الكبرى للاستنباط، وهي القرآن الكريم، ثمّ السنة النبويّة الشريفة، ثم الإجماع في التفسير، ثم الاجتهاد المقاصدي، مستصحبا السياقات التي مرّت.

عند التفسير الموضوعي للأحكام نقف عند مفهوم موضوع الحُكم المقصود الذي ليس مجرد تتبع للآيات التي تشترك في تناول موضوع معيّن بل هو معاني ودلالات ومقاصد ضمن مفهوم ومقاصد القرآن، أو المقصد الكلي، وهذا يفتح لنا مجموعة من المجالات الموضوعيّة، تتضمن فيها المواضيع بداية من القرآن نفسه الذي يمثل الموضوع العام، من خلال مقاصده التي هي مقاصد الشريعة وكلياتها ومصالحها العامة، ثم يأتي المجال العام للموضوع، الذي ينتمي إلى مجال دلالي أوسع من الموضوع المفسّر وضمن الموضوع العام، الذي هو القرآن، كأن يكون الموضوع ضمن خطاب الأسرة، مثلا، أو السياسة الشرعيّة أو العبادات... وهكذا، ثم نصل في النهاية إلى الموضوع المباشر، وفق آليات وخطوات إجرائية، وعليه تجتمع عندنا من الناحيّة الفنيّة التطبيقية، ثلاثة مفاهيم للموضوع، تمثّل كلها الرؤية الموضوعيّة، والمنهج الموضوعي:

1: **الموضوع العام لموضوع الحُكم المقصود تفسيره.**

2: **الموضوع الإطار للحُكم المقصود تفسيره.**

3: **الموضوع المباشر للحُكم المقصود تفسيره.**

فيكون أمامنا ثلاث مستويات أو ثلاث دوائر للمنظور الموضوعي، حرصا على أن تكون المعاني منسجمة مع حُكم القرآن العام في الوجود والحياة، ومقاصد الخطاب في تحقيق المصالح ودفع المفاسد. . .

1- الموضوع العام:

وهو موضوع القرآن نفسه، من خلال مقصده العام في الهداية والبيان، ومن خلال مقاصده الكبرى، فلا يمكن تفسير أيّ موضوع أو فهمه في القرآن الكريم بعيدا عن مقاصد الشريعة الإسلاميّة وكلياتها ومعالم الهداية في التنزيل المبين.

2_ الموضوع الإطار:

وهو المجال الذي ينتمي إليه الموضوع، فلا يُمكن تفسير الآيات المتعلقة بموضوع معيّن، دون فهم الخطاب القرآني للموضوع الإطار الذي ينتمي إليه الموضوع المباشر محل التفسير، فلا يُمكن فهم موضوع فرعي من مواضيع الأسرة والزواج مثلا دون فهم مقاصد القرآن في الأسرة والاجتماع... وهكذا فلكل موضوع مجاله الإطار.

3- الموضوع المباشر:

وهو الموضوع المعيّن بالبحث والتفسير، ويتم المنهج الموضوعي بمجموعة من الخطوات الإجرائيّة والمنهجيّة قبل ممارسة العمليّة التفسيريّة، ونجملها في:

1 – اختيار وتحديد الموضوع ومعرفة مجاله وموضوعه الإطار.

2- جمع الآيات المتعلقة بالموضوع، وترتيبها:

أ: حسب التنزيل: ويُفيدنا في تدبّر سياقها داخل الخطاب القرآني.

ب: الترتيب التنزيلي: ويُفيدنا في تدبّر منهج تشريعه ومقاصد ذلك.

3_ مباشرة التفسير وفق سياقاته وأصوله ومقاصد الاجتهاد فيه، ووفق حالة من الإخلاص والتقوى للتوفيق في الوصول إلى مُراد حُكمه ومعانيه.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس المواضيع

فهرس الآيات

حسب ورودها في البحث

الآيات	الرقم	السورة	الصفحة
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾	09	الحجر	أ
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ. . . (48)﴾.	48	المائدة	15
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً. . . (21) ﴾	21	الحشر	20
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. . .﴾	5-1	العلق	29
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ. . .﴾	2-1	الجنّ	30
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17). . . ﴾.	18-17	القيامة	30
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ. . . (9)﴾.	09	الإسراء	30
﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ. . . (204) ﴾	204	الأعراف	30
﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192). . .﴾.	196-19	الشعراء	33
﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1). . .﴾.	3-1	يوسف	33
﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ. . . (29) ﴾.	29	ص	34
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)﴾.	02	البقرة	34
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ. . . (89)﴾	90-89	النحل	36
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17). . .﴾.	19-17	القيامة	41
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ. . (13).﴾.	14-13	هود	45

﴿ لا يَأتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)﴾	42	فصّلت	47
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا. . . (52)﴾.	52	الشورى	47
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا. . . (15)﴾.	15	المائدة	47
﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ. . . (50). . .﴾.	51-50	العنكبوت	47
﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ. . . (23) ﴾	23	البقرة	49
﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا. . . (88)﴾.	88	الإسراء	50
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(17)﴾.	17	القمر	52
﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192). . .﴾	192-195	الشعراء	55
﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ(95)﴾	95	الأنعام	62
﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ. . . (82) ﴾.	82	النساء	66
﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)﴾.	24	محمد	66
﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ. . . (68)﴾.	68	المؤمنون	66
﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)﴾.	2_1	يوسف	67
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17). . . ﴾.	17	القيامة	70
﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)﴾	44	النحل	70
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. . . (47)﴾.	47	الأنبياء	76
:﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14)﴾	14_13	الغاشية	76

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ. . . (38)﴾.	38	الأنعام	78
﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ. . . (82)﴾.	82	النساء	79
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا. . . (58)﴾.	58	النساء	93
﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ ... (4) ﴾	04	الأحزاب	94
﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ. . . (105) .	105	النساء	94
ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ...(5) ﴾	05	الأحزاب	95
﴿وَ أَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ...(49) ﴾	49	المائدة	95
﴿يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً(12)﴾	12	مريم	96
﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً. . . (74)﴾	74	الأنبياء	96
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً. . . (14) ﴾	14	القصص	96
﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)﴾	83	الشعراء	97
﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) ﴾	89	الأنعام	98
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ. . . (40)﴾.	40	يوسف	98
﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ. . . (57)﴾	57	الأنعام	99
﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109) ﴾	109	يونس	99
﴿ وَقَالَ يَا بَنِي لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ	67	يوسف	99

أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ...ۖ (67) ﴾			
﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ. . . (48)﴾.	48	القلم	101
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) ﴾.	27	الزمر	103
﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120)﴾	120	هود	103
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ. . . (68). . .﴾	68	القصص	106
:﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ. . . (9)﴾.	09	الإسراء	106
﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ (37)﴾	37	الرعد	106
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ. . . (24)	24	الأنفال	107
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ... (1) ﴾	01	المائدة	109
﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ...(97) ﴾	97	آل عمران	109
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) ﴾	56	النور	110
﴿ يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ... (11) ﴾	11	النساء	110
﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ	12	النساء	110

كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ... (12) ﴾			
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...(159) ﴾	159	آل عمران	111
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) ﴾	278	البقرة	111
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)﴾	103	التوبة	112
﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) ﴾	276	البقرة	112
﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... (185) ﴾	185	البقرة	112
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي ... (186) ﴾	186	البقرة	112
﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22)﴾	22،21	المائدة	126
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ ...(23) ﴾	23	النساء	130
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)﴾	43	البقرة	132
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) ﴾	90	المائدة	138
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4)﴾	04	مريم	139

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ...(230)﴾»	230	البقرة	140
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66)﴾	65،66	البقرة	155
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً ...(37)﴾	37	آل عمران	155
﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (24)﴾	23-24	الإسراء	158
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)﴾	53	آل عمران	164
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ (67) ﴾	67	البقرة	165
﴿ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾	20	الغاشية	165
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ. . . (5)﴾	05	الزمر	166

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ... (219) ﴾	219	البقرة	177
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ. . . (43)﴾	43	النساء	177
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ. . . (90). . . (91)﴾	91،90	المائدة	178
﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً. . . (67)﴾	67	النحل	178
﴿قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) ﴾	28	الزمر	181
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) ﴾	57،56	الذاريات	183
﴿إن هذا القرآن يَهدي للتي هي أقوم(09)﴾	09	الإسراء	183
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)﴾	179	البقرة	184
﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ	28-26	النساء	184
تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً (28)﴾			
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...(6)﴾	06	المائدة	185
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... (1) ﴾	01	النساء	194

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) ﴾	07	يوسف	195
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)﴾	111	يوسف	195
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ...(90) ﴾	90	النحل	196
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) ﴾	97	النحل	196
﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ. . . (118)﴾.	118	التوبة	199
﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا. . . (122)﴾.	122	آل عمران	199
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)﴾	04	الفاتحة	208
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (3)﴾	03	الكوثر	209
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ. . . (228)﴾	228	البقرة	209
﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾	40	النجم	211
﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ. . . (7)﴾	07	آل عمران	214
﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)﴾	20-18	الغاشية	216

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ... (5) ﴾	05	الزمر	217
﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً (33) ﴾	33	الفرقان	219
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاّ هُوَ. . . (59)﴾	59	الأنعام	219
﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ. . . (34)﴾	34	لقمان	219
﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ. . . (37)﴾	37	البقرة	220
﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ (23)﴾	23	الأعراف	220
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾	82	الأنعام	220
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)﴾	13	لقمان	221
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)﴾	01	الفاتحة	221
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23). . . ﴾	23، 24	الشعراء	221
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)﴾	04	الفاتحة	221
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17. . . ﴾	17-19	الانفطار	221
﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾	3، 4	النجم	221
﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ. . . (44)﴾.	44	النحل	222

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ. . . (3)﴾.	03	المائدة	224
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ. . . ﴾.	87	البقر ة	224
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1)﴾	01	الكوثر	224
﴿إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12)﴾	12	الشمس	225
﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ. . . (36)﴾	36	البقرة	228
﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2)﴾	1، 2	البلد	228
﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) ﴾	67	النحل	228
﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) ﴾	36	البقرة	228
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ. . . (23)﴾	23	النساء	230
﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجعَلَ عَلَيْكُم مِن حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيْدُ لِيُطَهِرَكُم ولِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُم لَعَلَكُم تَشكُرُونَ﴾	06	المائدة	232
﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ. . . (21)﴾	21	النساء	238
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى. . . (97)﴾	97	النحل	238
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ. . . (71)﴾	71	التوبة	240

فهرس الأحاديث

حسب ورودها في البحث

الحديث	الصفحة
« عن أبي هريرة قال: كان يعرض النبي صلّى الله عليه وسلّم القرآن كل عام مرّة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قُبض فيه»	42
« عن ابن عباس: قال: قلت لعثمان بن عفّان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما. . . »	42
«أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضّلت بالمفصل»	42
«عن عبد الرحمن بن زيد قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنّهنّ من العتاق الأولى»	42
« ما من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة »	48
« من يرُد الله به خيرا يُفقّهه في الدّين»	67
«اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل»	67
«عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»	186
«عن جابر بن عبد الله قال: نحن الطائفتان، بنو حارثة وبنو سلمة وفينا نزلت ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا** ﴾ وما سرّني أنها لم تنزل والله يقول ﴿**وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا**﴾»	202
« روى البخاري: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم فسّر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ. . . (59)** ﴾»	219

« شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقالوا : أيّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّه ليس بذاك ... »	212
« هو الطهور ماؤه الحل ميتته.»	224
لقوله صلّى الله عليه وسلّم: « إنّما هو سواد الليل وبياض النهار»	224
« أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: فإنّه نهر وعدنيه ربّي عزّ وجلّ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم...»	224
« فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: انبعث لها رجل عزيز هارم متيع في رهطه مثل أبي زمعة»	225
« فإنّ خُلق نبي الله صلّى الله عليه وسلّم كان القرآن»	226

فهرس الأعلام

الرقم	الأعلام	الوفاة	الصفحة
01	يزيد بن أبان الرقاشي.	قبل 120ه	37
02	ابن عبّاس، عبد الله بن عبّاس	68ه/687م	38
03	عثمان بن عفّان	35ه/656م	38
04	أحمد شاكر	1377ه/1958م	39
05	زيد بن ثابت الأنصاري	45ه/ 665م	39
06	أبيّ بن كعب	33ه/651م	40
07	عليّ بن أبي طالب	40ه/661م	40
08	عبد الله بن مسعود	32ه/653م	40
09	الفراهيدي، الخليل بن أحمد	170ه/ 786م	58
10	الطبري، محمد بن جرير	310ه/923م	60
11	شعبة بن الحجاج	160ه/177م	71
12	سفيان بن عيينة	198ه/814م	71
13	وكيع بن الجراح	197ه/812م	71
14	أبو بكر النيسابوري	338ه/949م	84
15	الزركشي، بدر الدين محمد	885ه/1480م	84
16	البقاعي، برهان الدين إبراهيم	885ه/1480م	84
17	السيوطي، جلال الدين	911ه/1505م	85
18	أبو بكر الجصّاص	370ه/980م	85
19	ابن القيّم الجوزيّة، محمد بن أبي بكر.	751ه/1350م	86
20	ابن العربي، أبو بكر	543ه/1148م	86

20	أحمد الطحاوي	321ه/933م	86
21	أمين الخولي	1385ه/1966م	88
22	مجاهد بن جبير	104ه/722م	117
23	سعيد بن جبير الأسدي.	95ه/714م	117
24	عكرمة، أبو عبد الله.	105ه/723م	117
25	الحسن البصري	110ه/728م	117
26	طاووس بن كيسان	106ه/724م	118
27	سعيد بن المسيب	94ه/713م	118
28	عروة بن الزبير بن العوّام	93ه/712م	118
29	أبو موسى الأشعري	44ه/665م	118
30	أنس بن مالك	93ه/712م	118
31	قتادة بن دعامة	118ه/736م	118
32	الأسود بن يزيد النخعي	75ه/694م	119
33	مسروق بن الأجدع	63ه/683م	119
34	كعب الأحبار	50ه/652م	120
35	وهب بن منبه	114ه/732م	120
36	ابن جريج، عبد الملك بن عبد العزيز.	150ه/767م	120
37	البغوي، حسين بن مسعود	510ه/1117م	120
38	ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي	597ه/1201م	122
39	ابن كثير، إسماعيل بن عمر	774ه/1373م	122
41	الطحاوي، أبو جعفر أحمد	321ه/933م	122
42	أبو حيّان الأندلسي، محمد	745ه/1344م	131
43	أبو عمرو بن العلاء	154ه/771م	136
44	الزجّاج، إبراهيم بن السريّ	311ه/923م	136

45	الفرّاء، يحيى بن زياد	207ه/822م	136
46	السجستاني، أبو بكر محمد	330ه/941م	136
47	ابن النحّاس، أبو جعفر أحمد	338ه/950م	137
48	عبد القاهر الجرجاني	471ه/1078م	139
49	الرازي، فخر الدين محمد	606ه/1210م	143
50	الزمخشري، أبو القاسم محمود	538ه/1144م	143
51	البيضاوي، أبو سعيد عبد الله	865ه/1286م	144
52	جمال الدين الأفغاني	1315ه/1897	152
53	محمد عبده	1323ه/1905م	153
54	محمد رشيد رضا	1354ه/1956م	153
54	عبد الحميد بن باديس	1359ه/1940م	156
55	سيد قطب	1387ه/1966م	160

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص.

- مصادر الحديث النبوي:

1- الجامع الكبير، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

2- سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث، دار الرسالة العالميّة، دمشق، سورية، ط خ، 2009.

3- السنن الكبرى، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنانن ط1، 2001.

4- صحيح البخاري. البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار التقوى، شبرا، مصر، ط1، 2001.

5- صحيح مسلم. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، تحقيق: أحمد زهوة، أحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

6- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف، الرياض، السعوديّة، ط2، 1995.
7- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1995.
8- الموطّأ، الإمام مالك بن أنس، تحقيق: كُلال حسن علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

ـ قائمة مصادر ومراجع التفسير:

9- اتجاهات التفسير في العصر الراهن. عبد المجيد عبد السلام المحتسب، منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، الأردن، ط3، 1982
10- الإجماع في التفسير، محمد عبد العزيز بن أحمد الخضيري، دار الوطن، الرياض، السعودية.
11- أسباب الخطأ في التفسير، طاهر محمود محمد يعقوب، دار ابن الجوزي، الدمام، السعوديّة، ط1، 1425ه.
12- الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط4، 1990.
13- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، رمزي نعناعة، دار القلم، دمشق، سورية، بيروت، لبنان، ط1، 1970.
14- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، السعودية، ط1، 1426ه.
15- الأقوال الشاذّة في التفسير، عبد الرحمن بن صالح الدهش، جامعة الملك محمد بن سعود، مؤسسة الحكمة، بريطانيا، ط1، 2004.
16- البحر المحيط. أبو حيّان الأندلسي. تحقيق: عادل أخمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
17- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
18- تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، سورية، ط3، 2008.
19- تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، علي بن سليمان العبيد، دار التدمريّة، الرياض، السعوديّة، ط1، 2014.

20- التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط7.
21- تفسير التابعين، محمد بن عبد الله بن علي الخضيري، دار الوطن، الرياض، السعودية.
22- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984، ج1، ص10.
23- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، الطبري، محمد ابن جرير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة، مصر، ط1، 2001.
24- تفسير الفخر الرازي(التفسير الكبير)، الرازي فخر الدين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981.
25- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر، ط1، 2000.
26- التفسير اللغوي للقرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.
27- تفسير المنار، دار المنار، محمد رشيد رضا. القاهرة، مصر، ط2، 1947.
28- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط10، 2009.
29- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم وآخرون، كليّة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربيّة، ط1، 2010.
30- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم وآخرون، كليّة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربيّة، ط1، 2010.
31- التفسير النبوي، خالد بن عبد العزيز الباتلي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، السعودية، ط1، 2011.
32- تفسير بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس عبد الحميد، جمع وترتيب : توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2003.
33- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميديّة، دلهي، الهند، ط1، 2008.
34- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، عبد الرحمن، تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
35- خواطري حول القرآن الكريم، الشعراوي، محمد متولي، أخبار اليوم، القاهرة، مصر، دط، 1991.

36- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، جلال الدين، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلاميّة، القاهرة، مصر، 2003، ج1،
37- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 2001.
38- دقائق التفسير، ابن تيميّة أحمد، تحقيق: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية، ط2، 1964.
39- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود شهاب الدين، إدارة الطباعة المنبريّة دار التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، دس.
40- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
41- شرح مقدّمة التفسير لابن تيمية، ابن عثيمين، محمد بن صالح، إعداد: عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار الوطن، الرياض، السعودية.
42- على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السمرائي، جامعة الشارقة، الإمارات العربية، ط1، 2002.
43- فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007.
44- فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.
45- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصرن ط14، 1987
46- في ظلال سيد قطب، لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري، وصفي عاشور أبو زيد، صوت القلم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2009
47- قواعد التفسير، خالد بن عثمان السّبت، دار بن عفان، القاهرة، مصر، ط1، 1421ه.
48- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعوديّة، ط1، 1998.
49- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998.
50- محاضرات في التفسير الموضوعي، عباس عوض الله عباس، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 2007.

51- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية عبد الحق، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، ط1، 2001.
52- المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع الإسلامية، بورسعيد، مصر، ط1، 1999.
53- المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع الإسلاميّة، بور سعيد، مصر، 1991.
54- مفاتيح التفسير، أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية، الرياض، السعودية، ط1، 2010.
55- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر. مساعد بن سليمان االطيّار، دار بن حزم، الرياض، السعودية.
56- منهج ابن كثير في التفسير، سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار المسلم، الرياض، السعودية، ط1، 1999.
57- منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، سامر عبد الرحمن رشواني، دار الملتقى، حلب، سورية، ط1، 2009.

ـ مصادر ومراجع علوم القرآن ودراساته:

58- الإجماع . الجصّاص أبوبكر، تحقيق: زهير كندي، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
59- أحكام القرآن الكريم. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، تحقيق: سعد الدين أونال، ط1، 1995.
60- أحكام القرآن. الشافعي، جمعه: البيهقي، أبو بكر أحمد، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
61- أحكام القرآن، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط3، 2002.
62- الإحكام في أصول الأحكام. الآمدي، علي بن محمد، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط1، 2003.
63- الأرض في القرآن الكريم، زغلول راغب محمد النجّار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2005.
64- أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، محمد بن عبد الرحمن الشايع، عماد الدين محمد الرشيد، دار الشهاب، دمشق، سوريا، 1999.
65- أسباب النزول، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

66- أسماء القرآن الكريم وأسماء سوره وآياته. آدم بمبا، مركز جمعيّة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربيّة، ط1، 2009.
67- أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1986.
68- الإعجاز العددي للقرآن الكريم، عبد الرزاق نوفل، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، دس.
69- إعراب القرآن الكريم، ابن النحاس، أحمد بن محمد أبو جعفر، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 298.
70- الإمام في بيان أدلة الأحكام. العز بن عبد السلام، تحقيق: رضوان مختار، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
71- الانتصار للقرآن، الباقلاني، أبوبكر، تحقيق: محمد عصام القُضاة، دار الفتح، عمّان، الأردن، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
72- البرهان في ترتيب سور القرآن، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الرياض، السعودية، 1990،
73- البرهان في ترتيب سور القرآن، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، الرياض، السعودية، 1990.
74- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، 1984.
75- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد إبراهيم شقرة، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، 2005.
76- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، جلال الدين، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
77- توثيق وجمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلّم في ضوء السُنّة النبويّة. نور الدين عنتر، مجلةمركز بحوث السُنّة والسيرة، جامعة قطر، الدوحة، قطر، 1993،
78- جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، سورية، ط2، 1999.
79- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر.
80- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث القاهرة، مصر.

81- دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
82- دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
83- السماء في القرآن الكريم، زغلول راغب محمد النجّار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2005.
84- شرح الكوكب المنير، ابن النجّار، محمد بن أحمد الفتوحي، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حمّاد، مكتبة العبيكان، الرياض، السعوديّة، دط، 1993.
85- طرق استنباط الأحكام من القرآن الكريم، عجيل جاسم النشمي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، الكويت، ط2، 1997.
86- الظاهرة القرآنيّة، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط4، 2000.
87- عجائب القرآن، الرازي، فخر الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
88- غريب القرآن(نزهة الغريب)، السجستاني، أبوبكر محمد، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، دط، 1993.
89- فضائل القرآن، ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، تحقيق: أبو إسحق الحويني، مكتبة ابن تيميّة، القاهرة، مصر، ط1، 1416.
90- قاموس القرآن (إصلاح الوجوه والنظائر)، الحسن بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1983.
91- القرآن وقضايا الإنسان، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1999.
92- قواعد الأحكام في إصلاح الأنام(القواعد الكبرى). العزّ بن عبد السلام، تحقيق: نزيه كمال حمّاد، عثمان جمعة ضميريّة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 2000.
93- كتاب الحوادث والبدع. أبو بكر الطرطوشي، تحقيق: عبد المجيد زكي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990.
94- الكليات الشرعية في القرآن الكريم، الحسن حريفي، دار ابن القيم، الدمام، العربية السعودية، دار ابن عفان، القاهرة، مصرن ط1، 2002.
95- كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، شركة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط7، 2005.
96- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، السعودية، ط2، 1996.

97- محاضرات في علوم القرآن، غانم قدّوري الحَمَد، دار عمّان، عمّان، الأردن، ط1، 2002.
98- المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، مصر، دط، دس.
99- المحرّر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدّة، السعودية، ط2، 2008.
100- المحصول في أصول الفقه، ابن العربي، أبو بكر، إخراج: حسين علي البدوي، دار البيارق، عمان الأردن، ط1، 1999.
101- المختصر الوجيز في مقاصد التشريع، عوض بن محمد القرني، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية 1998.
102- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض، السعودية، ط3، 1987.
103- مراتب الإجماع، ابن حزم، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، ط2، 1980.
104- المستصفى، الغزالي، أبو حامد، تحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
105- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، برهان الدين إبراهيم، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، دار المعارف، الرياض، السعودية، ط، 1987.
106- معجم مصنفات القرآن الكريم، علي شواخ اسحاق، دار الرفاعي، الرياض، السعودية، ط1، 1983.
107- مفردات القرآن، عبد الحميد الفراهي، تحقيق: محمد أجمل أيوب، دار الغرب الإصلاحي، بيروت، لبنان، 2002.
108- مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، دار النفائس، عمّان، الأردن، ط2، 2001.
109- المقتطف من بيّنات الإعجاز العددي، بسّام نهاد جرّار، نون للأبحاث والدراسات القرآنيّة، البيرة، فلسطين، ط3، 2015.
110- المقدّمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع، مركز البحوث الإسلاميّة، ليوز، بريطانيا، ط1، 2001.
111- مقدمة إعراب القرآن، زهير غازي زاهر، ابن النحاس أبو جعفر أحمد، تحقيق: زهير غازي زاهر، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
112- المكي والمدني في القرآن الكريم، محمد بن عبد الرحمن الشايع، مركز تفسير للدراسات القرآنيّة، الرياض، السعودية، ط1، 1997.

113- من آيات الإعجاز العلمي - السماء في القرآن الكريم، زغلول راغب محمد النجّار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2005.
114- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبد العظيم، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
115- منهج القرآن الكريم في عرض آيات الأحكام، عماد عبد الكريم خصاونة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، عمان، الأردن، المجلد5، العدد2/أ، 2009، ص 117.
116- الموافقات، الشاطبي، أبو إسحاق، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
117- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، آيات الله في الآفاق، محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، دمشق، سورية، ط2، 2005.
118- موسوعة القرآن الكريم، عبد القادر منصور، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط1، 2002.
119- نظرات في القرآن، محمد الغزالي، شركة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط6، 2005.
120- نظم الدرر في تناسب السور، البقاعي، برهان الدين، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، 1984
121- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، أبو الخير محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دس.
122- هبا تامر مفتاح. مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ بن عاشور، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد 29، 2011، ص29.
123- وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله إلى أمّته، محمد حسن جبل، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 2001.
124- الوجيز في أصول الفقه، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 2003.

- معاجم وقواميس:

125- الأعلام، الزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2006.
126- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تحقيق: حسين نصّار، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ط1، 2000.

127- التعريفات، الجرجاني علي بن محمد، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006،
128- طبقات المفسّرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1997،
129- الفراهيدي، أحمد. كتاب العين. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
130- الفروق الفردية، أبو هلال العسكري، تحقيق : محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر.
131- الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلوم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 1998.
132- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، تحقيق: محمد نعيم العرقوس وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.
133- كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.
134- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2003.
135- معجم المفسّرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1988،
136- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس. أحمد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1979.
137- الموسوعة الأدبيّة، فيصل الأحمر ونبيل دادوة، دار النعرفة، الجزائر، الجزائر، ط1، 2008.
-138

ـ مصادر ومراجع أخرى:

139- أبجديات البحث في العلوم الشرعيّة، فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1417، 1997.
140- الحركة الإصلاحيّة في الفكر الإسلامي المعاصر (الشيخ عبد الحميد بن باديس)، محمد طهاري، دار الأمّة، الجزائر، الجزائر، ط1،. 1999
141- الخطيئة والتكفير من البنيويّة إلى التشريحيّة، عبد الله الغذامي، الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة، مصرن ط4، 1998.

142- القرآن الكريم... ومناهج تحليل الخطاب، عبد الرزاق هرماس، جامعة القاضي عياض، بني ملال، المغرب، دط، دس.
143- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
144- المرايا المحدّبة من البنيويّة إلى التفكيك، عبد العزيز حمّودة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، الكويت، ط1، 1989.
145- مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.
146- المقدمة، ابن خلدون، عبد الرحمن، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، دط، 2002.
147- مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، عبد الفتّاح محمد العيسوي، عبد الرحمن محمد العيسوي، دار الراتب الجامعيّة، عمّان، الأردن، دط، 1997.
148- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الكويت، ط1، 1977.
149- المناهج النقديّة الحديثة ـ أسئلة ومقاربات، صالح هويدي، دار نينوى، دمشق، سورية، ط1، 2015.
150- المناهج النقديّة الحديثة ـ أسئلة ومقاربات، صالح هويدي، دار نينوى، دمشق، سورية، ط1، 2015.
151- نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.

فهرس المواضيع

مقدّمة:.....,,أ
مدخل.....13
المقاربة المنهجيّة للتفسير
وأهميّتها.....13
1: المقاربة المنهجيّة للتفسير:.....13.
2: أهميّة المقاربة المنهجيّة للتفسير.....19
الفصل الأول: القرآن الكريم والتفسير والحُكم:..... 27
المبحث الأوّل: القرآن بين الإعجاز والبيان.....25.
1-1: مفهوم القرآن الكريم:.....25
2-1: خصائص نظم القرآن الكريم.....31.
3-1: القرآن مُعجز ومُبين.....40.
المبحث الثاني: مفهوم التفسير ومشروعيّته ونشأته:.....56
2-1: مفهوم التفسير.....56
2-2: الفرق بين التفسير والتأويل.....60
المبحث الثالث: التفسير الموضوعي:.....76
3-1: مفهوم التفسير الموضوعي:..... 76
3-2: مشروعية التفسير الموضوعي:.....79
3-3:نشأة التفسير الموضوعي:.....83
3-4:الفرق بين التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي.....87
المبحث الرابع: الحُكم بين المصطلح والموضوع.....92
4-1: دلالات لفظ الحُكم.....92
4-2: الحُكم اصطلاحا:.....100
4-3:موضوع الحُكم في القرآن الكريم:.....
108
الفصل الثاني: اتّجاهات التفاسير القديمة والحديثة للأحكام:.....113
المبحث الأوّل: اتجاهات التفاسير القديمة للأحكام:.....88..
1-1: اتجاه تفسير الأحكام بالمأثور:.....88.
1_2: الاتجاه الفقهي في تفسير الأحكام.....98
1-3: الاتجاه اللغوي في تفسير الأحكام:.....134
1-4: الاتجاه الفكري:.....143

المبحث الثاني: اتجاهات التفاسير الحديثة للأحكام.....114
2- 2: الاتجاه الإصلاحي في تفسير الأحكام:.....152
2- 2:الاتجاه الحركي في تفسير الأحكام:.....160
2-3: الاتجاه العلمي في تفسير الأحكام:.....123
2- 4: الاتجاه البياني في تفسير الأحكام:.....127.
2-5: القرآن الكريم والمناهج الأدبيّة الحديثة:.....129.
الفصل الثالث: منهج التفسير الموضوعي للأحكام.....137.
المبحث الأوّل: القرآن والوحدة الموضوعية.....137
1-1: الوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم.....137.
1-2: الخصائص الموضوعيّة للمكي والمدني.....141
1-3: الوحدة الموضوعية للسورة.....144.
المبحث الثاني: سياقات منهج التفسير الموضوعي للأحكام.....148.
2-1: سياق تنزيل الأحكام (التفسير وأسباب النزول) 149
2-2: السياق اللغوي واللساني للحُكم:.....155
2-3: السياق الأصولي للحكم:.....160
2-4: السياق العلمي للحُكم:.....162
المبحث الثاني: أصول منهج تفسير الأحكام.....164.
3-1: تفسير القرآن بالقرآن:.....164
3-3: الإجماع في التفسير:.....170.
3-4: التفسير الاجتهادي المقاصدي.....173.
المبحث الثالث: خطوات التفسير الموضوعي للأحكام:.....176.
3-1: الموضوع العام للحُكم.....177.
3-2: الموضوع الإطار للحُكم:.....178.
3-3: الموضوع المباشر للحُكم.....181.
خاتمة.....188.
فهرس الآيات.....195
فهرس الأحاديث.....,205
فهرس الأعلام.....207.
فهرس المصادر والمراجع.....209
فهرس المواضيع.....292

الملخص: أطروحة: الحُكم في القرآن الكريم، مقاربة منهجيّة في التفسير الموضوعي

تتناول هذه الأطروحة مفهوم الحُكم في القرآن الكريم، المتعلق بالخطاب القرآني، من خلال مقاربة منهجيّة للتفسير الموضوعي، تتناول بالمناقشة والتحليل مفهوم القرآن الكريم وخصائص خطابه، ومفهوم التفسير وحدود موضوعه ومناهج التفسير المختلفة في تناولها لمواضيع وأحكام القرآن الكريم وآليات إنتاج المعنى والدلالة للوصول إلى تأصيل منهجي للتفسير الموضوعي في العصر الحديث للإجابة على الإشكاليات والحاجيات الحديثة، في التأصيل لمنهج التفسير الموضوعي، الذي يعتمد على منظور ورؤية موضوعيّة للخطاب الموضوعي، إلى جانب تركيزه على الآيات الواردة في موضوع محدّد وفي مجموع سوَره، للوصول إلى المعاني العميقة والمقاصد المعتبرة في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الإعجاز، الحُكم، التفسير الموضوعي، المنهج.

Résumé : La présente thèse porte sur le concept de jugement dans le Coran, en relation avec le discours du Coran, par le biais d'une approche systématique de l'exégèse thématique, portant sur la discussion et l'analyse du concept du Saint Coran et les caractéristiques de son discours. le concept de l' exégèse et les limites de son sujet, et les différentes approches de l' exégèse dans le traitement des sujets et les dispositions du Coran, et les mécanismes de production de sens et de l'importance de l'accès de consolider l'exégèse systématique et thématique de l'ère moderne, la réponse aux problèmes et aux besoins modernes, qui dépend de la perspective et de la vision objective du discours coranique, ainsi que l'accent mis sur les versets contenus dans un sujet spécifique dans l'ensemble de ses Surahs, pour atteindre les significations profondes et les fins considérées dans le Saint Coran.

Mots-clés :Saint Coran, les miracles, le jugement, l'exégèse thématique, la méthode

Abstract : This thesis deals with the concept of judgment in the Qur'an, in relation with the Qur'an's discourse, through a systematic approach to thematic exegesis, dealing with the discussion and analysis of the concept of the Holy Qur'an and the Characteristics of its speech. The concept of exegesis and the limitations of its subject, and different approaches to exegesis in the treatment of the subjects and the provisions of the Qur'an, and mechanisms of production of meaning and importance of access to consolidate the " The systematic and thematic exegesis of the modern era, the response to modern problems and needs, which depends on the perspective and objective vision of the Qur'anic discourse, as well as the emphasis on the verses contained in a specific subject in the totality of the Surahs, to reach deep meanings and for purposes considered in the Holy Qur'an.

Keywords: Holy Quran, miracles, judgment, discourse, exegesis, thematic exegesis, method of exegesis.